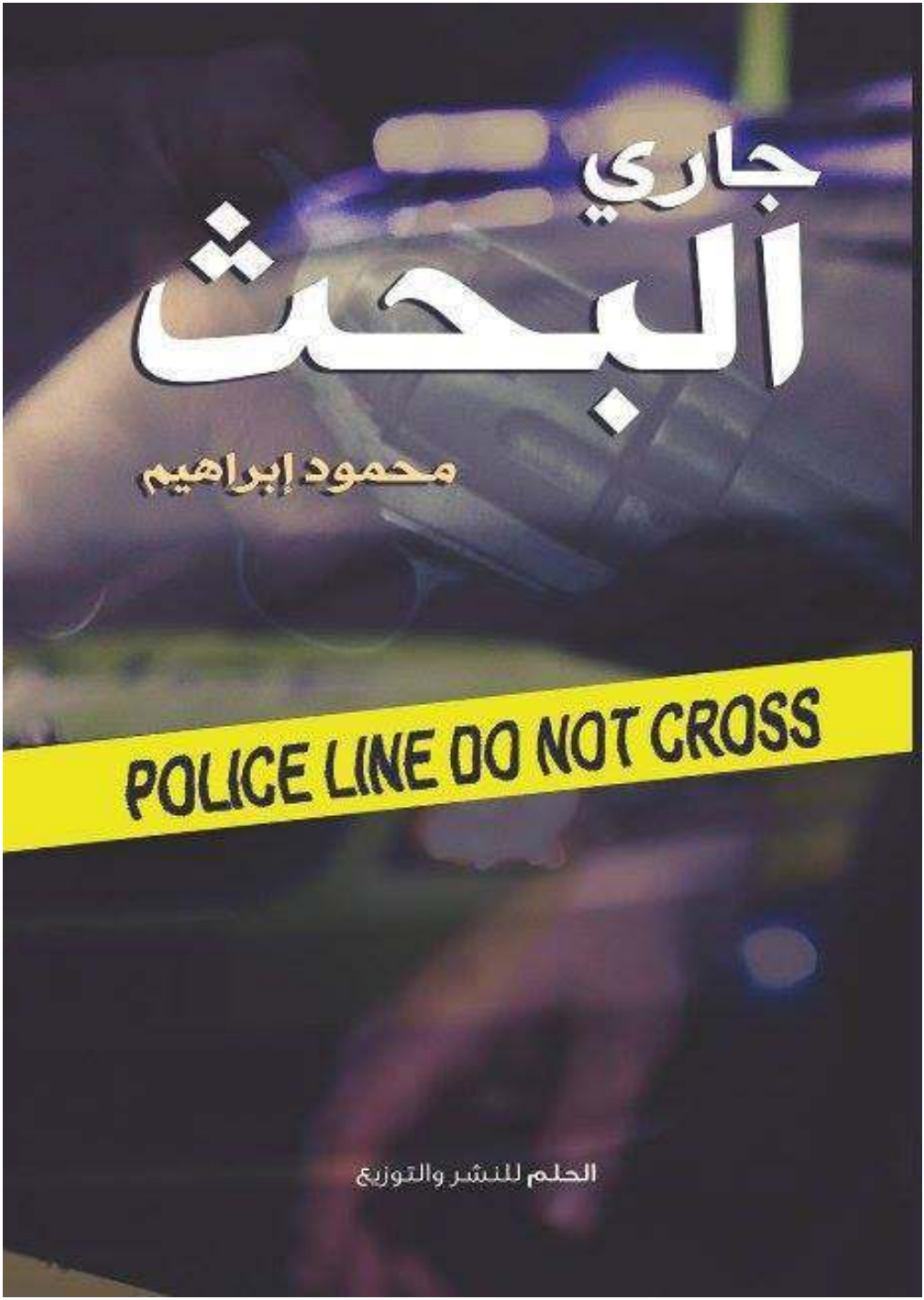
جاري
البحث
محمود إبراهيم
POLICE LINE DO NOT CROSS
الحلم للنشر والتوزيع

جاري البحث
محمود إبراهيم

رواية
الطبعه الاولى

دار الحلم للنشر والتوزيع
4 شارع الأشراف - من شارع مؤسسه الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

إخراج داخلي : الحلم للدعايه والاعلان

رقم الإيداع : 21814 / 2016
رقم الترقيم الدولي : 978-977-798-049-4

إن دار الحلم للنشر والتوزيع ، غير مسئووله عن آراء المؤلف وأفكاره ،وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار .

محمود إبراهيم

جاري البحث

إشاره

بعملى هذا .. أردت وبشده أن أتى من خلاله بجديد استحق عليه الوقت الثمين الذى سيقضيه كل من ساقه القدر - من حسن حظى - ليطالع ما تحويه الصفحات من قصص كان بطلها يعيش الى جوارى يوما ما .
كم تمنيت .. بطول سنواتى القليله التى قضيتها بالحياه أن تكتب لى السماء لعب دور الموفق بين فني القصه القصيره والروايه الطويله .. حلم لم يفارقنى ساعة وربما قد حان وقت تحقيقه .
ولا أعلم .. إلى أى درجه وفقت فى الصياغة والعرض لذا فأشهدوا .. ان حالفنى التوفيق فهذا حتما من الله .. أما وان اعترانى عطب فى الصياغة فهذا لتقصير منى بتشويش مقصود من الملعون بالدارين .

تمت كلمتى ...

القرار

مُتطلعًا إلى جو الفضاء وإلى نقطه اللامحدد أدار وجهه فأنكمشت اساريره وانقبض مُحياه لفحه الوهج الذى ينفثه قرص الشمس الرابض بسماء شكلت معالمها الصافيه بنثار سحب زرقاء كقطائف قطنيه تحبو فى هدوء وتأنى مُعلنه عما قريب ميلاد فصل الشتاء اخر ابناء العام السابع والثلاثين من عمر الواقف المتنسم لفتائل اشعه الشمس الدافئه التى ربما تشاطره لحظات الانتظار او التدبر فى امره .. اسدل اكفانه على بؤرتى بصره ليس اتقاءا لاشعه الشمس التى تحاصره فحسب بل ليبحث عن شىء ما تائه بين ثنايا نفسه .. شىء اذا ما وصل اليه سيحكم بكل تأكيد قبضته بشأن قراره المنتظر منذ اجل ليس بقريب .

القرار المُرتجى ممن حوله اجمعين فيما عدا هو .. لم يرد اتخاذه حتى استحكمت الدنيا من حوله فعصرته ببغض الظروف وتبدل الاحوال وها هو ألان يستشرف شاطىء مرساه وقد اقترب من قلعه .. قراره المنتظر .

تخطى عتبه الشرفه وتركها لتختلى بها اشعه الشمس المُحاصره ليس فقط لمنزله بل لنصف جمله الكوكب الذى ينتمى اليه .. هو من اعتاد التمرد منذ ان كان صبيا فأعلن رفضه لكل ما لايقبل فلم يلق تطفل اشعه القرص الملتهب استحسانا بقراره نفسه بعدما اقتحمت الاشعه الحمراء ظلام ليله الذى يجد معه وحده فرصه العوده إلى الحياه فعكرت سواد ظلامه وايقظت من حوله منابع الضوضاء المزعجه فأراد ان يبعث لها برساله متمرده مُعلنا استهجانه لها فأحكم غلق دلفتى الشرفه وتركها وحدها بالخارج لعل اشعتها تتعلم فى المرات القادمه أداب الزياره التى يُهملها الكثيرين وهى بالطبع .. من بينهم .

وضع فنجان قهوته داكنه الرائحه والمذاق جانبا فلم يزد بصف الاكواب

المرصوفه على طاوله الشاى سوى فنجان اخر ليزيغ ببصره ماسحا ارجاء المنزل .. المنزل الذى صار له وحده كما اراد .. فرحلت عنه زوجته مصطحبه بدورها طفلاه لتحيا بمسكن عائلتها .

فملأ الفراغ حياته من بعد رحيلها عنه وصار مؤنس وحدته التى اضحت واقع ملموس يحيا بظله او بالاحرى يتقلب بين احراشه وظلماته التى قد فرضت عليه او ألزم هو نفسه بها .

أحل بجسده وغز التنميل فأرق عليه جلسته التى رسمها على اريكه الصالون المكسيه بقطيفه مُحلاه بعناقيد ذهبيه تحيط بمخدعيها .

عالج آلامه بِأرتخاء جوارحه متوسطا فى جلسته قلب الاريكه القطنى الوثير ثم دقت برأسه اجراس الرحيل .. سافر بخاطره إلى ما وراء القرار المنتظر الذى أخذ يتدبره عقله فى حكمه هجرته منذ أمد ليس بقريب .. كان فى حقيقه امره يهيم شوقا وحنينا إلى اقرب الاقربين .. زوجته هاله وطفلاه يوسف و نور .

تطلع إلى صوره الحائط المتوسطه لجدار الصالون والتى يجتمع فيها بمن دق لها قلبه فشاركته الحب الصافى الذى أتى لهما من رحم السماء بطفلاه يوسف الذى يخطو بعامه السابع ونور التى تحلق بجناحيها الملائكيه اجواء الخامس من عمرها حيث توسط هو اللقطه الحانيه والتف حول عنقه خليفته فى الحياه يوسف فى حين حملت زوجته هاله التى تقف إلى جانبه نور التى لم تتخط وقتها فتره الفطام .

تذكر ايامه الهنيه كم اشتاق اليها .. وكم تمنى الدوام لحاله الذى اصابه لعنه أبدلته التغير على غير رضاه .

وما ان تذكر ما كان بالماضى حتى اخرس لسان خاطره الثرثار فأعتدل بجلسته مستغشيا وجهه بين راحتيه اخذاً بفرك اجفانه فى رجاء منه لها لكى لا تزرف مدامعه فنجح فى صد سيل الذكريات وحجب عن وجهه فيضه .. ثم رفع هامته فى حزن مكبوت فألتقطت عيناه برواز صغير يرقد على الطاوله

الصغيره المنصوبه امامه مباشره .. البرواز الحاوى بين اضلاعه صوره له حين تم ترقيته فأنارت النجمه سمائه وحلق النسر الذهبى حتى هدأ إلى جوارها مستقرا على بساط منكبيه ورج صدى النبأ ارجاء اداره البحث الجنائى وصار من وقتها .. المقدم / عمر نبيل زهران .

رجل البحث الذى أرهقته رحله كشف الاسرار التى دائما ما تحوط بكل قضيه يخطو بظلامها .. هو اسطوره بعالمه كما يدعوه اقرنائه واسطورته هذه كابدته ويل العناء حتى افقدته اغلى ما كان متنعما به .. فأضاعت عليه نفسه التى صار يجاهد سقمها .

هو ألان عليه الا ينتظر اكثر من ذلك .. فما أتى ربما لن يكون بحجم ما مضى .. هو ألان عليه ان يسمح بمضايفه الامل والرغبه فى الاستشفاء .. فقط عليه ان يتخذ القرار والا .... لن يعود كما كان .

وبينما هو غارق ببحر الاخذ بالاسباب انتقل بعينيه إلى تلك المفكره التى لا تتعدى بكامل هيئتها حجم كف صغير يُعد الخمس على اصابع راحته الصغيره مثله .. تلك المفكره التى اودعه اياها د / محسن .. الطبيب النفسى الذى اضطر عمر زهران الركون اليه بعدما احرق فى طريق البحث عن دواء يشفيه مما لحق به من هلاوس وضلالات افسدت عليه حياته ما يزيد عن خمسه عشر طبيبا ادعى كلا منهم من وجهه نظره .. دراسته للطب النفسى فآل به المآل اخيرا إلى من كان بالجوار وعيناه متغافله عنه او بكل صدق اراد هو هذا حتى ارهقته نفسه السقيم .

فدكتور محسن يشتهر بالبراعه الغير عاديه فى مجاله الذى يسره الله له فضلا عن كونه مقرب لعمر .. حيث كانت اداره البحث الجنائى لا تتحرج فى الاستعانه به والاخذ باستشاراته التى تحمل مهاره فائقه فى تفنيد وفحص دوافع وافكار اصحاب العقول الخربه والانفس المريضه ممن ارادوا اقتحام عالم الجريمه .

تصفح عمر المفكره بشىء من الرغبه والاقبال على الحياه الا انه اشاح عن

وجهه مطويه الدواء المرير الذى يواظب على تجرعه منذ اكثر من شهرين ولم ينوبه منه سوى المرار لينتقل بسرعه الريح إلى وصايا د / محسن له .. والتى قد خطها لعمر فى اخر جلسه علاج جمعتهما وقد استهل وصاياه .. ((ان اردت الشفاء .. فعليك الاعتراف بالداء)) .

هذه هى مشكلته التى علم بحقيقه امرها متأخرا لكنه ألان يريد الشفاء بكل ما تعنيه الكلمه من معنى هذا ما دفعه إلى التطلع لوصايا دكتور محسن بعدما كان غير مُبالى لها تماما ..

فبأعترافه بمرضه يكون قد انجز نصف الطريق برحله العلاج هذا ما أكده له د / محسن

ولكن ماذا بعد ؟!! .

انتقل فى خفه الفراشات ليمتص رحيق ثانى الوصايا الصادقه للطبيب المقرب والتى حملت اليه هذه الكلمات .. ((دون ما استطعت من افكار وخواطر واجعل من قلمك سوط حازم تروض به هلاوسك وضلالات عقلك .. فأن احكمت قيدها .. لن تراودك ثانيا)) .

اطرق عمر التفكير إلى ما اصطف امامه من كلمات حملت اليه نصائح طبيبه المشرف على حالته والذى بالطبع يريد له كامل الشفاء وبكل تأكيد لن يخدعه بل سيصدقه بكل كلمه خطها له من قواعد مرشده له بطريق البحث عن الشفاء .

حدثته نفسه بالكثير من وقع الكلام فهامت الافكار لتداعب عقله حتى ازدحم برأسه صندوق المراسلات .. فلم يضع من الوقت الكثير حتى التقط قلمه واحضر رزنامه الورق الابيض التى كان يتحفظ عليها بحقيبته الجلديه التى لا تفارقه واخذ يخط على صفحاتها ما تواتر عليه من فيض الاحاديث المحاوره لعقله المشوش .....

((لم اكن اعلم يوما ان حياتى ستنقلب إلى هذا الحد المخيف فأصير غريق بمحيط امواجه عاتيه .. لا ترحم .. ليحط جسدى بالقاع فتحبس انفاس

الحياه عنى مقهورا وليس عن تراضى منى .. فأنا ألان بداخلى تائه يبحث بشده عن ملاذ آمن .. فالملاح التائه بداخلى صار وحيدا فقد بوصلته فى الحياه .. اصبح العالم من حوله غريب .. مسخ .. يتجمل بالاسرار فيجذبنا الفضول إلى احضانه فتكوينا حقيقته المُره .. ليست عاده بالطبع هكذا .. لكنى ألان كلما اردت التقرب منه ازدت بعدا عنه ولهذا أكد بكل جهدى باحثا عن ملاذى الآمن آملاً وممنياً نفسى الضائعه ان أجده عند ملازمتى لقرين والدى .. لعلى اصل إلى قشه الحياه .. فلا اغرق !!!)) .

وضع قلمه كما وضعت عنه ضلالاته التى كثيرا ما تراوده عن نفسها فتأتيه لتداعب عقله حتى ترهقه .. سكت لاهثا كأنما انهى لتوه مارثون الالف ميل. بهذه الكلمات اعلن عمر ضمنيا حسمه لموقفه من رحله العلاج .. بهذه الكلمات استجاب عمر لنداءات من حوله وقد جاءه نداء نفسه الذى طالما كان قيد انتظاره .. فقط عليه ألان تلبيته .

حمل عمر جسده ونفض عن ام رأسه شياطين الضلال فهرع بكامل خطواته المذبذبه قليلا مقتحما غرفه نومه فأستبدل ملابسه وغطس سريعا إلى داخل معطفه الصوفى داكن اللون وقبض على حقيبه اقتربت فى حجمها تلك الحقائب المتعارف عليها عند السفر .. فقد داوم منذ شهر او ربما اكثر على اعداد حقيبته استعدادا للرحيل ليغادر سجن منزله ورغبته فى تغيير اجواء بيئته الكئيبه حيث ألح عليه سيد علاجه د / محسن بأن يحاول الهرب من بين احراشها لكى لا يصير حبيسها إلى الابد .

جر خلفه حقيبته المُعداه منذ اكثر من شهر حيث اعتاد توضيبها كل يوم حتى حفظ ما بداخلها من اغراض شخصيه سيحتاج اليها برحلته حتى وصل إلى غرفه الجلوس فنال المفكره الارشاديه ورزنامه الورق واطاح بهما إلى داخل حقيبته الجلديه التى لا تفارقه ثم القى اخر نظراته ماسحا ارجاء ما كان بالسابق منزله حتى صار محبسه لينتهى من وداعه لجدران شواهد حياته فأدار مقبض الباب ودفع بنفسه إلى الخارج بصحبه حقيبته الكبيره

والصغيره فدس المفتاح بمعوره واحكم حبس ماضيه بالداخل حتى نما إلى اذانه ثلاث دورات محكمات ثم غرب عن باب الاسر .

غادر عمر منزله وكأن حكم الافراج قد وصل فى لحظته فهرب إلى منابع الحريه التى اشتاق لها كثيرا الا انه قد نسى او ربما تناسى هاتفه الذى اخذ يصدح برناته المتواصله دون انقطاع فحملت شاشته الصغيره اسم المتصل والذى كان .. د / محسن يتصل بك .

حجل عمر بخطواته المهروله متجها بحقيبه السفر التى يجرها خلفه إلى سيارته الداكنه ماركه جيب المغطاه بغبار الزمن فأطاح بالحقيبه دون رحمه إلى داخل السياره فأستلقت هى بدورها على الكنبه الخلفيه متصنعه من حالها وضع امرأه لعوب تجهد اعضائها لاثاره من لن تهتز له شعره حتى دفع هو بحاله مستقرا امام عجله القياده فدب بنصل المفتاح فرج كابس اداره السياره (الكونتاكت) حتى نهره بعدد من مرات المحاوله فرحم المحرك نفاذ صبره وتفضل عليه بذبذبات الاداره الا ان الرؤيه كانت ضبابيه تماما امامه كأن مقاول احدى العمارات الناطحات التى ترفع بمنطقه سكنه لتحبس عنها اشعه الحياه عما قريب قد اخطأ موضع تلال الرمل فأهالهاعلى لوح الزجاج الامامى لسيارته .. كيف يجرؤ هذا الجلف على الاتيان بما حل بسيارته .. ألم يلاحظ كفيف الحال بادج النسر الملطوع بأحد الاركان العلويه من اللوح الامامى ام ان النسر ذاته قد اختنق مما اثارته رمال المقاول الاعور من غبار .. فحلق بعيدا عن السياره وجعل موقعه شاغرا .

انتصبت اعواد المساحات فتراقصت امامه فى محاوله منها لاثارته ولكن هيهات .. فقد سبقتها من هى اسمن منها واكثر اثاره عنها ولم تفلح محاولتها .. هذا ما أكده لها عمر فأسكتها وكسر وسطها الهزاز حين اعلن رضاه عما قدمته له من خدمه تنظيف اللوح الامامى .. حتى وضحت له الرؤيه وعادت رائقه بشكل مقبول .

ضغط على دواسه البنزين واستحكم قبضتاه بعجله القياده مستعينا بصاحب

الاعانه وحده سبحانه ثم انطلق إلى مبتغاه .
وبينما يطوى عمر صفحات الارض اسفل عجلات سيارته .. تذكر ان ثمه انسان عزيز عليه كان يجب ان يودعه قبل ان يبدأ رحلته التى لا يعلم كم ستستغرق ومتى ستنتهى ؟؟
وعلى الرغم من ان طبيعه من مثله لا يطيقون لحظات الوداع ومدامع الفراق خاصه اذا جاءت من عزيز ولاسيما .. أمه .. اقرب الاقربين إلى قلبه .
داهمته عقارب التفكير فسد عن مسامعه وساوسها البغيضه وقرر الاستجابه لنداء من لازم نبض الحياه قرب قلبها تسعه اشهر من عمره الذى بدأ عده التنازلى بعدما اصطدم بالارض واطلق صرخته فأحتضنته مهونه عليه ما سبق وان اعد له برحلته الطويله فى الحياه حتى صار منذ ذلك الحين ملازم لقلبها العطوف الذى دمى باكيا على حاله وما اصاب اوردته من تصلب فكانت تطربه بأنغام دعواتها الصادقه فى كل ليله حتى بعدت عنه .. لم يرد تركها تصارع أسر القلق الذى بالتأكيد سينفرد بها ان علم برحيل وحيدها عمر .. الابن والسند لها .
فبسرعه رياحين الاخوين طوبه وامشير وجد عمر سيارته التى حملته إلى منزل والدته فألزم محركه التوقف وترجل هو لاهثا حتى صعد إلى بابها طرقه بدقات ذات نغمه مميزه لها وقع منتظم أمه وحدها من يستطيع قراءه نوته دقته حتى وان عزفت وسط صخب اوركسترا جميع عازفيها بالصف الاول الابتدائى .. دق بابها مرات ومرات .. لكنها لم ترد الاجابه .. يعلم كم هو مُقصر بحقها كم اشتاق لدفء حضنها؟.. الدفء الذى ابردته الايام التى قضاها عمر بعيدا عن اعين الجميع .. ايام جمدت علاقته بمن حوله .. اقترب برأسه من صدر الباب وعينيه دامعه فوشوش إلى الفراغ القابع بالداخل بكلمات الاسف من قلبا يعتصره الندم .. قبض على تميمه سلسله عنقه التى اهدتها له أمه يوما لتحفظه من شر نفسه وتصونه من كل عين .. لم يرد التميمه ولا السلسله بل رجى التطلع بوجه من اهدتها له يوما .. يوما

لعله يعود ليتنعم من جديد بالنظر إلى وجه أمه الصبوح .
مسح بظهر يمناه مدامعه وتطلع بصفحه الباب المُحكم امامه وانحنى ليقبل قبضته التى لامستها يد أمه .. أراد ان يقبل يدها التى غاب دفئها عنه .
لم يطل عمر الانتظار برصيف محطه الوداع لمنزل أمه .. اسرع ليلحق بقطاره التى اخذت عجلاته بالدوران على قطبى السلم المتعرج حتى غادر محطته فى هدوء .. عاد عمر إلى سيارته ليستكمل طي صفحات سجل رحلته .. رحله البحث عن شربه شفاء .
انطلق عمر بسيارته مستسلما لها تماما حتى قادته إلى حيث اراد القدر لعله يمنح فرصه اختلاس شىء من نظرات الحنين إلى من يعود معهما طفلا ان اجتمع بهما طفلاه يوسف ونور .. اللذان ابتعدا عن دفء حضنه وتركا موقعهما فى حياته شاغرا فأحترق قلبه ولعا وشوقا لرؤيتيهما .. ألان فقط عليه ان يشاطرهما شغف سماع دوي قرع الجرس الذى سيذيع للجميع نبأ انهاء ساعات اليوم الدراسى .. معلنا ساعة الرحيل .
حينها سينعم بملاقاه احب الناس إلى قلبه ولكن كيف ؟ .. كيف وبأى وجه سيلاقى طفلاه .. ماذا سيقول لهما ؟ بعدما انقطع عنهما وانعزل بحاله لمده كادت تقترب من نصف عام .. سته اشهر لم يسمعهما فيها نبره من صوته .. كثيرا ماترددا على عزلته ودق باب كهفه وقرعوا له الف جرس وجرس واهالوا عليه النداءات ليخرج لهما .. ليلاقيهم حتى طال عليهما الانتظار امام عتبات محبسه فملوا الوقوف على بابه ورحلوا فى كل مره محملين بأطنان من اليأس والحزن على ما أصاب والدهما .
كانوا فى كل مره يدقوا فيها على بابه يبقى هو مرتعدا خلف الباب يعتصر الدمع عيناه حتى تتورم اجفانه وتستوى مقلتيه حمره يكاد الدم ينبجس منها فيتصبب عرقا يكاد يغرقه من كثرته كاتما انفاسه متكتما على نحيبه الذى يريد ان يطلقه بصرخات جلله حتى يتناهى إلى مسامعه وقع الخطوات الحزينه اليائسه التى تنزل درجات السلم مبتعده عن عتبه الباب المغلق

القابع خلفه الأب الذى يعانى آلالام لم يرد اطلاع طفلاه عليها لكى لا يتقاسما معه مرارتها التى فضل ان يعانيها وحده .. فعهدا إلى زوجته بمهمه رعايه الاولاد حتى يقضى الله له بالشفاء او ان يقضى المرض عليه .. ان كانت هذه هى اراده الله .

قرر عمر البقاء داخل سيارته بعدما راودته فكره الرحيل عن المكان الا ان الأب الذى بداخله قد اشتاق لرؤيه ابنائه وعليه ان تستجيب جوارحه لنداءات شغف الابوه الذى وهج بقلبه فعزم الرضوخ لصوت الأب الصارخ وعقد حاله امام مقود الانتظار .

مرت الدقائق فى بطىء وتثاقل مخيف كأن عقارب الساعه صارت طاعنه بأواخر العمر فأضحت مُسنه عجوز تتحرك على ثلاث تستند بعكاز متهالك احنى الزمن قبضته وسلي الدهر عوده وانبرت نهايته من كثره مصافحتها لتراب الارض .. باتت عقارب مُسنه تعد خطوات زمن تحسب ان له نهايه ولكن بُعدا لمثل هذا الحسب العقيم .. فالزمن هو المخلوق الوحيد الذى لا يرتكن إلى شمس او قمر ومن عجب العجاب اننا نحسب مراحل حياتنا من خلاله فيمر هو علينا ضاحكا مستغربا حال من اضاعوا العمر فى انتظار ما لانهايه له !! .

وبينما اخذت تتصاعد ابخره غليان الحال بعمر مُعلنه عن نفاذ صبره الذى عانى ويلات ملل الانتظار .. لاحت امامه سياره مرت بمحاذاته بسرعه البرق فرعد سنا ضوء انار عليه ظلمات عقله المُجهد فأنتصبت ذاكرته واهاجت برأسه الذكريات حتى أبلغته ألسنه لهيبها فى الحال بأنها سياره هاله زوجته التى حطت امام البوابه الحديديه الضخمه لمدرسه الاولاد وترجلت من مقعدها فعقدت رحالها بمحاذاه سيارتها وعلقت بصرها بأتجاه المنفذ الوحيد للبنايه التعليميه الضخمه فلم تلمح سياره عمر .. جاء ذلك ربما بفعل غبار اشهر الهجر التى أكلتها ليس برغبه من عمر لكن خشيه عليها وعلى الاولاد من نفسه التى قد مزقت اربا تحت سكاكين وسيوف مرضه اللعين .

لم يحرك عمر ساكنا سوى انه اسدل نظارته الشمسيه قليلا واخذ يتفرس فتاته التى انشدها قصائد العُرب والطرب حتى حطت الدنيا اوزار الفراق بينهما فأنزوى هو بعالمه المشوش المليء بالوساوس والتخيلات المثيره للغرابه واحيانا للشفقه حتى اجبرتها قساوه الايام الحرجه التى ملئت حياتهما فانصاعت لالحاح عمر لكى تهجره وتتركه وحده بين آلامه لتنفد بالاولاد بعيدا عن من اختلت نفسه .....

رحمه قرع الجرس المنطلق من بطن المدرسه معلنا موعد الرحيل حتى انتفض عمر فى جلسته فاعاد غطاء وجهه الاسود إلى عينيه كأنما يريد التخفى خلف نظارته الشمسيه لكى لا يلمحه احدا فى الوقت الذى اخذ يترقب فيه بكامل جوارحه وحواسه خروج الاولاد بعد ان انفرجت البوابه الحديديه الضخمه واندفع منها كم هائل من صغار الجنس البشرى فزاغ

ببصره هنا وهناك حتى كاد ليخرق الزجاج الامامى للسياره بحثا عن طفلاه إلى ان وقعت عيناه عليهما .. على يوسف ونور قضمات من قلبه قد تدلت امامه حتى نضجت وصارت قلوب صغيره تخطو بساقين وتلوح بذراعين مفتوحين عن اخرهما لمن يمد لهما يد الحنان والرعايه والاهتمام وهذا ما بخل به عمر على طفليه .

اندفع الاولاد فى براءه بين ذراعى هاله الأم الحنون واخذا يمطراها بقبولات انارت وجنتيها امطروها ابتسامات لا تخلو من مسحه مرح جميل فأخذت هى تداعب حسهما الطفولى الشقي شقاوه محببه إلى نفس الأم .. الا ان المنحصر على نفسه داخل سيارته اخذ يجاهد دفع ما عبث نابشا خاطره بتمنى اعور .. كم تمنى ان يقف موقف هاله لينعم بفيض البراءه المندفع بكل طاقته من بين جنابات طفلاه .. لماذا هجر الاقربين اعز الناس إلى قلبه .. حينها .. حينها فقط علم ان لمرضه مراره حارقه وحده من يدركها جيدا .

حملت هاله الاولاد إلى سيارتها وقادت بهما إلى حيث تشاء .. بينما انعقد عمر امام المقود وراح يجفف البلل الذى خلفته دموعه اثناء سقايتها لنباتات

ذقنه التى نمت على نحو متناسق فى انتظام ادار بوجهه الا ان مشاعر الندم والحسره لم تفارق جنابات قلبه فأشعرته بمدى ضعفه وسوء ما آل اليه حاله .. وما ان هدأت عنه ألسنه الندم وبرد لهيبها حتى استعاد بعض من وعيه وقوته الواهنه بقدر اعانه بالكاد على مواصله رحلته لينطلق فى طريقه لعله يصل إلى ما سيعيده لسابق عهده كما كان .. كباقى اسوياء البشر .

ليعاود القدر التلاعب بحال من ضل السبيل حتى ساقه هذه المره إلى رحاب مسجد سيدنا الحسين فأمطرته سماء بوادر فصل الشتاء بسهام الدهشه التى حاول اتقائها بدرع التدبر لكنه لايزال اسير حيره امره .. لماذا قادنى قدرى إلى حيث ها هنا ؟!! .. تأجج السؤال الحائر وصال برأسه وما لبس حتى اسمعته ذاكرته ندائها البعيد فأوردت عليه بصوره والده اللواء / نبيل زهران .. الذى رحل عن عالم عمر فافتقد من بعده القائد والمُعلم .. سرعان ما نجح عمر فى الربط بين تذكره لصوره والده الفقيد وبين ساحه المسجد المباركه فهذا المكان العطر كان اخر ما حل عليه جثمان والده قبل ان ينال تأشيره الخروج إلى عالم السماء .. لتمر الدقائق فى خفه غير معهوده لها حتى ادرك مغزى الرساله فراح يلبى النداء .. كما فطن .

بيوت الله على الارض رحمات لن ينال طيبها سوى عُمارها لكن رب الخلائق قد اصبغ على ذاته الكامله صفات الرحمه والجود والكرم فكان لزوار بيوته نصيب من جود وكرم لا اخر لهما .

علت تكبيرات المؤذن فأصدح صداها القوى العذب جنابات صدر محموم النفس تائه الحال حتى نعم بدفء الجماعه اثناء تأديته سجدات اربع لركعات صلاه الظهر .. حتى فرغ من صلاته فتكور على نفسه رافعا كفيه بالدعاء إلى الله طالبا العون والاعانه منه وحده فتعالى نحيبه حتى اهتز جسده وانتفض قلبه بصدره راجيا رب السماء ان يستجيب لدعائه فردد ايات من الذكر الحكيم ((رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين)) ايه اوجزت وصف حاله كما ألهمها الله من قبل لأيوب الصبر .. رددها بقلب

ارهقته النفس بما حل بها من مرض اطفأ نور ما بداخله فصار متخبط ضال متعثر الحال يلهث بدرب تمنى لو ان يرى فى نهايته ضي يهتدى به إلى نبع الشفاء .

سكنت الجوارح وهدأ عنه آلم الحال فأنتصب مودعا الرحاب المباركه لمسجد حفيد المصطفى صلى الله عليه وسلم فأودعه السلام راجيا من ربه ان يكتب له السلامه فى رحلته المنتظره .

فارق عمر ساحه المسجد واحكم رباط حذائه وجال ببصره ماسحا ارجاء المكان فألهمه الارهاق الذى حل به وقرأ عليه رسالته التى احثه فيها بمدى حاجته للركون بمكان هادىء يعينه على استعاده ما فقده من طاقه منذ الصباح حتى وقعت عيناه على ركن بعيد سكنت عنه الضوضاء وخفت من عليه اقدام بنى البشر بهذا الحي العتيق فهرع بخطوات متعجله ألقاها اسفله ليحل بجسد مرهق ضيفا على مقهى الفيشاوى .. مرسلا بطلبه إلى عامل المقهى فأملاه مشروبه الرسمى الذى لم ولن يتخلى عنه منذ صباه .. حلبه بحليب .. قذفها عامل المقهى وصاح بصوته حتى أذاع بطلب الضيف السائل انحاء المكان فعلم الحاضر وربما الغائب بما انتوى عمر التنعم به من مشروب ساخن يبث إلى نفسه وعقله بدفىء ما احوجه اليه ألان .

وبينما ينتظر عمر ان يكمل عامل المقهى حسن صنيعه فيحضر له مشروبه .. حاول جمع شتات فكره فلملم خلجات نفسه واراح عن كتفه الايسر لجام حقيبته الشخصيه فشق عن بطنها وعبث بيمناه بين احشائها حتى قبض على قلمه ثم استولد منها حافظه جلديه داكنه اللون يشيع قلبها بنور ساطع من رزنامه الورق التى تحفظ عليها بين دفتى الحافظه الجلديه التى قرر ان يأتمنها على ما يراوده من افكار عائده له من الماضى البعيد او ربما القريب .

اراح حقيبته الشخصيه إلى جواره بعد ان اخاط الشق الذى احدثه ببطنها فسكن آلمها الذى انتقل اليه واخذ يعبث برأسه فلاحت خيالات تغدو وتروح امامه والى جواره ثم خلفه لترتفع اعلاه ثم تهبط فجأه اسفله خيالات وحده

من يدركها تماما .. كما يدرك حاله المضطرب فلم يطل عليه هذا الحال كثيرا لأن .....

- الحلبه منه فيه يا أستاذ .. الف هنا وشفا على قلبك .

انتفض عمر منتبهاً إلى عامل المقهى الذى القى بكلماته هذه على مسامعه فأيقظه من غفوته فوضع قدح الحلبه وزجاجه مياه معدنيه على الطاوله وفر من امامه فى خفه نسر تجسد على هيئه بشرى يتحدث بلسان عامى اقرب إلى سوط غمسه الجلاد بزيت حار وارهب به سامعيه من زبائن المقهى .. لكن هذا كله قد طرحه عمر جانبا بل وتناساه مع أولى القبلات التى اخذ يرسلها إلى قدح الحلبه فأنعشه مذاقه المُدهش وارتخت عضلات جسده واراح ظهره ليملأ بكامل جسده مقعده واخذ يتنسم شعيرات الدفء المتصاعده من القدح القابض عليه بأم كفيه كأن لص أراد ان يسلبه اعز ما يملك فأحكم قبضته على خناقه وحلف بأغلظ الايمان الا يتركه حتى اخر رشفه من دمه .

جال عمر ببصره فبدا العالم من حوله مشوش الرؤيه .. مشوش تماما .. شعر ببوادر لعنه الصداع التى كثيرا ما تطارده وما ان لبث حتى اخذت تعصف برأسه .. فأغرورقت

عيناه بدمع ملتهب وتكاثفت قطرات العرق على جبينه واحتقن حلقه وجف فمه فشهق وسعل بشده حتى تقوس ظهره وانتفخت اوداجه ففقد السيطره على حاله اطاح بالقدح المدلل جانبا وراحت الدنيا من حوله تصرخ فصارت سماء الدنيا اسفله ورفع سواد الارض اعلاه وضرب من حوله بستائر رماديه رأى فيها انعاكس ما يراوده من هلاوس وضلالات فضرب بيده على غير هدى منه جيب بنطاله الايمن واخرج شريط اقراص المرار فقأ احدى اعينه حاول ابتلاع القرص الا ان رعشه يده اسقطته من بين انامله حاول فتح زجاجه المياه لكن رجفات يده قد منعته ثوانى .. حتى اطل عليه شبح .. شبح رأه ماثلا امامه بكامل هيئته .. شبح اجهد اداره البحث الجنائى عن بكره

ابيها وامها إلى ان جاءه عمر فأحكم قيده حتى استحق نيل ترقيته بعدما اوقعه بشباكه التى لا تخطأ البحث مطلقا .

شبح العاصمه

" الانسان كائن صغير يظل هكذا ما لم يصبه ظلم فأن أصاب
سيتحول بالقدر العظيم الى غايه الوحشيه .. بالقدر الذى لم
تصدق عنده ان هذا الماثل امامك كان بيوم من الايام .. انسان "

لم أذق للنوم طعما ولم تودنى رائحته منذ اول امس .. أكاد اسقط فاقدا للوعى او فاقدا كل شىء حتى رأسى المسنده على ذراعى المنعقده أسفلها بسطح المكتب ثقيله كثقل الملفات والتقارير التى ازدحمت امامى وتكومت فأضحى المنظر مألوف.. كمدينه حجبت عنها ناطحات البنايات الشاهقه زياره أشعه الشمس لجوها .. كما اننى ألفت حالى المتعب منذ أن التحقت بفرق البحث الجنائى .. حراس الاداره التى لا تنام .. فقط تبحث .. وتبحث .. وتبحث حتى تصل إلى ما يحسبه أحفاد الشيطان مستحيل كشفه ظنا منهم خطأ بالطبع أن هناك ما يعرف بالجريمه الكامله .. هذا ما ينفيه عن عالمهم البغيض رجال البحث الجنائى .. أمثالى .

طرق باب المكتب بُعقله أصبعه الوسطى كعادته فعزف رنته التى تسبقه دوما ثم اقتحم المكتب وفى يده إشاره ما ان وقعت عيني على الورقه الخضراء المائله للزرقه المطويه أربع ارباع حبيسه قبضته .. حتى تبينت ان هناك أمر عظيم ينتظرنى ؟! - عمر بيه .. ازيك .. واضح انك مرهق جدا يا فندم قالها النقيب (مصطفى سرور) معاونى الفطن سليم الهيئه بشكل لا يوصف والمحافظ على لياقته البدنيه لأبعد الحدود يلمع وجهه دائما لشده مواظبته على حلاقه ذقنه ربما لا تفارق جيبه ماكينه الحلاقه ليقشط بها وجهه كلما دعت الحاجه .. مهندم الرأس كهندام ملابسه يلمع الذكاء بعينيه كما تلمع ساعة يده ابنه الماركه الشهيره رولكس .. وهذا سبب انجذابه بشده لها فهى لا تفارق يسراه .. كما لا يفارق جنبه مسدسه المحشور دائما بحزام وسطه اللامع بمقدمته توكه مميزه للغايه كشخصيته تماما .

- منمتش من أول امبارح .. ويادوب هما عشر دقايق اللى غفلت فيهم قبل

ما تهل عليا ..

المهم .. خير فى ايه ؟

انفرج ثغر المعاون بأبتسامه كشفت عن انياب قضيه جديده وقعت احداثها منذ قليل أمدنى بالورقه التى تحمل الإشاره بمكان الحادث وطلب متعجل بأتخاذ اللازم لأنجاز مهمه فك طلاسم تحيط بملابسات ما وقع من جريمه .

تناولت الإشاره وما ان وقعت عينى على أسم المجنى عليه حتى انتفض حالى فنفضت عنى غبار الارهاق وتساءلت فى صدمه !!

- حسام مندور .. ابن اللوا مندور العنانى صاحب الفضل عليا وعلى معظم ابناء عملى .

لملمت اغراضى على عجاله من أمرى ولم انس اصطحاب صغيرتى المدللة ذات الرداء الجلدى الاسود المثير لافكارى وخير أمين لما اخطه بقلمى لتحفظه صفحاتها من ملاحظات تساعدنى كثيرا للقيام بواجبى على أكمل وجه ممكن كما ارجو .

أسرعت إلى مكان الحادث حملنى الريح إلى هناك عملا بأول درس تلقيته منذ ساعاتى الاولى بالبحث الجنائى والتى تتلخص فى أن الاسراع لمعاينه مسرح الاحداث يوفر على الباحث كثير من العناء وربما سيمكنه من حل اللغز من أول نظره له يمسح بها أرجاء الموقع .. هكذا تعلمنا ولكن بظنى ليس كل ما نتعلم يفيد او يصدقنا القول .. ليكن دعك من التنظير ولنرى ماذا حل بزميل العمل الضابط الكفؤ الذى قد فارق الحياه بنهايه لم تنذر بُحسن خاتمته تماما .

بشقته التى كان يوضبها استعدادا لزيجته الثالثه والتى أراد ان يبعدها عن نظائرها فحمل فتاته إلى أعلى هضبه المقطم حيث المنزل الذى لم ينتهى بعد من مهمه تجهيزه لاستقبال فرحته الثالثه .. الا ان الامر البادى كقرص الشمس فى حمرته وكما تشى لى الشواهد لتقر بأن المكان قد شهد منذ قليل .. اشتعال حلبه مصارعه عنيفه جمعت مابين الجانى والمجنى عليه .. صراع

شرس تحرر من كل القيود والقوانين لينتهى بتوقيع شهاده خروج الضابط الصديق ليس من الحلبه فحسب .. بل من الحياه كلها .

غادر جاحظ العينين بلسان منتصب عن أخره واوداج نافره بعدما لويت رقبته بحركه عنيفه جعلت وجهه بقفاه او العكس فحبست الدماء عن رأسه فبددت صفحه وجهه منقطه بألوان جمعت بين الصفره والزرقه الداكنه تماما.. كالمختنق .

بعد حلقه بحث لم تدم طويلا مسحت خلالها الاركان سريعا بدا الامر غريبا بعض الشيء لم يسرق شيء من المكان لم يكن هناك سوى اجواء عنف تركها القاتل قبل ان يغادر بعدما اشفى غليله بضحيته .. الامر لم يريحنى على الاطلاق ولعل تقرير المعمل الجنائى او وارد خبير البصمات يأتيان بجديد .....

فى طريق العوده إلى مكتبى انفرد برأسى التفكير أخذ يلتهمنى ماذا سيحل بوالد الضابط حسام ان علم بمقتل ولده الوحيد ؟ .. ماذا سأقول له ان قابلته ؟ .. حتما ستقع عينى بعينه لتأديه واجب العزاء ولتقصى بعض الامور المُلحه للتوصل للجانى حتى دق هاتفى فرددت على المتصل صاحب الصوت المألوف جلاب الاخبار الصاعقه .

- ألو يا درش .. فى جديد ؟

جاءنى الرد من المعاون النشيط سفير القضايا الملتهبه ليحرقنى بصاعقته

- في يا فندم .. اللوا مندور العنانى .. تعيش انت

- ايه ؟!

قذفتها إلى مسامعى بعفويه لا اراديه كنت منذ ثوانى أحدث نفسى بأمر الرجل المُسن حتما لم يتحمل هول الصدمه فأنا أب وادرك ما اعنيه جيدا .. لم يطل المعاون كثيرا فأتانى صوته مجددا ليتم باقه اخباره وليرعد مسامعى بجملته الناهيه الناجزه .

- اللوا مندور العنانى .. اتقتل يا عمر بيه

صمتت عنى الحياه ورحلت بصخبها وضجيجها البغيضين حتى تسمرت كامل حواسى حين وقفت امام جثه الاب الذى لم يرد له القاتل مكابده مشاعر الحزن والاسى على فارق ولده الوحيد .. فأرسله له ليشاطره الاحزان عن قرب بالعالم الاخر .

اثناء معاينه الجثه الغارقه بمسبح احدى مراكز العلاج الطبيعى التى كان يتردد عليه المجنى عليه لتلقى جلساته العلاجيه وجدته لم تتغير صورته الاخيره عن صوره ولده فبدا جاحظ العينين منفرج الفم ولسان منتصب واوداج منتفخه لرقبه قد لويت بعنف .. فضل صاحب الجثه الاتجاه حتى اصطدم بما حطم فقرات عنقه الغضروفيه فحبست بحلقه انفاس الحياه وغادرت روحه جسده فى نهايه لم تنذر بُحسن المآل على أيه حال .

الا ان الغريب والملاحظ هذه المره هو افتقاد اليد اليسرى للقتيل اصبعين بدا الامر وكأن سكين قد حُمى على حجر موقد بجمر الغل والبغض والرغبه المتوحشه فى الانتقام ليقطع بحده اصابع الرجل .. لكن لماذا .. لماذا أتى القاتل بمثل هذا الفعل .. حتما يريد ان يبعث لنا برساله ما مؤداها ؟ .. الله وحده اعلم .. ولكن ماذا عن جثه الابن لم تسمح لى نوبه الارهاق التى اعانيها بسبب ندره ما تحصلت عليه من راحه لأعاين جثه الابن بشكل تام هل حملت نفس الرساله التى وقعها القاتل بجثه ابيه ام ان هناك اختلاف فى الامر ؟! .

- واضح اننا قصاد جريمه قتل مسلسله القاتل فيها واحد الظابط حسام مندور اتقطع من

ايده الشمال تلت صوابع .

قال د/ صادق كلماته طبيب الطب الشرعى الخبير وان لم يحمل هو شهاده الخبره فمن عساه ان يضاهى بعلمه وخبرته عقل كالذى يتربع بالرأس التى يحملها د / صادق فوق كتفيه فهو رجل شهد بعلمه وخبرته اكابر من شاركوه مجال عمله .

أدرت بصرى تجاه فم المتكلم فواصل هو حديثه
- مش مهم العدد دلوقتى المهم ان اللوا العنانى مش هو اخر ضحايا الشبح .. شبح
العاصمه خلاص كشف عن قناعه وحل قيده ونصب من نفسه جلاد هيبتر بسيفه اصابع
العبث لأيادى الفساد المتحكمه بعقول وبطون وغرائز الشعب ده وللاسف الشديد هيعيش
وهيموت ناسه .. مغلوبين على امرهم .
- شبح العاصمه .. شبح ايه يا دكتور ؟؟.. ارجوك أنا منمتش من .....
قاطعنى بأيماءه أمرنى بها ان القى نظره متفحصه على شاشه صغيره لمعت من هاتفه الذكى الكبير حيث انارت لي الطريق وكشفت عن مجموعه اخبار متواتره بطلها موقع اخبارى جديد يحمل عنوان (شبح العاصمه) والذى وصفته باقى المواقع الاخباريه المنافسه له بوكيلكس المصرى والذى يتولى مهمه كشف النقاب عن قائمه سوداء حوت بين سطورها اسماء اكثر من عشرين شخصيه عامه وهامه اثبتت الوقائع والمستندات التى بثها الموقع من سقوطها بهوه الفساد التى يعانى مجتمعنا منها امر المعاناه يجاهد لاجل الخروج منها لكن لصناعه الفساد حيتان مسيطره على بر وبحر بلد يعيش اغلب اهله بفطره الاجداد .
مر بطرف سبابته على الشاشه فتحرك موج سريع من الاسماء بطول القائمه السوداء التى اوردها الشبح حتى ثبت على اسمين اسفل صورتين تخصان الاب والابن المجنى عليهما وربما سنكتشف بنهايه المطاف عكس ذلك .
بعد دقيقتين او ثلاث دقائق على الاكثر انتهى حديثى مع دكتور صادق الذى أكد لى صدق حدسه وشدد بعزم الواثق من رأيه بأن هناك ضحايا اخرين يحجزوا مقاعدهم بالقائمه التى سيكشف عنها شبح العاصمه بالقريب .. فكن متيقظ هذه هى نصيحته لى وعلى ان انتبه لها .

ربت على كتفى وغرب عنى تركنى حائر بين رقمين هما ثلاثه واثنان إلى ماذا يشيران ؟

ماذا يريد ان يخبرنا القاتل المُسلسل .. هناك رساله مشفره يريد ان يعبث معنا بها ولكنى لن اهدأ الا اذا قمت بفك شفرتها .

غادرت مركز العلاج الطبيعى بعدما اوكلت للمعاون بعض المهام الهامه التى يجب ان ينجزها بأقصى سرعه ليوافينى بما توصل فى صباح اليوم التالى الذى صيرنا فيه بالفعل بعدما علت تكبيرات آذان الفجر الندي وانا فى طريقى إلى منزلى الذى هجرته ربما لأكثر من ثلاث ليالى متواليه وبالمثل هجرنى النعاس ورحلت عنى الراحه عقابا لى بذنب زوجتى واولادى رموز الحياه بالنسبه لى .

دقت السابعه صباحا متزامنه مع ما اقرعته نواقيس صاحبه الجلاله بقصر الصحافه والاعلام المشيد على جهود ابناء مهنه البحث عن المشاق هلت علينا جميع الصحف ووسائل الاعلام لتنذرنا بنوه عاتيه ستقلع جذور الفساد وستحل علينا عاصفه رعديه اثارها شبح العاصمه الذى ايقظ المجتمع بكامله على ثانى قوائمه السوداء حالكه السواد لكن هذه المره لم يرد فضح الكثير من اكابر الحيتان فأملى علينا بقائمه قصيره مُلغمه بأسماء شديده الانفجار ذكر فيها معالى الوزير وسياده النائب ورجل الاعمال مجتمعين ثلاثتهم على مائده عامره بما اوقعوا فيه المجتمع من خراب .. حينها ترددت الكلمات الاخيره لدكتور صادق وحدثت مسامعى .....

(شبح العاصمه خلاص كشف عن قناعه وحل قيده ونصب من نفسه جلاد هيبتر بسيفه

اصابع العبث لأيادى الفساد) .

فلم اضع الكثير من الوقت ركبت ملابسى وقودت سيارتى مباشره إلى مكتب معالى الوزير لاتأكد من صلابه جدران الحمايه البشريه التى تلازمه على الدوام فقد صار ضحيه محتمله للشبح وواجبى يفرض علي حظر نشاط الشبح الجلاد البتار لأصابع الفساد .. ثم طيرت بجناحى عقاب للتأكد من

سلامه النائب وقد كان.. الا ان رجل الاعمال لم يتحمل انتظار زيارتى له وصار بخبر كان .

وجد صريع بالجناح الملكى بالفندق الواقع تحت قبضه املاكه التى لا تحصى كملاينه بل ومليارات فقد نال حكم شبح العاصمه الذى لم يتردد لحظه من ترك رسالته المشفره بجثه ثالث ضحاياه من الفسده الكبار حيث ازال عن يسراه اصبع واحد وحيد .

ألان ربما قد اعلن الشبح الاستسلام ووصل إلى نهايه لعبه العد التنازلى التى قرر ان يديريها بقوانينه الخاصه وفقاً لعالمه الذى خلقه بيده فلم يتحمل فساد اكابر القوم فأستعاد شبح أدهم الشرقاوى او روبين هود واخذ يكشف عورات قاده الدرب الايسر من حياه الفساد المتحكم بمجتمعنا فساق لنا قائمتين اختار من بينهم من اراد لينفذ عليهم حكمه وليبعث لنا برساله يرجونا من خلالها الاهتداء إلى عالمه والعمل بقوانينه التى لا ترحم مرتادى الدرب الايسر من الحياه .

لازمت مكتبى لمده قاربت على اليومين اصول واجول فيما جُمع امامى من تقارير للطب الشرعى واوراق اخرجها المعمل الجنائى واظرف حوت بداخلها على وثائق شاهده على اطياف الشبح الذى يجوب العاصمه بحثا عن فوهه فساد ليسدها بقبضته الحديديه ليقطع انفاس اصاحبها .. حتى تجمدت للحظات وانا اقارن بين مقطعين من الفيديو التقطا بواسطه كاميرات المراقبه المزروعه بكل من مركز العلاج الطبيعى الذى شهد جثه اللواء المتقاعد ومقطع اخر التقطته كاميرات المراقبه المثبته بأركان الفندق المملوك للضحيه الثالثه رجل الاعمال .

لثوانى ضئيله يظهر امامى طيف الشبح الذى ارعد سماء العاصمه بالموقع الفاضح الذى رفع الحجر الضخم الساتر لجُحر العقارب والثعابين النافثه للسم بجسد مجتمع اعتاد الصمت والركون فحل بأهله لعنات من دفعوه بفسادهم والاعيبهم الحقيره ليحيا اهله حياه القبور إلى جانب الاجداد .

الشبح يبدو امامى بكامل هيئته الداكنه لكن لسوء حظى اللقطات جميعها خلفيه كما ان لخفته مثيل غائب عن عالمنا لوهله اقتنعت ان من يحوم امامى على الشاشه شبح .. شبح أتى مخلصا لكنه يجهل هويه من سُلط عليه سأكون ظلاً له لامحاله .. فكلانا يبحث عن الاخر .

وكعاده مجتمعنا يثور بالليل ويغلبه النعاس بالصباح .. هدأت الاوضاع تماماً هدوء غريب فأغلق ويكليكس شبح العاصمه ولم يعد له أثر بالشبكه العنكبوتيه فجفت وثائقه ونضب نبع مستنداته الدائنه لقاطنى المنطقه المظلمه فى اعالى مجتمعنا .. لم يعد هناك وجود لقوائمه السوداء ولا حتى البيضاء .. سكن كل شىء .. سكت كل صوت .. غمر المجتمع حاله من السُبات العقيم .. لماذا .. كيف حدث هذا .. لا احد يعلم ؟! .

من يظن ان لدرب البحث نهايه مُخطأ بلا شك حتى وان اوصله مجهوده المُضنى إلى الحقيقه الغائبه فالطريق لا ينتهى حتى وان انتهت حياه السائر على الدرب .. هذا بالضبط ما اعنيه لوصف طبيعه عملنا الذى لا يعرف للراحه سبيل .

واصلت واجبى ولم ينقطع عنى الارهاق والتعب احاول ربط الخيوط الدائبه المُهترئه بمهاره اكتسبتها بعد معاناه الا ان مع بدايه كل خط اصل لنهايه اثر كنت اعتقد انه ربما سيقودنى للشبح الذى ارهق الجميع بما فيهم أنا .. وهذا اعتراف منى بذلك .

دق هاتفى فحملت شاشته هويه المتصل فظهر اسم المعاون النشيط الذى لا تتغير نبره صوته مهما حدث .

- ألو يا درش .. وصلت لأيه طمنى ؟

- عمر بيه .. ياريت لو تفتح سعاتك التليفزيون دلوقتى حالا

- تليفزيون !!!

- اه .. شغله بس سعاتك وهتفهم كل حاجه

ابصرت ساعة يدى فوجدتها الثالثه والنصف بعد العصر لم يهملنى مصطفى

لأسأله فقط املانى اسم المحطه الفضائيه التى اراد ان انتبه لما تبثه وسط هذا الزخم الذى اعانيه فحدثنى خاطرى ربما للأمر اهميه .

- خلاص تمام .. اهم حاجه انت متتأخرش عليا .. أنا هكون منتظرك

- تمام سعاتك

اغلقت الهاتف وادرت التلفاز تنقلت بين المحطات وانا لا ازال غاطس بموجه اندهاش غمرتنى حتى رست سفينتى بر المحطه التى اراد معاونى التوجه إلى ساحتها .. اطرقت اليها السمع فأزداد معدل انتباهى لما يُذاع عليها لدرجات مخيفه ماذا يقولون .. ماذا سيفعل المذيع الاول بالمحطه حين يحل علينا المساء .. هل يعى مدى خطوره ما تبثه المحطه امام العامه على الملأ هل يجرؤ على فعلتها ؟؟ .. فقد جاء الاعلان القصير (البرومو)

للبرنامج السياسى الاول بالمحطه الفضائيه للاعلامى المتفوه الذى يجيد الدق بكل تأكيد على رقعه الطبله المشدوده عن اخرها بقصعه أى سيد سيجد ضالته تحت قدميه كل ما عليه هو ان يوفر له كاميرا وميكروفون دقيق يخفيه ببدلته الفاخره ويترك الباقى له .. هذا ما ادركه رجال الاعمال حين علموا ان بمجتمعنا يتوفر شعب يعشق من يحيك له الكذب ويشوه له الحقائق يلويها ليقدمها له على طبق من ذهب عيار ٢٤ او هكذا يخيل إلى البشر وللاسف يصدق البشر ما يأتى به السحره الافاكين الذين اشتروا بأموالهم العفنه قرود البسوهم البدل الزاهيه وضغطوا بحفنه عفنه من الاموال المعطنه على جرح كل قرد فأخذ يتشقلب امامنا بطاقه ليس لها مثيل لاهياً بعقول افرغتها وغزات الجوع والفقر حتى ظنت القرود بأنهم قد تمكنوا من الالات توليد الحقائق الزائفه التى يروجون لها ناسين متناسين ان الحقيقه الواحده التى يعلمها الجميع جيدا .. هى ان لهم مؤخره حمراء وعقول بلهاء وقامات محدبه وشعر كثيف يستر عنهم حمره ..... منافذ حاجتهم .

اعلنت المحطه الفضائيه عن امسيه لن تعوض امسيه سيكشف الاعلامى

الاول بها النقاب عن الشبح الذى ارهق العاصمه .. داعين المشاهدين بأحر الامانى والرجاء بأن يكونوا منتظرين موعد البث المباشر الذى سيعلن نهايه من ظن ان لا نهايه له .. اعلان كهذا لابد وان اهتمام كبير سينصب عليه من الجميع خاصه الذين ارهبهم الشبح لأيام .. لاشك ان الشبح لن يدير ظهره بهذه السهوله ليترك احدا يعبث معه .

بطريقى متوجها إلى سيارتى جاءنى نداء دكتور صادق الذى لم يقل اهتمامه بالشبح عن الباقين جاءنى لاهثا متسائلاً .

- عمر .. ياعمر .. انت رايح فين؟؟ .. مش هتشوف ايه اللى هيتم الليلادى (يقصد اعلان الامسيه السياسيه التى زعم فيها الاعلامى الرديح انه سيكشف حقيقه الشبح المُحلق بسماء العاصمه)

ركزت بصرى متفرساً حال دكتور صادق واجابته

- لو الناس كلها هتقعد تتفرج من بعيد لبعيد لأى سبب من الاسباب .. تأكد انى هكون اخرهم دا واجبى ولازم أديه

صمت دكتور صادق لحظه اطرق فيها التفكير بكلماتى ثم اردف

-كل الشواهد بتقول ان الليله هتشهد نهايه واحد منهم .. ليه انت عايز تقحم نفسك فى صراع احتمال كبير متخرجش منه على رجليك .. ليه عايز تفارق الحياه عشانهم

- الحياه بالنسبالى هى الحقيقه .. الحقيقه وبس يا دكتور وانا مش عايز غير ان كل صاحب حق ياخد حقه .. دا واجبى ولا انت نسيت ؟

- لا منسيتش .. بس أنا شايفك متساق ورا لعبه مش هتخرج منها كسبان

- وانا مش هسيبه يموته .. مش هسمح يكون فى ضحيه جديده للشبح .. وبعدين هو مش انت اللى قولتلى ان طول ما الشبح حر طول ما هيكون فى ضحايا ليه .. ليه بقى عايزنى دلوقتى اسكت وانا عارف ومتأكد انه هيتحرك الليله عشان يخرس اللسان اللى هيفضحه .. الليله ضحيه جديده هيطبق عليها حكمه بغض النظر عن حقيقه الناس دى وبعيد عن غرضه من ورا

قتلهم .. أنا واجبى امنع الجريمه يادكتور مش بس احقق فيها .
ضغط بسبابته منتصف نظارته الطبيه ليُعدل من وضعها مبتسماً فى اسف
- مش هتوصل لحاجه ولا هيحصل فى يوم من الايام اللى بتفكر فيه .. دول شويه نباحين
الكلام اخرهم ..أكيد انت فاهم كويس انااقصد ايه ؟؟ .. يا حضره الظابط
رمقته بنظره لاهيه قد يكون على حق لكن مهما كانت الاسباب فالواقع يقول بأن هناك قاتل وضحيه محتمله وعلى ان اقف حائل بينهما صعدت إلى سيارتى وانطلقت مخلفا ورائى عاصفه ضبابيه تعالت مما اثارته العجلات من غبار .
هبط الليل بستاره الداكن وانا بالطريق إلى الاستديو الذى سيطل منه علينا بعد قليل كاشف الاسرار ليلهب مسامعنا بما طال انتظاره .. وما ان حطت عجلات سيارتى ارض الجراج حتى جاءنى الخبر الذى جهله مذيع الاخبار الحاره .. مذيع كل مثير والذى وجد صريعاً بغرفه ملابسه .. كان هذا ماتوقعت ولكن ما اردت التأكد منه هو موضع الرساله المشفره هل اهتدى اليها المعاون النشيط ام لا ؟ وبينما تتصاعد فقعات الغليان ببراجيل رأسى وانا لازال قابعاً امام مقود السياره .. هاتفنى المعاون ليؤكد ظنى فقد ترك الشبح رسالته كما توقعت ربما اراد العوده إلى اللعبه التى يديرها وفق قوانينه الخاصه لكن جاء العد هذه المره تصاعديا .. فقد قطع عن يسرى الثرثار الرديح .. اربعه اصابع .
فجأه .. بُوهت لما ابصرت ..الشبح يتحرك امامى بكامل هيئته التى ألفتها من خلال مراجعتى لمقاطع الفيديو الملتقطه بكاميرات المراقبه الخاصه بالاماكن التى سبق وان شهدت اطيافه تحوم بها هو ألان امامى يمتطى دراجته البخاريه فى ثبات وثقه غير عاديين بالمره هيئته تدل على مدى شراسته فقدميه تدوس بحذاء حديدى اسود يغطى ساقه بنطال جينز داكن يعلوه ستره جلديه .. يغطى رأسه بخوذه اخفت عنى ملامحه هو ألان يشحذ همه

دراجته البخاريه حتى نفثت فوهات فتحاتها بسحابه ضبابيه ملأت المكان بدخان اعور ازاح عنى الرؤيه قليلا .. ثم استدار بكامل جسده الملتصق بمقعد الدراجه البخاريه وصار بأنسيابيه حتى مر بمحاذاتى فى هدوء تام .
بخفه ادارت سيارتى وبالهدوء ذاته تتبعته صار بطرقات عامه فى بادىء الامر ثم بعد نصف ساعة لازمت طيفه فيها كظله بدأ الشبح يغزو حارات وازقه لم اطأها مطلقا مناطق ُضربت بها اروع الامثله عن حياه العشوائيات إلى ان توقف فجأه وبدون أى مقدمات كنت ابعد عنه مسافه تقدر بعشره امتار على الاكثر بدت عليه علامات القلق حتما شعر بخطب ما او ربما توقف لملاقاه صديق من بنى جنسه فخفافيش الظلام تتعانق بسقف كهف واحد لكنه يحرق وقوده امامى بعنف ليطلق سحابات ضبابيه زادت الظلمه من حولى حلاكاً حتى كدت افقد الرؤيه فأضطررت إلى اناره مصابيح السياره الاماميه بلحظه شعرت فيها بدفىء انفاسه امام وجهى تنسمت رائحه الدم بفم الشبح الذى غاص بأنيابه قاطعا انفاس الحياه لأربعه ضحايا لم ُتكتب لهم الرحمه تلفت حولى فلم اجد سوى الفراغ حتى اطلق هو بضوء كثيف مُنطلق من كشاف دراجته البخاريه العفيه انكمشت على نفسى وانقبضت عضلات وجهى وبشكل لا ارادى بسطت راحتى امام عينى اتقاءاً لشعاع الضوء القوى الذى يوجهه ناحيتى مباشره .. خلال ثوانى امعنت فيها التحديق بوجهه حتى تبين لى الشرار المتطاير من عينيه .. تبادلنا التحديق بكلانا عن كثب فتبادلنا حديث الاعين الذى لم يخلو من مسحه تحدى هو يحذرنى وانا اتوعده هو يتوسل الي لكى لا اقترب من طيفه فأحترق وانا وبكل ثبات ارفض .. حتى قبل كلانا التحدى .. حانت ساعة المواجهه التى بدأت بالمراوغه كما قرر هو .
انعطف بعيدا عنى فى لمحه خاطفه فبادلته السرعه ذاتها اخذ ينحنى بدراجته العفيه وينعطف .. يستدير .. ُيسرع بكل ما شحذ به جواده البخارى من قوه ضرب مسالك وعره حتى طار محلقاً إلى قمه عاليه فكما جاءت من هضبه

المقطم البدايه سيشهد نفس المكان النهايه .
ترجل من على دراجته سار خطوات قليله حتى تطرف اخر هضبه المقطم .. فنزلت من على مقعدى ولم انسى اعطاء امر الاستعداد لمسدسى الذى اطبقت عليه بكفين من حديد .. لم يحرك هو ساكناً بل لم يستدر لى من الاساس فقط ارسل بوجهه إلى الفضاء المنسدل بظلامه امامنا .
قرأت عليه امر الخضوع والا اكرمته بطلقه النهايه لم يبال ولم يهتم لأمرى مطلقاً سكن للحظات ثم استدار بكامل جسده الي فأنزل من على رأسه خوذته فطارت خلفه خصلات شعر حالكه السواد هفهفت بفعل العاصفه التى احاطتنا انتصب امامى كسارى علم رفرفت رايته ُمعلنه عظيم شأن بلاده .. ملامح الشبح كانت رقيقه ناعمه كجفون عينيه المسحوبه بدقه سبحان من نحت صفحه الوجه القمرى شديد الصفاء لا يخلو من شحوب حزين لمع بعيناها دمع ارادت حبسه فلم تستطع ثم رفعت ذراعها الايمن فتدلى من قبضتها كيس بلاستيك شفاف ألقته نحوي فحط امام قدامى تبينته بشيء من الحذر فعلمت انه خير شاهد على اصابع ضحاياها ممن انفذت فيهم حكمها الغير قابل للاستئناف .. تحرك لسانها فجرت عليها الكلمات حزينه خرجت من فم لم يذق منذ فتره سوى طعم المُر .
- ٣٢١٤ رقم لو مكنتش كشفتنى كنت هحققه عن جداره لأن بكل بساطه مفيش اكتر من
الاصابع القذره اللى مورهاش غير العبث بحياه وطن .. للاسف غاب عنه اهله
- رقم ايه ده ؟
اطرقت بوجهها المرهق الارض حتى غلت المدامع بعينها ولم ترد سوى بالصمت فأعدت إلى مسامعها بسؤالى
- ليه .. ليه قتلتي.....
فقاطعتنى بُحرقه

- عشان الظلم .. كلكم بتشوفوا الحقيقه من وجهه نظركم .. بعين النقص
- ظلم ايه؟ .. أنا مش فاهم انتى تقصدى ايه بالظبط ؟
صفعتنى بأبتسامه هادئه ثم رفعت يُمناها لتبعد عن وجهها خصلاتها المتطايره وحدثتنى بمراره كدت ابادلها مذاقها
- كان شاب بسيط حلمه اللى بيسعى لتحقيقه هو انه ينجح فى شغله .. كان صحفى وانا زي زى أى بنت حبت واخلصت لحبيبها .. مكنتش بفارقه من ساعة ما اتخطبنا .. أى مكان كان بيروحه كنت ببقى معاه زى ضله وهو دا ذنبى .. دا الذنب الوحيد اللى اذنبته .. انى اخلصت فى حبى ليه .. من سنتين وقعت فى ايده ملفات خطيره .. ملفات تشهد على فساد الحيتان .. التماسيح اللى محتله بركه الظلم الراكده .. قالى ان لو نشر المستندات اللى معاه هيحقق سبق صحفى محصلش .. هيساعده يحفر اسم قوى ليه ومش بعيد يدخله التاريخ من اوسع ابوابه وبالفعل مضيعش وقت وفضل يجمع مادته لحد ما نشر اول حلقات النار اللى قرر يشوى فيها رموز الظلم واعوان الفساد .. كشف كل حاجه للناس .. صحى الاموات فقامت الدنيا بس للاسف قعد هو ورا القضبان اتهموه بقضايا كلها كدب فى كدب ٣٢١٤ رقم اشهر قضيه اتحكم فيها على صاحبها ب ٢٥ سنه .. حد يصدق الكلام دا بالذمه .. يحكموا عليه بالمؤبد .. ليه دا لو كان مجرم حرب كانوا رحموه .. زُرته مرتين كان بيبكى قدامى بسبب الظلم والذل والمهانه اللى بيتعرض ليها فى كل ليله الف مره لحد ما غابت سيرته وطبقوا عليه الحكم ومن وقتها والدبان الازرق ميعرفش ليه طريق .. شوفت انت اكتر من كدا ظلم .
صرخت بُحرقه واردفت :
- عارف يعنى ايه تشوف الانسان اللى قلبك حبه واخلص ليه وهو بيتألم قصاد عينك وانت مفيش فى ايدك حاجه تقدمهاله .. عارف لما تنام تقوم وصراخه مابيفارقش ودانك لما يتكوى بنار الظلم وانت متقيد مش عارف تعمله ايه او حتى تساعده ازاى ؟ سكتت عنها الكلمات للحظه ضربت

فيها الارض بيأس ثم رفعت عيناها الملتهبه واكملت رحله الظلم التى عانها حبيبها الذى غاب عنها لذنب لم يقترفه ذنب كان سيدخله التاريخ من اوسع ابوابه ان كنا بمجتمع اخر .. ازدرت لعابها فمر بحلق متحجر واكملت

- قررت اكمل المشوار اللى (بدر) بدأه .. دقيت ابواب صحف المعارضه والمستقله لفيت على محطات الاذاعه والتليفزيون عرضت عليهم المستندات اللى بدر ملحقش ينشرها .. الحيتان رجعت من تانى .. رجعت وكالعاده اقوى من الاول .. كان لازم افضحهم قدام العالم كان لازم اكمل الطريق لنهايته او .. اوصل أنا لنهايتى لحد ما جاتلى فكره شبح العاصمه وزى ماتوقعت رجع الرعب وملا قلوب الحيتان من تانى بس مهما كانت قوتى أنا لوحدى وبحارب غيلان همهم الاول والاخير نهب خير بلدنا

البلد اللى اهله نايم من خمسين سنه ومقدروش يوصلولى بس للاسف .. قدروا يقفلوا الموقع .

ابتسمت والحزن يملأ عيناها والخيبه تحاصرها مردفتاً .

- وأديك انت اهوه كشفت سرى.. أنا وبدر واللى زينا مرضناش بالظلم ياريت انتوا كمان تفوقوا وترفضوا حياه الذل اللى انتوا عايشنها .. بدر دايما كان بيقول ربنا عمره ما ساب ظالم الا وكانت ليه نهايه .. حتى ولو طالت فهى جايه جايه.. بلا ادنى شك ودعتنى بأبتسامه جافه حزينه وروح ضائعه ثم فجأه ألقت بكامل جسدها من اعلى الهضبه طارت امامى كطيف ارادت ان تسافر لمحبوبها .. ارادت ان تُكمل حياتها إلى جواره وها هى قد فاضت روحها إلى عالمه .

اختفى طيف الشبح الذى ارعد سماء العاصمه بكشفه لحقائق استئصلت بعض الخلايا السرطانيه المنغصه لحياتنا لكن صورتها بقت مُعلقه على جدران ذاكرتى لم تُبرح عالمى ولم تهجر رأسى ساعة .. هى فقط طيف الشبح الذى اخلص فى حبه لمن احب .. حتى الموت .

****

عدت إلى نفسى الراقده بمحيط الحي المُصطخب عن اخره حتى اخذ يصب ضجيجه بكاسات رأسى الذى حمدت ربي بعد ان اعاده إلى نصابه بمجرد ان فرغت من احكام قيد اطيافى العائده من الماضى والتى قد عقدت هدنه مع عقلى ورحلت .. ليتها لا تعود مطلقا هممت بجمع الصفحات التى نثرت عليها رماد الذكريات المتطاير من جمره خواطرى فأعدت الاوراق إلى ما بين دفتي الحافظه الجلديه حتى أبصرت ما لم يكن بالشىء الغريب عنى هى نفسها المطويه التى اعتادت زيارتى منذ اكثر من اسبوعين كيف أتتنى إلى ها هنا .. ومن اعلمها خبر رحيلى عن منزلى ؟! .

ناديت عامل المقهى فأتانى وسألته عمن زرع الرساله وسط حاجاتى فأرهبنى بسوط لسانه العامي ليخبرنى بأن شخص قد وضع بقبضته هذه المطويه و اوصاه الا يُعكر صفو خلوتى فقط يُحسن دسها برفق بين اوراقى ليترك مهمه الاكتشاف لمن اعتاد البحث طيله حياته ثم غرب عنى عامل المقهى فأمعنت النظر بالمطويه حتى احللت عنها قيدها والتهمت ما جاء بها :

((عزيزى الباحث التائه .. انت ألان قد وجدت ضالتك بأتخاذك القرار الذى طال انتظاره .. ارجوك لا تتراجع عنه .. فقط اكمل ما بدأت واعلم ان الطريق يُصنع بما نطبعه عليه من خطوات فأمشى .. اسرع .. هرول إلى مُنجاك .. ولا تخف فالمقدور قد قُدر))

بكل امنيات العالم ارجو لك طيب الحال

صاحب الحكمه

هو .. هذه هى كلماته وهذا هو اسلوبه الذى طالما طالعنى عليه حتى اعتدته منذ اكثر من اسبوعين وبنفس امضاءه المتنكر بثوب حكيم الزمان لكنى اريد ان اراه كما يرانى .. كما يتتبع محطات حياتى ربما هو قائد القطار الذى ركبت بأحدى عرباته ربما هو راكب معى او شبح من عالم اكثر حكمه عن تلك الاشباح التى تراودنى .. اتلمس الصدق برسائله كامل الصدق رغم انى اجهله وبالوقت نفسه اشعر بكامل تعاطفه معى على كلا طالما انه يصدقنى النصيحه فيجب ألا اهمل العمل بوصاياه .

حزمت اغراضى وتركت مقعدى بعدما دسست لعامل المقهى ثمن الضيافه الكريمه اسفل الكوب الفارغ ثم حملتنى اقدامى متخطيه الزحام الذى بدأ يحل بأرجاء الحي فأخذ يصيح كل من فيه اما طالبا رزق او راجيا عفو متمسحين جميعهم بمحيط الرحاب العطره للمسجد .. دفعت حالى امام المقود واستجمعت قواي وانطلقت لأستكمل رحلتى قدت حالى حتى ودعت الخلق فتوسط الطريق الصحراوى الطريق الذى سيأخذنى إلى قلعه اللواء (نصر الديب) .. قرين والدى .

بعد ساعة من مصافحه طريق السفر المؤدى إلى بلاد الاسكندر عاودنى الارهاق الذهنى حل بي الانشقاق النفسى الغير ُمحتمل فضلا عن مصاحبته لهواجس ما بعد اتخاذ القرار

راحت الألام تضرب بعنف اصقاع رأسى بفؤس ثقيله الوقع عنيفه الضربات جعلت الرؤيه امامى مشوشه للغايه .. غرقت فجأه بموجه عرق لم ادرى من اين أتتنى نحن على اعتاب فصل الشتاء ودرجه الحراره لم يكن بوسعها ان تعتصر جبينى بهذا الكم من العرق المتكاثف على صفحتها .. جنحت إلى جانب الطريق وابطأت من سرعه السياره شعرت بجفاف قاسى يشق حلقى اغرقته بما تبقى معى من مياه لكن التربه المبطنه بحلقى اكتشفت انها رمليه لم تشبع بعد .. ولم تنل ما يكفيها من مياه لتصالحنى وترطب جوفى بل ألهبته اكثر مما كان عليه .. احتل مرمى الطريق على امتداد الرؤيه المشوشه امامى

اشكال هلاميه غير واضحه المعالم اخذت تتلاعب وتتراقص وسط خيوط الشمس المسدله بجو الطريق استغرقت الامعان والتحديق فيها لكنى لم استطع تحديد هويتها .. ثم فجأه وبدون أى مقدمات اصاب أذناي دوي انفجار مرعب كأن لغم مل التقاعس عن اداء واجبه منذ ان زرع بمطرحه حتى مررت أنا عليه فعزم الترحيب بي وبسيارتى .. توقفت على حافه الطريق السريع متفحصاً حالى حتى اطمئنت نفسى فترجلت فى هدوء وتفحصت مركبتى فوجدتها لم تعد تتمتع بكامل عافيتها حيث اصيبت بأحد عجلاتها التى تورمت ولم يعد بأستطاعتها تحمل الضغط المنصب عليها فأنفجرت صائحه طالبه الرحمه من ذاك التائه الذى لم يكلف نفسه عناء الفحص قبل ان يبدأ رحلته .

مسحت المكان بعينى فلم اجد سوي جدار يحيط ببنايه تبعد عنى امتار قليله فخطوت بأتجاهها واقتربت من بوابه الدار حديث العهد فى البناء بخطوات مترنحه حاولت بكل جهدى ان اخفيها وما ان علت دقات قرع البوابه الشاهقه حتى أتانى منها صوت مُرحب بحراره مقتربا من البوابه التى فتحت مواربه فحملق بي حارسها مغمغماً بكلمات مُرحبه لم اكن لأتوقعها مطلقا !!! .

بعد دقائق قاربت تجاوز النصف ساعة من كرم الصيافه للرجل الذى اغدق علي بعده الشاى وبعض من لقيماته وأرحنى على كنبته التى أمدها امام غرفته متواضعه الحال بالنظر إلى ما ارتفع خلفها من بنايه عكست لي بعظيم شأن صاحبها فهى ليست بفيلا او منزل منعزل بل هى قلعه حصينه اقامها رجل جادت له الدنيا بما اشتهى .

بادلنى الرجل الحديث بلهجته الجنوبيه الدافئه التى لا تخلو من أصيل للشمس التى لا تغرب عن بلاد الجنوب الجميل الصافى فأخبرنى اصلاحه للعجله التى اعادها للحياه واخذ يُعد دور أخر من مشروبه المقدوح على نار هادئه حتى فقد لونه ومذاقه فلم يعد الشاى شاياً بل صار حبر مغلي لم

يستجب الرجل لتوسلاتى التى اطلقتها لكبح جماح جواد الكرم الذى لم يرد النزول من عليه بل أتى بما اجاد عليه سيده من طعام لأشاطره رغيف رزقه. تخلل الصمت الذى اظلنا انين دهس الطعام بفمه باعثا إلى مسامعى بصوت لكم ابغضته لكن ما هذا .. ماذا يلوح بالجوار يارجل الجنوب الكريم .. اطاح بطرف بصره إلى ما شد انتباهى وسرعان ما عاد الي بأبتسامته وابلغنى بأنه (سُلطان) .. نعم سُلطان! رددت الاسم بدهشه شعر بها رجل الجنوب فرمقنى بنظره استغراب دون ان ينبس بحرف فألحقته باقى الحديث بثقه المتوكأ على وتد ذاكرته التى لم تخجلنى قط وصحت فيه

- دا ُموري .. صدقنى دا ُموري .. أنا شوفته قبل كدا

دار الرجل بعينيه بين مُحدثه الذى يتوسم فيه الحكمه ورجاحه العقل وبين ما لاح بالجوار داخل سياج حديدى ضيق عليه حركته فخطى بمحاذاه السياج فى هدوء بهامه تنم عن عظمه أصله .. أثار بصهيله ذاكرتى .. ذاكره الضيف .. عابر السبيل .

****

الحصان الأسود

" الغايه لا تُبرر الوسيله والنفس غايتها على الدوام شيء
مادى فان ووسيلتها فى سبيل تحقيقه اما الطمع او الجشع
وكلاهما مُهلك "

حلقه بمضمار ليلي لأحدى سباقات الخيل سباق قُدره .. مثل هذه السباقات تعد اقرب ما يكون لميدان حرب لا وجود فيه للضعفاء سباق فارسه الأول هو من استطاع جواده الوصول به إلى ما بعد خط النهايه وهو لايزال بكامل لياقته .. هكذا يقول قانون اللعبه .

مع ساعات الصباح الاولى انتقلت بصحبه معاوني النشيط (مصطفى سرور) لمعاينه مسرح جديد غريب شهد حادثه اغرب حملت الينا اشاره الانتقال بكلماتها القليله كالعاده ان ثمه شبهه جنائيه بالحادث .. لماذا ؟؟ هذا ما علمته فور وصولى مضمار المارثون الليلى الذى قد انتهى .. بموت أحد فرسانه. بعين ملتهبه ودموع حبيسه ولسان جرت ليه كلمات نابعه من نفس تملكها الحزن الصادق اخذ ينفث دخان لفافه التبغ والتوتر والاضطراب يلتهمه منذ ان دبت اقدام رجال البحث الجنائى ارض الميدان .. حدثنى بذهن شارد ونفس مضطربه .

الادهم كان فرس أصيل .. شجاع .. صديق وفي ان عاينته حتما ستسقط بشباك غرامه إلى الابد دون مبالغه هذه حقيقه الجواد موري خير مثال للخيل المعقود بنواصيها الخير هكذا حدثنى السايس الذى وشت لي نبرات صوته المتهدج بمدى حسرته على موت الجواد مورى بالسباق .. اشعرنى وكأنه قد فقد عزيز او ابناً من ابنائه بالطبع اننا لم نتكبد العناء للبحث عن ملابسات وفاه جواد .. فالأمر اكبر بل اقذر مما نتصور .. دعنى اوضح لك

المشهد ليله أمس .

بماراثون غير مشروع لا يلتزم فيه المُحكمين او المزايدين او المنظمين له بأى قانون رغم ان جميع الجياد المشاركه فيه مُسجله بمنظمه الواهو للخيل العربيه والفرسان كذلك جميعهم يحمل رخصه دوليه .. الصوره بالعام نراها سباق طبيعى يتنافس فيه الفرسان كلا بصحبه جواده الا ان حقيقه الامر لم تكن كذلك بالمره .. فالمزايده هنا غير خاضعه لأى معايير او قوانين تحمى الفرسان او الجياد المشاركه بالمارثون.. فقط الجميع يتنافس للوصول إلى قمه هرم الرهونات التى تبدأ بقطرات نديه وتنتهى بسيل عارم من الدولارات التى يُضارب بها المشاركين كلاً حسب مقدرته .

فميدان الفروسيه هنا يتحول بوقود الطمع والجشع إلى فرن ضخم يحترق فيه الفرسان وبأسفلهم جيادهم الخشنه لكسب حصه من المال واى مال هذا ؟؟ بالطبع هو مال لن يأتى سوى بطريقتين لا ثالث لهما اما الغش او الدم .. والاخير كان الاقرب من سباق القدره الليلى الذى انتهى بموت الجواد موري وفارسه (شريف الذهبى) .

بعياده توقيع الفحص البيطرى التابعه للاسطبل رقد الجواد موري حيث اخضعه دكتور صادق لأمر التشريح وبمجرد ان خلع قفاز الفحص بدأ يخط بقلمه العلمى كلمات ذات شكل تجريدى تحسبها ان طالعتها رساله مشفره تحتاج خبير بالخطوط لفك طلاسمها .. خرج بعدها من مفكرته التى دون بها بعض الملاحظات المبدئيه التى يستطيع هو وحده بالطبع ان يكشف ما بها من اسرار خفيه تماما كحال الجثث التى يفحصها يوميا وبشكل روتينى للغايه .

ثم دفع الي بنظره حملت ايماءه احسنت فهمها أكد لي فيها الشبهه الجنائيه بالحادث على الرغم من ان التقرير الطبى المبدئى لجثه الفارس شريف الذهبى اوضح انه نال عده اصابات بالغه هى ما أدت إلى وفاته بعدما علق بركاب فرسه الذى انكفأ على عتبات الجوله الاخيره من السباق وكان شريف

اسفل منه لم يرد تركه بل لازمه السباق إلى العالم الاخر فكما عاشا معا ماتا ايضا معاً .. متلازمان بالدارين .

اعلمنى دكتور صادق ان الجواد قد خضع لعمليه حقن مُنشطه تمت بدقه متناهيه هذا ما استشفه بعد التشريح المبدئى لعضله القلب المتضخمه بشكل مبالغ فيه للجواد .. كما ان اوداجه جميعها متورمه محتقنه بداخلها الدماء .

عند عودتى لمكتبى راجعت القوائم التى حملت بخانتها اسماء المزايدين الذين لا صله لهم بالسباق سوى وضع الرهونات واطلاق جماحها عنان سماء شكلت معالمها الضبابيه بأبخره غليان رغبات الطمع وحب الكسب اليسير بنفوس لا يسد شهوتها سوى التراب الذى تدوسه الجياد بأرض التنافس الغير شريف .

تساءلت هنا اين عقل الفارس طالما ان الجياد لا عقل لها فالفارس يدرك الحقيقه الغائبه عن جواده .. فكيف به ان يقبل خوض مثل هذه السباقات الغير مشروعه وهو بالواقع لا ينهك قوه جواده فحسب بل يدفعه ليسقط من اعلى قمه جبل صخرى حاد المنحدر وهو عليه .. هذا هو عين الانتحار من اجل المال !!!

اخرق الصمت الرهيب بطرقاته ذات النغمه المميزه ليحل شبحه امامى ساقطاً بكامل جسده الرشيق ليملأ الكرسى المقابل للمكتب دافعا الي كالعاده بكل ما هو جديد .

تصفحت الاوراق سريعا بينما امطرنى المعاون النشيط بسيل من المعلومات المتعلقه بحال الفارس شريف الذهبى حتى أصابنى بمقتل حينما اعلمنى ان له فارس صغير يرقد ألان على فراش المرض ينتظر عوده ابيه بالمال الذى سيقدمه للمستشفى مقابل اجراء عمليه جراحيه ضروريه لأنقاذ ماتبقى له من حياه أخذ السرطان يلتهمها دون رحمه .

الفارس شريف الذهبى كان الاب والام وكل صله قرابه لفارسه الصغير بعد ان توفت امه .. الصغير ألان ينتظر اللحظه التى سيطل فيها عليه فارسه

الذهبى بجواد النصر موري ليرفعه على ظهره ويسير امام الجميع متفاخراً تماما كالابطال .. هو بالطبع بطل لا جدال لكن ماذا سيحدث ان علم برحيل الفارس والجواد بميدان القدره من اجل لمال .

- اسامه شريف الدهبى فى غرفه ٢١٧ يا فندم .. اخر الطرقه .. يمين

انارت احدى الممرضات سبيلى إلى غرفه الصغير الذى ينتظر عوده من لا عوده له .. اقتربت من الغرفه وقبل ان اطرق بابها لاحت امامى صوره ولدى يوسف بشقاوته وروح المرح التى يبثها إلى نفسى كلما وقعت عيناي عليه او تشاركنا لحظات الطفوله سويا فنلهو غير عابئين بأمر الدنيا طالما يجمعنا فناء واحد ولعبه واحده .

تصنعت الابتسامه لأجُمل قليلا من هيئتى وادرت مقبض الباب وطليت برأسى لمعاينه الفارس الصغير فالتفت هو بدوره ناحيتى وقد شكلت الدهشه والغرابه معالمه .. دفع الي بنظره متساءله وقبل ان يسألنى باغته أنا .

- اسامه شريف الدهبى .. مش كدا يا بطل ؟

هز رأسه فى براءه بأيجاب .

تقدمت ناحيته وربت على يده محاولا بث طاقه من الامل لتؤازر همته ثم طبعت على جبينه بقبله حانيه وهمست بأذنه

- أنا عمر زهران .. صاحب بابا شريف

ابتعد بوجهه عنى قليلا وقبل ان يسألنى عن والده باغته ثانيه

- متقلقش بابا اول ما هيخلص التكريم بتاعه هيجلنا على طول

قاطعنى بحسه الطفولى الرقيق

- بس ياعمو دا المفروض ..

قاطعته .

- أنا عارف اللى هتقوله .. مش عايزك تشغل دماغك بأى حاجه خالص .. اتفقنا .. وبعدين ُبص بقى شوف أنا جبتلك معايا ايه؟

- حلو اوى .. دا موري وهو صغير صح ؟

ضحكت مجارياً أمر الصغير بعدما كشف اسامه لفافه الهدايا وتفحص هديتى له كانت دميه على هيئه حصان اسود بالضبط كجواد والده موري .
- مظبوط .. ايام ما كان لعبه .. المهم عجبك ؟
- اه عجبنى .. بس موري الحقيقى وحشنى اوى .. بابا قالى انه داخل بموري سبق لو كسبه هيدوله جايزه كبيره وفلوس كتير هيديها للمستشفى عشان اعمل العمليه واخف بس هو مجاش .. كان المفروض يجى امبارح .. هو انت كنت معاه فى السبق يا عمو
- هاه .. اه كنت معاه وبشجعه كمان واللى انت متعرفهوش ان بابا شريف فاز بالسبق وهيعملوله حفله كبيره اوى عشان يكرموه فيها زى ما قولتلك من شويه واول ما يخلص هيجلنا على المستشفى هنا على طول .. المهم قولى انت نفسك في ايه .. كل اللى عليك انك تتمنى وسيب الباقى يا سيدى على صاحب بابا .
اطرق التفكير سارحا بجو الغرفه الكئيب وما كاد ليخبرنى حتى اقتحم الغرفه علينا طيف يتدثر الابيض .
- مساء الخير .. أنا الدكتور المعالج لأسامه .. مين حضرتك ؟
التفت للطبيب وبرأسى هم ثقيل اثقل لسانى فهمست بأذن الصغير مستأذنا ونهضت من جانب السرير وقبضت يد الطبيب فى سلام جاذبا اياه خارج الغرفه .
رمقنى الطبيب بنظرات الاندهاش من تصرفى معه كان من المفترض ان احسن التصرف لكن عقلى المهموم بأمر الصغير لم يسعفنى بأفضل من هذا .
- أنا عمر زهران .. ظابط مباحث .
عرضت على الطبيب كارنيه عملى الرسمى ليطمئن لحالى واردفت معتذراً
- أسف على غشامه تصرفى مع حضرتك بس اللى متعرفهوش ان الفارس شريف الدهبى والد اسامه .. توفى امبارح
صك الطبيب بيده ثغره حيث تملكته الصدمه .. مرت الثوانى فأزاح راحته

وافرغ من على لسانه كلماته .

- النهارده اخر ميعاد لعمليه اسامه ولو اداره المستشفى متحصلتش على تكاليف العمليه مش هقدر اضرب مشرط فى جسمه وهيفضل يتألم طول ما السرطان بينهش فيه

فركت ناصيتى التى قد تكاثفت عليها قطرات العرق الناتجه من ابخره الغليان بقصه رأسى وما ان مرت الثوانى حتى لكمنى الطبيب لحجم المال المطلوب نظير اجراء العمليه لأسامه .

- كام ؟ .. ايوه بس اسامه الطفل خلاص مبقاش لا ليه اب ولا حتى ام ولا اعرفله قريب

ولازم المستشفى تكون متعاونه شويه وترحمه من الألم اللى عايش فيه .

هزت كلماتى الطبيب الذى طلب ان اتبعه إلى مكتب المدير لعل وعسى ان ينزل الله على قلبه قطره رحمه لأنقاذ حياه اسامه .

لم يطل انتظارى امام مكتب المدير كثيرا خرج على الطبيب وابشرنى ان اداره المستشفى قررت الرأفه بحاله الطفل اسامه وستتنازل عن نص تكاليف العمليه على ان يتم تدبير النصف الاخر اليوم ..وقبل الشروع بالفحوصات والتحاليل الواجبه .

- دا اخرى .. اعذرنى

- لكن يا دكتور ....

- ارجوك يا حضره الظابط ان لسا قايل لسعاتك ان دا اخر حاجه قدرت اوصلها مع المدير .. المستشفى اصلها استثمارى واذا مقدرتش توفر المبلغ المطلوب هضطر اوقع طلب تحويل حاله اسامه لأى مستشفى عام وهما بقى يتولوا حالته ويشوفوا هيتصرفوا معاه ازاى .. دا هيكون اخر حل قدامى اذا اتأخرت عن دفع نص تكاليف العمليه .. عن اذنك .

غرب عنى الطبيب وعدت أنا إلى غرفه الصغير فوقعت إلى جوار سريره محاولا ان اهون ما عليه وابث إلى نفسه بعض من الايجابيه لكى يتمالك ما

تبقى له من روحه البريئه وليستجمع قواه لمواصله معركته التى فرضت عليه فأعدت عليه بسؤالى ان كان يتمنى شيئا قبل اجراء العمليه .. لم يطل التفكير هذه المره واجابنى مباشره .

- عايز اشوف موري

- ايه .. موري الحصان !!

صدمنى كثيرا اسامه بسهم امنيته تدبرت الامر فى صمت ان قابلته بالرفض فلن تُحمد العواقب حتى وان احكمت تمثيل الكذب فيكفيه كذبتى بشأن عوده والده الفارس والتى سوقتها اليه منذ قليل حتى وجدتنى دون اراده منى اوافقه انصعت لطلبه الذى ربما سيكون الاخير ان حلت عليه رحمه السماء .

غصت بدوامه الدنيا متوسلاً رب السماء داعيه ان يعيننى على تدبير المال المطلوب نظير جراحه الرحمه لأسامه الذى يأن وقد استجاب الرحمن الرحيم لرجائى ثم استغرقت ساعة اخرى من الزمن المتبقى امامى حتى اتيت بما تمناه اسامه .. لم أتى بالجواد موري لكنى جئت بأخر من بنى جنسه .

ارتفع صخب الطبل والزمر بحديقه المستشفى فى لحظه استثنايه عما هو معهود من سكون لابد وان يتوافر للمرضى لكن الجميع تعاطف مع حاله الطفل اسامه الذى تراقص الضىء بعينيه حين شاطر الفرس الذى اخذ يدب بحوافره الارض على انغام زمر صانعى البهجه .

حتى تعالت ضحكات اسامه المُطل من شرفه غرفته واخذ يتفاعل مع الصخب والضحك الحزين يرتسم بصفحه وجهه ودع الفرس الراقص بعد ان سكتت الانغام وصمتت الطبول وعاد الجميع إلى سابق حاله كما عاد اسامه إلى الآلامه .. تمت الفحوصات واتت نتائج التحاليل واصبح الفارس الصغير مُهيأ وعلى اتم الاستعداد لخوض معركته المنتظره وبكل حماس لكنه لم ينسى لحظه ان له فارس وجواد سيكونا بأنتظاره عند عودته سالما من ميدان الانين .

امام عتبات غرفه الجراحه حيث حانت اللحظه التى تم اعداد الصبى لها والذى لم يدر طرف عينه بعيدا عنى وانا كذلك حتى توقف الركب فمد الصغير يده الصغيره مثله فصافحته جذبنى اليه بعفويه بريئه فقبلت ناصيته كان جسده بارد ربما لأنخفاض درجه حراره المكان المُكيف حاولت ان انقل اليه بعض مشاعرى الحاره المتعاطفه معه فهو بعمر ابنى او ربما شعرت للحظه انه ابنى الذى لم انجبه .. طلب ان اتقرب منه اكثر فأحتضننى كانت لحظه لا تصفها لغات العالم مجتمعه ثم ما لبس الا وارعد مسامعى بصوته الخافض الواهن بشده .

- عمو .. هو أنا هموت ؟!

هنا لم استطع حبس مدامعى اكثر من ذلك هو حقا من استطاع ان يهزنى بل وزلزلنى فأحدث صدع عميق بقلبى المفتور عليه فقوته الضئيله التى يمتلكها بقلبه الصغير ان اطلقها على جبل صخرى حتما سينهار كما حدث معى .

حاولت اخفاء مدامعى عنه .. حاولت ان اتمالك بعض من نفسى التى قد مزقها الصغير بضعفه ورسمت ابتسامه باهته وحادثته بعزم مصطنع .

- الموت حق .. لكن انت اتخلقت فارس وهتكمل لحد النهايه فارس .. توعدى بكدا يا بطل ؟ .

هز رأسه بالايجاب وصافحنى بأبتسامه ذابله .. قبلت جبينه وربت على يده الصغيره ونهضت من مرقدى مبتعدا عن طرف السرير المتحرك معلنا نهايه لحظه الوداع المرير .

ودعته بأبتسامه يشوبها الدمع الاليم حتى ولجوا جميعا غرفه العمليات .

قادتنى خطواتى إلى مكتبى حيث عمليات البحث التى لا تنتهى كان المعاون النشيط قد اعد قائمه من المشكوك بأمرهم اخذت سحابات التحقيقات تتكاثف امامى حيث مر هذا ثم هذا ثم جاءنى منظم السباقات الذى يتعامل معه الفارس شريف الذهبى ثم حل بعده الطبيب البيطرى الذى يقوم على رعايه جميع الخيول المنتميه لأسطبل منظهم السباقات ثم خلفه

مجموعه من المُحكمين للسباق .. كان بأستطاعتى استدعاء قائمه المزايدين لكن وجدت انه لا قيمه لحديث لن يأتى بجديد فأطل علي الاول والاخير.. السايس مُربى الجواد موري وصديق الفارس شريف الذهبى حيث افضى الي هذه المره بما خفى عنى وعن الجميع من قذاره مثل هذه السباقات التى لا تسترعى حُرمه استخدام مخلوق عقدت بنواصيه دلائل الخير فلا تعى أى شىء هى فقط تستخدم لجمع المال .. المال وحسب .

ألان اتضحت الصوره امامى وضوحا ليس بالدرجه المؤهله لتحويل الامر إلى الجهه المختصه لأصدار حكمها بعد كشف حقيقه القتله الغير مباشرين للفارس شريف الذهبى فالشبهه الجنائيه لاتزال مجرد شبهه حتى دق هاتفى وطلب المتصل بي ان اقابله بأقصى سرعه .

اجلسنى بمعمله حيث امتدت لتفصل بيننا طاوله طويله حملت على سطحها انابيب اسطوانيه كتلك التى يشيع استخدامها بالمعامل والمختبرات مع بعض المواد الملونه والاشكال المتنوعه للمواقد الغازيه صغيره الحجم ضعيفه الاشتعال حيث عرض علي بتقرير قد صاغه لتوه اخبرنى انه قد حدد بين سطوره الجانى .

قبل ان تصل عيناى إلى الاسم الذى طالما اردت الوصول اليه باغتنى بسؤاله .

- مش عايز تشوف اللى اتوصلت ليه بشكل عملى ؟

قالها دكتور صادق بشىء من الثقه التى يمتاز بها دوما حيث امسك بأنبوب اسطوانى حمل بداخله عينه من شعيرات الجواد موري ثم صب عليها مزيج لمحلول معقد التركيب يستخدمه لفحص العينه حتى مرت الثوانى القليله واختفت تماما الشعيرات ثم اتم نفس الامر لعينه من شعيرات تنتمى لفرس اخر حتى مرت الثوانى والدقائق والشعيرات لاتزال كما هى .. هنا تحدث دكتور صادق ليخبرنى بما رمى اليه من وراء تجربته .

- دا اللى يأكدلك شكى اللى قولتهولك فى الاول لما كنا فى عياده الفحص البيطرى التابعه للاسطبل اللى دار فيه السبق .. لو تفتكر أنا قولتلك وقتها

ان الفرس موري اتعرض لعمليه حقن منشطه تمت بدقه متناهيه مايقدرش ينفذها غير بيطرى مُحنك عنده خبره كبيره بخواص العقاقير المنشطه اللى استخدمها فى عمليه الحقن ... شوف الامر فى العام يبدو حادثه طبيعيه جدا.. فرس اُجهد فى نهايه السبق فوقع على صاحبه فماتوا هما الاتنين دى الحكايه بكل بساطه .. لكن ان رجعنا بالزمن هنكتشف الحقيقه وان الحادثه دى مجتش بالصدفه .. دى تمت مع سبق الاصرار والترصد عمليه الحقن يا حضره الظابط تمت على مراحل وبتأنى شديد .. فى الاول سحب البيطرى المُشرف على عمليه الحقن حوالى نص لتر من دم الفرس موري عشان يثير بعدها نخاع العظام فيعوض كميه الدم اللى افتقدها الجسم لحد ما اكتملت الدوره الدمويه للفرس من تانى .. العمليه دى ممكن تاخدلها حوالى اسبوعين .. بعدها بيعيد البيطرى المُشرف على عمليه الحقن كميه الدم اللى سبق وسحبها من الفرس فيحقنه بيها بعد ما يعالجها بالتأكيد ويضيف ليها تركيبه العقاقير المنشطه واللى فى الواقع معقده جدا وبكدا يكون ضاعف من قوه الفرس بدرجه لا توصف ومفيش فرس تانى هيقدر ينافسه الا اذا خضع لنفس عمليه الحقن المنشطه .. دا ببساطه اللى حصل مع الفرس موري .

بعد شرحه المختصر استغرقت أنا فى نوبه تفكير التهمتنى هل سُتغلق القضيه هكذا وبكل سهوله ؟ .. ابصرنى دكتور صادق فأتانى رده نافياً قاطعاً .

- لاء .. بالتأكيد احنا عندنا قاتل ولابد ينول جزاءه نظير الذنب اللى راح بسببه روحين فى سبيل جشعه .. موت مخلوق لا يعي .. مجرد قوه جامحه وموت انسان يجهل حجم القوه الغاشمه اللى راكبها .. القاتل هو الطبيب البيطرى اللى اشرف على عمليه الحقن دا القاتل الحقيقى يا عمر بيه .

امدنى دكتور صادق بكتيب حمل قوانين جميعها صيغت باللغه الانجليزيه .. قوانين منظمه للعمل البيطرى حيث خان الطبيب البيطرى ما جاء بدستورها فماده واحده وربما بأقل الكلمات الوارده بمقدمه الكتيب سيحكم عليه بأقصى عقوبه نظير مخالفاته الجمه التى انهت حياه فارس وجواده .

كما اشار دكتور صادق بضروره ضبط واحضار منظم السباق الذى أتى بما يخالف القانون فقد أدار شبكه رهونات غير مشروعه وبالتأكيد جنى من ورائها حصص وفيره من مال حقير .

كان بأمكانى ان انتظر حتى الصباح لأحضار الطبيب البيطرى ومنظم السباق لكنى لم ارد الراحه لهما حاولت ان اذيقهما بعض المرار الذى قد اسقوه كاسات وكاسات لذاك اليتيم الراقد بجسده الضئيل اسفل مشرط الجراح الذى يقاتل التكتلات السرطانيه الناهشه لحياه اسامه الصغير الذى خسر كل شىء وفقد كل عزيز وصار يتيم .. صغير .. يواجه بضعفه اخطر عدو يهدد حياه البشريه جمعاء .. يواجه بضعفه .. عدو الحياه .

حلت علينا شمس اليوم التالى ايقظتنى بأشعتها الدافئه فوقف شعر رأسى فجأه وسرت بجسدى قشعريره جذبت انتباهى لأمر هام كان علي الاسراع للأطمئنان على حاله الصغير بلا شك انقضت ساعات الجراحه وبكل تأكيد قد عاد الصغير إلى وعيه بجسد خالى من اللعنات السرطانيه التى قد اجهدته كثيرا طيله سنواته القليله .

وبينما أعد حالى لمغادره المكتب دق هاتفى فطالعت المتصل ولم اجد له اسم لم يكن عقلى بقادر على صياغه أى حديث يستهلكه فى ثرثره هاتفيه لا طائل منها كما ان المتصل ربما اخطأ رقم من يريده بالنهايه قررت ان لا اهدر طاقتى المتبقيه والتى بالكاد ستنقلنى للاطمئنان على صحه الصغير .

بالطريق عاود هاتفى الرنين لم انتبه إلى المتصل اهملته حتى فاض به وانقطع الحاحه ثم بعد ثوانى عاود النداء جاءت نداءاته هذه المره مُلحه فتنبهت إلى الرقم ووجدته نفسه الذى قرر ان يزعجنى منذ الصباح امتثلت لقواعد الامن والسلامه وتوقفت بجانب الطريق رددت عليه بلسان ثقيل وعقل مُرهق .

- ألو .. ايوه أنا عمر زهران .. مين حضرتك ؟

جاء الصوت من الطرف الاخر للاتصال وكأنه لمريض يعانى ويلات التهاب حاد بالحلق .

- حضره الظابط .. الطفل اسامه .. اتوفى من ساعتين .
تجمدت امام القود وعُقدت الكلمات بطرف لسانى .. شل عقلى .. بل وتيبست اوصالى انتفض قلبى بين ضلوعى حبس النفس بداخلى غابت عنى الرؤيه وهجرنى الوعى للحظات تردد الصوت من الطرف التانى للاتصال فغمغم بكلمات لم استطع ادراكها لم اطق سماع صوته ثانيه لم ارد تصديق ما ابلغنى اياه للتو .. رحل الصغير .. رحل عن عالم يحكمه فقط قانون الوحشيه .. ان اردت ان تحيا فيه لابد وان تعش مفترساً لكى لا تأكلك الذئاب .. رحل من ابصرت فيه صوره ولدى كم تمنيت له الشفاء بعميق قلبى لكن رحمه الله قد سبقت كل شيء .
الفارس الكبير قد طال انتظاره .. ولم يعد من سباقه بسيف او درع او جواد فقرر الفارس الصغير اللحاق به لينعما معا بحياه افضل .. لكن هذه المره سيجتمعان بدار الحق .. لا بدار شيدت جدرانه بأحجار من طمع وجشع .. على ارض فانيه .

****

تلفت حولى فلم اجد رجل الجنوب الطيب صاحب البشره السمراء التى تشققت تربتها مخلفه تجاعيد أصيله جملت من صفحه وجهه السمح لملمت اغراضى واعدت هندام رزنامه الورق داخل الحافظه الجلديه ذات الرداء الاسود ورشقت بقلبها قلمى .. دسستها بباطن الحقيبه الشخصيه التى لا تفارقنى وهممت بالنهوض خاطفاً بطرف عينى النظر لساعه يدى حيث صار التعجيل بحالى أمر واجب لكى لا أصل بوقت متأخر قلعه قرين والدى .
أخرجت من حافظه النقود ورقه ماليه فئه ٢٠٠ جنيه اسكنتها أسفل صينيه الشاي بشكل يسمح للكريم المضياف ان يلمحها ثم مسحت المكان ببصرى فلم المح حتى طيفه ربما انشغل بأعماله .. بينما كنت اقيد الافكار العائده

من الماضى التى تراود خاطرى بمجرد استثاره بسيطه ممن حولى .. ودعت المكان متخطياً البوابه الحديديه خطوت إلى سيارتى التى باركها رجل الجنوب الطيب وأصلح ما حل بها بعد الانفجار المُربك الذى شهدته احدى عجلاتها فالان استعادت مركبتى عافيتها ولم يبق امامى سوى الانطلاق إلى مقصدى .
لازمتنى حمره النهار حتى شهدت النزاع الاخير لشمسه التى اصبغت صفحه السماء بشفقها الدامى المثير .. داعبنى السراب البعيد بألوانه الزاهيه حاولت الاقتراب منه الا اننى كلما توغلت بالطريق ازدت قناعه مفاداها انه لن تصافح يداى قطيفه السماء مادُمت ضاربا بقدمى الارض .. لكنى على الاقل استطعت طي صفحه الطريق الطويل فوصلت اخيراً إلى وسط المدينه الساحليه البوابه التى لم تنل منها الطرقات الهادمه .. لرُسل الامبراطوريات العظيمه على مر العصور ظلت حارسه للجسد الوطنى ولاتزال حارسه الامين.
عند المغيب اطلق قرص الشمس بصرخته الاخيره معلنا رحيله بينما ضربت أنا ارض اللواء وقد حط رحالى امام بوابه قلعته التى يحتضنها الشاطىء بأمواجه التى تتهادى من بعيد لتلامس رمال خلاء حصن الشاليه القابع بداخله قرين والدى اللواء (نصر الديب)
الرجل الذى اعاننى كثيرا على الحياه وعلى يديه كبر رجل البحث القابع بداخلى .
اسدل الليل ستائره التى تشف عن ضي بعيد استطاع الهرب من مسبحه الشمس فأضاء على استحياء جو الشاليه الُمطل مباشره على شاطىء خلا تماماً من الماره فالوقت هو أخر العام ومراسيل الشتاء تنذرنا بلدغات شتويه قارصه .
انعدم الوجود عن المكان تماماً فلم يكن بخلاء الشاليه سواي ترجلت من السياره وقرعت الجرس مره ومره ومرات ما من اجابه تذكر لعل اللواء قد عاد ليباشر عمله من جديد ولكن كيف وهو قد تخطى سن المعاش بسنوات .. كان من المفترض ان يكون بأنتظارى فهو من دعانى وأرسل الي قبل ايام

وألح بكتابه الذى ارفقه بمف.....

صحيح المفتاح بحوذق فتشت مخابىء حقيبتى الشخصيه حتى اهتديت إلى سلسله المفاتيح التى قيد بحلقتها مفتاح الشاليه غرست بنصله فوهه المقبض وادرته حتى ُفتح الباب فى سلام اصدر صرير مرعب .. ازيز قديم يليق بمشهد من فيلم رعب .. تخطيت عتبه الدار ومسحت بنظرى ارجاء البهو فلم ارى سوي الظلام .. اخرجت ولعاق الفضيه واطلقت شعلتها فأنارت بلهبها المترنح ما يعين وقع خطواتى لمسافه متر او مترين امامى .

تحسست على هدى لهب قداحتى الخافت السبيل إلى زر الاضاءه المتخفى خلف الباب بمجرد ان ابصرته ضغط عليه بكامل اصابعى فأنار جو المكان .. بدا المحيط هادىء .. هادىء تماما .. لا احد يلفظ الانفاس لا حياه فيه اين اذن اللواء .. وكيف يقضى وقته هنا وسط الخلاء ومما يستمد الحياه .. اهذا ما ظننت ان لديه طاقه الشفاء التى سيقرضنى بعضا منها لأستكمل مشوارى بالحياه والله لأحسبه هو من يريد الحياه فخاطبنى لزيارته .. ماذا يخفى لى العجوز قرين والدى ؟ .

صعدت بخطوات متأنيه درجات السلم الداخلى للشاليه متحسساً الدرابزين الذى ُطبعت بصمات يدى عليه فبدت بوضوح غريب بفعل ما تراكم عليه من تلال غبار الاهمال للمكان .. وصلت إلى الطابق الثانى ولم يصلنى سوى رجع صدى صوتى بينما انادى العجوز المتخفى عنى حتى ألان .

- سياده اللوا .. نصر بيه .. سياده اللوااااااا .....

نمى إلى مسامعى حفيف حكه غير منتظمه منبعثه من غرفه تتوسط الكوريدور اقتربت من بابها بأذنى حتى تأكد لي الصوت ادرت المقبض وطليت برأسى لمعاينتها فلم اجد سوى الفراغ الهائم بين احضان الظلام .. تخطيت عتبتها فلفحتنى صفعه بارده قشعرت كل نبته شعر تنتمى إلى جسدى تدافعت امواج الرياح واسمعتنى بردها الذى اصابنى برجفه افاقت حالى ونبهتنى إلى شيش الشرفه الذى ُفتح على مصراعيه وتتطايرت عنه

ستارته الشفافه الباهته .. خطوت بأتجاه النافذه حاولت اعاده الوفاق الذى افسدته الرياح بين دلفتيها فأبصرت من الاعلى وعلى امتداد البصر صاحب العزله .. العجوز الذى قرر بهذه الساعه ان يُلاقى الامواج بمفرده بقوته الواهنه اضأت نور الغرفه لأدقق النظر بطيفه الصخرى القابع امامى على رمال الشاطىء فتنبه هو الي والتفت برأسه تجاه قلعته التى اعتلى اسوارها وقح لم يتبينه بعد .. ربما لص.. هو حتما لص اصابه خلل بعقله فأطاح بحكمته وكذب عليه ليقنعه بأن بمقدوره اقتحام حصن العجوز.. صاحب العزله .

تغير كثير الديب صار عجوز كهل طالعنى بشرار تطاير من محجريه شرار اضاء الهاله التى تحوطه فبدا اقصر مما كان عليه انحف الدهر عوده ولمعت قصعه رأسه التى احاطها سياج فاقع البياض اقرب مايكون لفراء دب قطبى قد انتزعه الديب وعصب به رأسه اتقاء برد الشتاء الذى داهمنا لتوه فأرعد اطراف الوطن خاصه ذلك الطرف الساحلى الذى قصدته أملا للشفاء واستعادت روحى التى هربت من بين اضلعى كما هربت مُتع الحياه عن ذلك الذى يرقد امامى بمرمى البصر .

سقطت اماميه كركام تخلت عنه السماء فلفظته إلى تراب الارض ملقياً بحالى الذى ذاب شوقا وحنينا إلى الرجل الذى تعلمت منه الكثير فبرغم مواصله المراسلات بيننا الا اننى ازدت شوقا لدفىء خبرته وحكمته .

قابلنى العجوز ببرود قارص فحدقته مندهشاً فلم يبادلنى ايا اندهاش فملامحه الحاده الخشنه صارت اخشن مما كانت عليه فقد ازدادت حمره وجهه واتسع جبينه وتجعدت جنبات صفحه وجهه حتى رسمت اقواس حبست بينها ثغره وعينيه الغائرتين وانفه المنتفخ إلى حد ما .. تشمم بأنفاسى اللاهثه الثرثره المعهوده عند لقائى به فوكزنى بسبابته .

- شووووووووش .. ايه اللى أخرك ؟

لم تألف نفسى نبره السؤال شعرت بأن امر جلل قد فاتنى لم ينتظر خروج

الرد منى فباغتنى .

- دلوقتى بس اتأكدت انك اتغيرت .. اتغيرت كتير اوى يا عمر .

- انااا .....!!!

قاطعنى وهو يزيحنى بعيدا عن طريقه بيسراه .

- لو مكنتش اتأخرت كان زمانك عرفت السر .

خطى مترنحاً مبتعداً عنى تركنى فريسه سهله تصارع الموت بين انياب وحش الفضول المعتصر لأوداج رقبتى كاد ان يقطع عنى تيار الحياه فدوي بطول الشاطىء جواب صوتى الصريع .

- سر ايه ؟؟

استمر العجوز بالمضى فى طريقه ربما لم يصل اليه الصوت فأعدت الصراخ .

- سر ايه ؟؟ .. فهمنى ..

توقف على بعد خطوات لا تتعدى العشره امتار واستدار بكامل جسده ورفع يمناه فى ايماءه منه مشيراً إلى الارض وبلسان اهتز داخل كهف فمه ليبث الي بكلماته التى بعثرتها الرياح فتجمعت بصعوبه واصطدمت بمحاريب اذناي .

- السر اللى جابك هنا .. لحد عندى .. يا ابن زهران .

تجمدت للحظات .. لحظات غيبت فيها عن حاضرى حتى استفقت من غفوتى فلم اجده بالكاد المح طيفه الذى يهفو بالقرب من عتبات قلعته الشاطئيه ناديته حتى تعالت صرخاتى .

- يا سياده اللوا .. يا سياده اللوا رد عليا .. يا نصر بيه .. نصر بيه ...

ربت على كتفى من الخلف فأنتفض عنى جسدى كأن تيار كهربائى قد وغزنى بدفعه عنيفه اتيه من كابينه عموميه فواجهته بأستداره خاطفه وبعين متسع عن اخره وبنفس مقبوض فلم يسمح لى بمعاينه هيئته فأطلق بسؤاله الذى رشقه بناصيه رأسى المشوش .

- انت مين يا استاذ ؟؟! .

كاتب السر

" علمتنى الحياه ألا أمد يدى لطرق بابين من ابوابها
ما دُمت حياً .. هما الفضول والتطفل "

بدا كذبيح مُعلق يترنحُ مُقيد القدمين بسلسه معدنيه موصوله بهلب مزروع بسقف دوره مياه منزله .. يتدلى بجسده المسلوخ عنه غطاءه الجلدى موصد بأصفاد مُحكمه حول عنقه الملوي عن اخره بأتجاه صدره حيث جمعت عمليه الربط المُحكمه رأسه بمعصميه حتى قدميه بحلقه واحده مُحكمه فتقوس على حاله وتكور جسده وبرزت عنه فقرات سلسله ظهره بالكامل . الجسد عان الألام لأيام او لأسابيع وربما لأشهر .. مكسو بخدوش وجروح بعضها سطحى والاخر غائر .

صاحب الجثه عايش ألوان لا حصر لها من العذابات القاسيه على يد أخر قادم من عالم لا يشبه عالمنا نحن البشر بالمره .. هو اخر او ربما اخرين .

الجدران ملطخه بالدماء الطازجه بعض الاركان تجدها طريه على هيئه بقع متجلطه .. الجميع يكتم انفاسه من شده قذاره رائحه الزفار التى تملأ ارجاء دوره المياه .. رائحه لا تطاق ان لم تستجب لنداءات نفسك وتقبض بيدك طواعيه لتغلق فتحات انفك حتما ستختنق وستغادر المكان فور مطالعته .

تسمرت وحدى امام الذبيحه المتدلاه من السقف دون ان امد يدى إلى شيء ليس خوفا ولا بدافع الرهبه لا .. لان يدى مشغوله بسد الهواء الزفر عن الحاسه التى تصلنى بالحياه فأن تلوثت بالغبار العفن المتطاير حولى فلن تكون هناك حياه لي بالاساس .

طالعت الجثه بشيء من الصدمه .. لأول مره اهتز امام ضحيه ولا اعلم السبب تلفت حولى فلم اجد سواي .. الجميع قد هرب إلى اماكن اخرى

تنتمى للشقه التى شهدت دوره مياهها واحده من ابشع الجرائم التى عاينتها بطول سنوات عملى كضابط بالبحث الجنائى .

وصل لتوه دكتور صادق ليؤازر وحدتى بين جدران الجريمه النجسه .. أتى مُستعد كعادته حتماً ابلغوه بمدى قذاره جو المكان الخانق حيث تقفزت يداه وتقنع وجهه وضرب على صفحه جسده الاماميه بعازل بلاستيكى يقيه اوساخ المكان وربما ليحميه مما تنفثه فتحات الجثه من فحيح دما ازرق شديد القذاره .

ما ان ابصر دكتور صادق الضحيه المسلوخه حتى اغمض عيناه بل واعتصرها بداخل محجريه ثم احكم ثباته ومد ذراعيه بأتجاه الجثه وادارها ليعاينها وليته لم يفعل .

الجثه بهيئتها اقرب إلى هلال مقوس لم اطل مده الفحص بالتحديق إلى ماتجمع ببطنه من تورم خبيث كور عليه معدته هو ليس بكبير فى الحجم ولكن يكفى بشاعه هيئته الغير منتظمه تماماً .. كما طبع على صدره بكدمات وخدوش عنيفه اما الرأس فأن دُعي لوصفها اكابر الادباء فلن ينجح احدهم بالتأكيد حيث نتف الشعر من عليها على نحو غير منتظم مخلفاً تجمعات دمويه بباقى الفروه ذات النبت المتطاير كما ان العينان جاحظتان استحال بياضهما إلى حُمره دميمه قانيه لم تختلف فى درجتها عن باقى اجزاء الوجه الدامى .. الا ان ما اثار بداخلى ثوره الاشمئزاز حتى طفح بركان الغثيان وصرت فاقد السيطره تماماً بحالى هو ذلك الجزء الذى لايزال يلفظ بسرسوب من الدماء .. اخذ يدق الارض ببعض القطرات .. عضو التناسل المقطوع بشىء من البرود اللاانسانى بالمره .

انسحبت بهدوء تاركاً المجال لدكتور صادق فهذا طبيعه عمله وعملى ايضاً .. لكنى اردت الهروب بعيداً عن دفعات الهواء المُلوث بزفار قذر لم استطع تحديد منبعه .. فجدران دوره المياه المصبوغه بالدماء تنشع زفير مثير بالفعل للغثيان .. زفير انفاس الموت .

المنزل يتكون من اربعه غرف فُتحت جميعاً على بعضها البعض وُرصفت بالارفف المدرجه المحيطه بجدران المكان بالكامل مئات بل الالاف من الكتب والمخطوطات .

المنظر العام يوحى لك بأن هنا امتداد لدار الكتب والوثائق ربما لم يكن هذا بالشيء الغريب عن طبيعه رب المنزل ولكن الامر مختلف تماماً بالنسبه لى ولجميع من اوجدهم عثر حظهم بهذا المكان الدميم الواقع بين دفتى كتاب خشبى رث كذاك الذى وقعت عليه يد المعاون النشيط مصطفى سرور .. فبخزانه كتب صغيره مميزه احتلت مكانها بمحاذاه المكتب الخاص بالضحيه وجد مصطفى كتاب مُهلهل موصد برباط خشن متأكل لكنه ظل محافظ على ورقات ما بين دفتيه وكانت بصحبته مُفكره بحجم الكف وكومه مخطوطات طارت من العصور الوسطى لتحتل مكتب ذلك المسخ المجنى عليه .

وضع المعاون بين يدى ماحوته الخزانه الصغيره وادلى بموجز تعريفى خاطف عن صاحب الجثه المتدلاه من سقف دوره مياه المنزل .

- هو الدكتور (داوود اديب) عالم روحانى متخصص فى دراسه الظواهر الشاذه والماورائيات وكشف الطالع وخبير بالتنجيم .. من الاخر يعنى دجال.. الجيران اجمعوا انه كان راجل غريب الاطوار .. غريب فى تصرفاته وطريقه حياته .. ممكن يختفى بالشهور وفجأه يظهر من تانى وكأنه مفارقش بيته لحظه .. بس الاغرب بقى ان البواب وسكان العماره اجمعوا انهم مشافوش الدكتور داوود اديب من فتره ماتقلش عن ست شهور .. لحد ما .. سمعوا النهارده قبل الفجر صراخ هيستيرى خارج من شقه الدكتور داوود اديب .. مره يكون بُكي .. ومره يكون ضحك وقعقعه عاليه .. سمعوا وسط الدوشه دى صفير مزعج اتجمعوا قصاد باب الشقه .. خبطوا عليه .. كل مايزيد دقهم على الباب يعلي الصفير اكتر واكتر .. قام البواب كسر الباب وبمجرد ما دخلوا الشقه الصفير انتهى .. وكل حاجه سكتت .. فجأه سمعوا توسلات الدكتور

وهو بيستغيث كان واضح انه بيتعذب .. ورغم ان دوره المياه جنبهم الا انهم مكنوش قادرين يحددوا مكان الدكتور فين بالظبط فى الشقه .. دوروا عليه لحد ما .. لقوه زى ما شفناه متعلق راس تحت ورجل فوق وساقط من سقف الحمام .

حككت ذقنى محاولاً استيعاب ما حكاه المعاون النشيط من غريب لا يصدقه عقل رغم ان المكان بأكمله لا يوحى سوى بحقيقه واحده هى ان صاحب المنزل لا ينتمى إلى فئه الاسوياء من بنى البشر .

اطرقت النظر إلى ما سكبه بين يدى من مجلدات عتيقه ثم عاودته متساءلا .

- الجيران مقالوش ليك الدكتور فى توسلاته كان بيصرخ بيقول ايه بالظبط ؟

- والله يا عمر بيه .. قالوا حاجات كلها اغرب من بعض .. سمعوه بيقول .. مش عايز اعيش .. سيبونى اموت .. كفايه .. ارحمونى .. كلها جمل بتأكد انه كان بيتمنى الموت واضح انه كان بيتعذب لحد ما جاب اخره .. بس فى جمله غريبه قالها ما بين توسلاته وتمنيه للموت .. كان بيقول .. السر محفوظ وصاحبه موجود .. رددها مرتين حسب كلام الجيران والبواب .. سر ايه بقى ومين صاحبه ده .. الله اعلم .

خرج علينا دكتور صادق شارد الذهن متجهم الوجه انزوت خطوط مابين حاجبيه بدرجه اعتصرت ماء وجهه الذى تكاثفت قطراته على صفحه جبينه فوشى لنا عرقه بمدى الصدمه التى ارتسمت معالمها بتمام يعاينه ضعيف البصر فى يُسر تام .. نظف كفييه بمنديل مُعطر واقترب هامساً بأذنى فى هدوء .

- هو من آلم نفسه وأرهقها حتى الموت .

بلحظات الغرابه والصدمه لا تستطيع ان تفرق بين التقرير الشفهى للدكتور صادق وتقريره الكتابي فكلاهما يخضع لعربيه فصحى بليغه .. وهذا ما أكد لى ان بالامر أمر اخر اكثر غرابه وقد استطاع خبير الطب الشرعى المُحنك ان يكشفه .. وحده من استطاع كشف السر .

بعد سفح عدد لا بأس به من الاقراص المُسكنه لألام الصداع المُزعج عينه ابدأ بقرصين لازال اعانى ضجيج بغيض يضرب بأصقاع رأسى مُحدثا ألم عنيف تملكنى منذ ان سرت رائحه الزفار واحتلت نغاشيش انفى فأربكت المسارات الطبيعيه للرسائل التى يبثها العقل لتنظم حركه مرور الاعضاء الحيويه بداخلى .

ابتلعت حتى ألان ما يكفى لأسكات دوي مدافع حروب القرن ولايزال الصداع يعصف برأسى كما ان رائحه الزفار لا تزال تحوم بأنفى بل وامتدت لتشمل جو المكتب عن اخره .

اسرعت إلى الشرفه وفتحتها على مصراعيها كدت اختنق تنسمت دفعات الهواء النقي التى اعادت الي تيار الحياه من جديد والذى ربما ان تأخر قليلا عنى لكنت مُشيع إلى عالم السماء .. خفت عنى زمجره الصداع وهدأت رائحه الزفار قليلا حتى استعدت كميه مقبوله من الوعى الا ان شعيرات أنفى تنبهت من جديد لرائحه الزفار التى تحررت لتوها من قيدها ربما انتقلت معي إلى مكتبى حيث قلعه البحث الذى لا ينتهى .

تصفحت المُفكره التى صاحبت الكتاب الخشبى المهلهل وبعض المخطوطات الرثه المبُهمه التى دفعها الي المعاون النشيط مصطفى سرور .. امعنت النظر إلى تلك التى بحجم الكف ولكن لها مفعول قاسى كلما قربتها إلى وجهى لأطالع ما خط بصفحاتها ارتفع مؤشر رائحه الزفار .. كشفت عن اول ما ُكتب بأولى صفحاتها الصفراء المُعبده باللون الاحمر الدامى .. لم استطع معاينه ما جاء من كلمات اسفل عيناي لم استطع تقريبها إلى وجهى من الاساس فالكلمات التى ُخطت بها بالتأكيد نقشت بدماء ربما لحيوان او طير او انسان .. لا اعلم .. كل ما ادركته تمام الادراك هو ان المُفكره قد كتبت بالدماء والرائحه خير شاهد على ما انبعث منها من زفار وتحذيرات .

ذكر الدكتور داوود اديب بأولى كلماته الداميه بها والتى جاءت كما قرأت...

- بدأت القراءه اليوم ٧ / ٥ ولا أعلم ان كانت حياتى ستستمر حتى انتهى من

مُطالعه (رسائل آلهه الارض) ام لا ؟! .
يقصد العنوان المنقوش على غلاف الكتاب الخشبى القديم .. شديد القدم .
حملت الصفحه الاولى جملته سالفه الذكر فقط .. تصفحت بشىء من الحذر لا عن خوف او رهبه على الاطلاق بل رغبه فى اتقاء الريح القذر الذى كلما فررت صفحات المُفكره بالسرعه المعتاده نفثت بوجهى برائحه شديده الزفار .. بشىء من الهدوء قلبت الصفحات حتى وصلت إلى المنتصف فقرأت .
- اشعر ألان انى ملك بيدى صولجان المُلك .. كل رغباتى قد تحققت فلم يعد لي للخير سبيل ....
بمزيد من التقليب الباعث للغثيان قرأت عيناي بالصفحات الاخيره من المُفكره .
- من هنا اكتب نهايتى ...
فراغ حل بباقى الصفحات .. ربما اختفت رائحه الزفار لاتزال نشطه حتى مع الصفحات الصفراء الباهته الخاليه من دماء مخطوطه .. حتى ابصرت سطرين مُنعزلين عن باقى صفحات المُفكره القذره .. سطرين صيغا بلهجه تحذيريه واضحه .
- ان غلبك الفضول وخانك تطفلك وطالعت الاسرار فأعلم انك قد سرت عبداً له وقيدت نفسك لخدمته وحده .. وان اردت التمرد او الخروج عن امره فلن تأمن عذاب الوكلاء
جفت الدماء عن باقى الصفحات القليله المتبقيه من مفكره الدكتور داوود اديب كما جفت عنه الحياه حتى هلك .. الدكتور اديب رجل غامض بشهاده الجيران وكل من حادثه يوما بل ان كُتبه وموضوعاته واحاديثه التليفزيونيه وذياع صيته كعالم فريد من نوعه ليس متخصص بعلم الماورائيات وكشف الغيبيات وحسب .. بل هو ابن قد طرد من العالم الاخر وجاء ليحدثنا عن اهواله او ربما اراد فضح اسراره وهذا ما اثار غضبه اسياد المجهول فأنتزعوا منه اسرارهم العالقه بروحه .. ولكن بعدما اذاقوه مراره خيانه

العهد الذى فطر عليه اثناء تمتعه بالاقامه وسطهم قبل ان تحل عليه وعلى جسده اللعنات .

اطلت التفكير بأمر مُطالعه الاسرار لكن صوت ما هاتفنى بنبرات ربما نقلت إلى مسامعى اللهجه التحذيريه التى صاغ بها الدكتور اديب اخر كلماته بمفكرته الداميه .

قررت ألا اجازف رغم انى لم اقتنع يوما بالخزعبلات التى تُحاك لنا كل يوم بل وتردد على السنه تنتمى لرؤؤس فارغه لا يملأها سوى الجهل .. الجهل وحسب .

عاينت بشكل خاطف ما ورد بالمخطوطات الجلديه المُهترئه .. لم استطع فك شفره الرسومات التى نقشت عليها .. جميعها رسوم هندسيه ربما تخص عالم رياضيات او مُهندس ينتمى إلى فئه الاوائل من اصحاب العلم .. لم اكن يوما مُحبا لعلم الرياضيات ولا اطيق سيرته لذا قررت اعاده تحزيم المخطوطات واحكام غلق المفكره التى اشاعت بالمحيط قذاره خانقه .. كما ان الوقت قد تأخر وقاربت عقارب الساعه ان تلدغ الزمن الليلى بمنتصفه .. وجب علي مغادره المكتب فلابد وان اتنعم بقدر من الراحه لكى لا اهلك جراء استنشاق الغاز المميت المنبعث من بين دفتى المفكره المميته برائحتها النفاذه .

لم يزرنى النعاس طيله الليله المشؤمه فقررت من تلقاء نفسى الا اعانى التقلب بالفراش كتمساح قبض بين فكيه على رقبه فريسته وأخذ يُمزق جسدها لينعم بوجبه طازجه تعينه على مشاق حياه الافتراس التى كتبت عليه .. انتابنى الارق القاتل لازمنى حتى مللت صحبته طيله ساعات الليل التى اخذت تتباطىء بالضبط كعجوز اشار بعكازه لسياره اجره فساء حظه وتوقف له السائق على بُعد عشره امتار ليته كان يعلم ان بنقطه توقفه هذه كان محل الوصول الذى اراده العجوز الهرم .. فلم يختلف طارد النوم من الاكفان عن حال سائق الاجره كثيرا .. حاولت بكد ان اتأقلم مع الارق ليلتها لكنى اعلنها وبقوه فشلت .. فشلت تماما .

ظلت اكفانى مفتوحه طوال الليل تنسج بخيوط كئيبه صور ورسومات كان بطلها الجثه المسلوخه المتدلاه من سقف دوره مياه شديده الحمره .. شديده الزفار .. شديده القذاره .. عنوان مثالى لمنبع النجاسه وطفح الاوساخ.. شعرت بأن رأسى قد تلوث بما عاينته من قذاره كان يجب ان انفض ما علق برأسى وانظف حالى جيداً .

نهضت ونظفت حالى وانتهيت من حمام دافىء .. كم كنت اتمنى ألا تأتى نهايته على الاطلاق .. ثم عدت إلى مرقدى بالصالون وفى يدى قدح مشروبى المفضل حلبه بحليب ادرت جهاز الثرثره التليفزيونى .. اخذ ابهامى يضغط ازرار الريموت كنترول فقلبت البصر بين المحطات التى لا نهايه لها حتى تنامى إلى ادراكى بأحدى المحطات المُعلقه ليافطه نقشت عليها .. راحتك غايتنا .. وهى بالاصل لا تفعل سوي الضحك على الزبون وما اكثر زبائن هذا العصر .. كانت تذيع مقاطع للعالم المسلوخ الدكتور داوود اديب .. كان يتحدث عن الجن المُسخر لخدمته .. اذاعوا تقرير له يتحدث فيه عدد من الجهله بُساط الحال متواضعى الثقافه متغنيين بكم الكرامات التى يُغدقها الدكتور اديب عليهم فيشفى ويبرىء ويُغنى ويزوج ويوفق .... كلها ايات من الكفر المبين يصيغها العالم الروحانى الذى امطره الجمهور بمئات بل الالاف من الامنيات والدعوات وقابل هو بدوره الجميع بكلمه وعد منه .. ان شاء سيده .

حينها تذكرت قوله الدكتور صادق بالفصحى البليغه التى جرت كلماتها على لسانه المُصقل من كثره مطالعاته وحب الزاد من بئر العلم الذى لا ينضب.. جاءتنى كلماته التى اسمعنى اياها حين انتهى من معاينه جثه الدكتور داوود اديب وشتان بين هذا وذاك .

(هو من آلم نفسه وارهقها حتى الموت) .

بساعات الصباح الباكر وانا بمكتبى جاءنى مظروف كبير بُنى مغلق نقشت عليه عده اختام رسميه معلنه عن الجهه التى خرج منها (مصلحه الطب

الشرعى) مررت بنصل السكين المخصص لفتح الاظرف واخرجت التقرير الذى قد صاغه دكتور صادق حيث جاءت الكلمات كما وردت بالتقرير .
(بعد فحص جثه المدعُو داوود اديب تبين لنا انه كان يعانى بعض الهلاوس والضلالات التى دفعته إلى .. الانتحار) .
دق الباب وولج منه الدكتور صادق حيث قذفت اليه بكلمه خرجت منى متساءله مندهشه .
- انتحار !!
تبسم فى ثقه وهز رأسه مؤكداً ما قرأت .
- ايوه انتحار .. مش قولتلك هو من آلم نفسه وارهقها حتى الموت
- ايوه بس يعنى ..
قاطعنى بإشاره منه لاسكتمل ما بدأته حيث أمرنى بالتفتيش بقلب المظروف فأخرجت منه عدد من الصور الفوتوغرافيه التى التقطت لجثه الدكتور داوود اديب .. تطلعت إلى الدكتور صادق بفم ثاغر معلنا التساؤل عما يريد ان يرمى اليه لهذه الصور التى عاينتها بالواقع فحدثنى بنبره امره .
- ركز كدا شويه فى الصور اللى قدامك .. اكيد هتلاحظ حاجه مش غريبه عليك ..حاجه انت شوفتها ضمن اغراض الدكتور داوود .
امتثلت لأمره على الفور فراجعت الصور وامعنت النظر وبالفعل هناك شىء بل اشياء مألوفه إلى نظرى كانت رسومات .. الرسومات الهندسيه نفسها التى تعثر علي ادراكها عند مطالعتها لأول مره بالمخطوطات التى ساقها إلى يدى المعاون .. المخطوطات القديمه التى صاحبت الكتاب الخشبى الرث والمفكره الداميه المثيره برائحتها القذره للغثيان .
رفعت رأسى مصوباً بصرى مباشره إلى عين الدكتور صادق فأبتسم بعدما استشف حاله الادراك التى قد بلغتها بفضل توجهاته .. حادثته بأمر المخطوطات فأخبرنى بأنه يعلم سرها جيدا .. كانت تحوى طلاسم ورموز مرشده فقط إلى الهلاك وسوء الخاتمه التى نال وافر نصيبها الدكتور داوود

اديب .
خامرنى الشك بل واستحوذت حاله من اللافهم وربما اللاوعى فتملكت كامل حالى .. وجدت لسانى يُصارح خبير الطب الشرعى المُحنك بما حواه درج مكتبى من اسرار لألهه الارض ومفكره ان احللت عنها قيدها وفارت منها رائحتها العفنه حتما سيصاب الدكتور صادق بنوبه غثيان سيقاطعنى بعدها إلى الابد خاصه وانه يعانى حساسيه الصدر .. حيث اخبرته بكل شيء ولم اهتم بأمره دون ان أعرضه لمخاطر صحيه نحن فى غنى عنها .. فهو بالنسبه لي المنقذ الوحيد والذى يجب ان احافظ عليه حيا لاطول فتره ممكنه لكى لا اهلك من بعده .
صمت متدبراً للامر فغاص بنوبه من التفكير العميق حيث تناول كوب الماء المثلج المصاحب لفنجان قهوته الثالث فأعدت اليه بسؤالى .
- اعمل ايه يا دكتور فى المصيبه اللى عندى فى درج المكتب .. احرقها .. ولا ارميها فى النيل ولا ادفنها .. ولا اعمل ايه بالظبط ؟؟ .. شور عليا .
انتصبت سبابته وهدانى سبيل الرشاد .
- افضل مايمكن ان تفعله هو ايداع الكتاب والمخطوطات والمفكره بخزانه دار الكتب والوثائق .. دا الحل الاسلم ليك وللبشريه كلها .
لم اضع الوقت .. طرت إلى دار الكتب والوثائق واودعتهم اغراض من اهلكهم التطفل لنبش اسرار العالم الأخر فخيل اليه ان بأستطاعته كشف امره لينضم إلى قائمه الملوك الخالده التى هى بالاساس وهم .. كالوهم الذى كان يبيعه اديب إلى بنى جنسه من الجُهلاء حتى اغنوه بالثراء الفاحش وليته تنعم بما جمعه من تلال للمال بل غاص بقاع قراره لم يبلغه بشر لان القاع وبكل بساطه ليس له من قرار .
بعد ايام شب حريق مجهول السبب بخزانه دار الكتب والوثائق لم تلتهم النار سوى بعض الاجزاء الخشبيه للخزانه والمفكره والمخطوطات والكتاب الخشبى الملعون .. فى الوقت الذى التهمت فيه النيران مسكن الدكتور داوود

اديب حتى افحمت جدرانه واخفت معالمه والتهمت ما حوته من كتب ودوريات انفق الدكتور داوود اديب سنوات من عمره ليجمعها لتحل عليه بالنهايه .. لعنه الوكلاء .

الدكتور اديب سعى إلى المجهول بدافع التطفل الذى قاده إلى نهايه حتميه كان يعلمها جيدا لكنه تغافل عن حقيقه خطها بسوء خاتمته .. هو الفضول الذى قاد صاحبه إلى الهلاك .

****

ولت ليلتى الاولى بقلعه قرين والدى الذى تبخر من الوجود بعدما أرق مرقدى بصفعه السر التى لطمنى بها بمجرد ان رأنى .. حاولت طوال ليل البارحه ان احرك عنه لسانه طرقت باب حجرته مرات فلم يأتينى رد .. لم يتناهى إلى مسامعى حراك شيئا مما وراء باب الغرفه .. الفضول يلتهمنى لكنى بالنهايه أسرت التريث فأنا من علم عن حق خواتيم السُبل التى تطأها اقدام الفضول .. مأساويه بالطبع .

لاتزال الارض متدثره بثياب الليل الرقيق الشفاف الذى يشف عن قمريه باهته تميل إلى الحُمره بمطلع الصبح منبثقه من بعيد من هوه بنهايه امتداد البحر الذى اعلن غضبته بالامس وقد قابلته السماء بعين بارقه وصوت راعد لتلزمه الهدوء لكنه أبى الانصياع لأمرها كعادته التى أورثها لعم (سباعى) خفير الشاطىء وكلبه الودود (ابوالوفا) المنتمى لفصيله اللابرادور .

بوشاحه الصوفى المتلفع به ومعطفه الطويل الذى يغوص بداخله ليتخفى من برد الشتاء العنيف وعصاه المصقوله التى ربما كانت يوما ما نبوت بيد أحد فتوات الحاره المحفوظيه وقد رحل عنه مالكه فأورثه التقاعد عن عمله رغم انه لايزال محتفظاً بقوته الا انه لم يعد سوي عصا يتوكأ عليها عم سباعى عوضا عما اصابه من عجز بساقه اليمنى .

تقاسمنا اقداح الشاي المغلى على الانغام التى عزفتها اوركسترا السماء بآلاتها

المطيره تاره وسيولها المزعجه تاره اخرى .. تسامرنا بكابينه يسكنها عم سباعى بصحبه كلبه الوفى الطيب ابوالوفا الذى لم يغادرنا بلهاثه طوال الليل المطير متنسماً دخان الآله الحارقه التى يشد منها عم سباعى بكل تلذذ وسعاده غامره نسمها السام .. ضارباً بين شفتيه المبسم البوصى المزروع بقلب برطمان زجاجى امتلأ نصفه بالماء واعتلاه موقد فخارى ضئيل تداعبه قرص المعسل المتربع على عرشه جمرات يزداد لمعان وميضها كلما سحب بكل همه مستنشقاً خلاصه السم الناتج عن احتراق المعسل نافضاً من على الجمرات الرماد الذى اخذ يتطاير من حولنا فى كل مره يوغزه فيها عم سباعى بطرف الماشه فيتنعم هو وكلبه بنسمات ضبابيه لها لذه لا تقاوم .. الا ان لذتها التى ستمتعك قليلا اعلم انها ستألمك كثيرا ان ايقظت المارد السرطانى النائم بداخلك .

تطايرت الاحاديث بيننا ولم اتذكر ماذا دار بجلسه الثرثره الاولى التى جمعتنى بعم سباعى حارس الشاطىء فعقلى لم يكن بخالى البال ظل قيد السر الذى صفعنى به سياده اللواء المنعزل عن الدنيا وما فيها .. ربما خير من كان متيقظ بجلستنا ليله امس .. كان ثالثنا المُنصت اللاهث دوما .. ابوالوفا .

حتى غشى النعاس اجفان وريث نبوت الفتونه الذى صار عكاز لا يفارق يده والذى اخرق بشخيره طبله اذنى الا ان صديقه ابوالوفا ظل متيقظاً حتى انعمت عليه بقطعه بسكويت محشو بالعجوه كانت بحوزتى فتراقص فى فرحه غامره ولم يتركنى الا أمام عتبات قلعه صاحب العزله .

انتهت السماء من نحيبها الذى خلف بركه بمدامعها التى امطرتنا اياها بالامس حتى اتملأت قصعه الحديقه بالمخاض .. احتل الاهمال اركانها فلم تكن بالسابق هكذا .. كانت صوره مُصغره لجنه الخلد بالارض .. لا اعرف لماذا لم يعد قرين والدى يهتم بنظافتها وهندام ازهارها التى ذبلت وتساقطت .. بل ان شجر الليمون والبرتقال المحيط بالقلعه كسياج مُثمر اهمله ايضاً حتى تحجرت الاشجار وتوقفت عنها الحياه تماماً .

غابت رائحه ازهار القرنفل وصمتت انغام العصافير الزائر الدائم للبستان الذى لم يعد سوى ارض خلاء تسكنها اشجار متحجره اخرسها الاهمال .
نزحت مااستطاعت من المياه التى تراكمت وسط الحديقه حاولت بمساعده ابوالوفا ان اعد اليها مبادىء النظام فمددت يد العون للشجيرات التى لاتزال صامده امام اكوام القمامه التى احتلت المكان .. ازلت الكثير منها ولايزال هناك بعض التلال .
عملت حتى بزغ قرص الشمس وحانت ساعة الظهيره ولم يظهر صاحب العزله كما لم يصل عم سباعى من رحلته التى قصد فيها السوق ليأتينى ببعض ما أمليته من لوازم واطعمه يقضيها لي فأنا بطبعى اكره الزحام افر منه لبعيد اينما لاح بشبحه البغيض حولى .
أنسنى ابوالوفا لحظات الانتظار .. فأفضل ما فى صديقى الجديد هو انه ينصت فقط ولا يتحدث رغم ان له لسان اطول من لسانى .. لكنه لم يألف بعد لغه البشر .. اخيراً ابتسمت لى الدنيا وصافحتنى بصديق لا يجيد سوى الوفاء والصمت .. يكفينى لهاثه الذى لا ينقطع عنه ابداً .
مددت ساقى امامى وارحت ظهرى متوسداً ذراعى خلف رأسى سرحت بالامواج التى تحاول الوصول إلى نقطه هى وحدها من يستطيع تحديدها .. لكنها رغم كل هذه الامواج المتدافعه الواحده تلو الاخرى لم تصل بعد إلى مبتغاها كحالى تماماً .. حيث قررت ان اهاجر إلى من تمنيت ان يريحنى بالدواء فلم اجد منه سوى الصمت والاهمال .. الاهمال الذى اطلقه على كل ما حوله حتى عمت الفوضى والقذاره قلعته .
تعالت ضحكاته التى مرت كطلقات متتابعه بجوار اذنى فألتفت اليه بوجه متجمد لم اشاطره السعاده المفرطه التى حطت بثغره الذى انفرج عن اخره بلا أى مقدمات .. جال ببصره فمسح ارجاء الحديقه فرمقنى بسؤاله .
- انت اللى عملت كدا ؟
اجبته بأيماءه صامته ادرك من خلالها انى أنا الفاعل .. أنا من حاول اعاده

البسمه إلى الحديقه البائسه .

- جميل .. فطرت ؟

ادرت وجهى ناحيه الشاطىء وانا اهز رأسى بالنفى ولا ازال احافظ على تصنعى حاله الصمت التى تلبستنى بمجرد ان جالسنى الجنرال العنيد .

ضرب كف بكف مندهشاً وحدثنى معاتباً .

- طب ليه كدا يا ابنى .. ما كنت تفطر .. انت مش صاحى من بدرى .. لاحول ولا قوه الا بالله .. معلش اصل غلبنى النوم .. كمان انت مالك خاسس ليه كدا .. انت مُضرب عن الاكل .. هاه .. انت .. عمر .. انت مابتردش عليا ليه .. ماتكلمنى زى ما بكلمك .

واضح ان خطتى قد اتت بثمارها وفى الحال فلم يطق الجنرال العنيد تحمل صمتى عنه لدقائق وانا من عانيت الامرين بليلتى التى لم يخاطبنى فيها بحرف واحد لولا مجالستى لعم سباعى وابوالوفا كلبه الوفى .

انتفض صاحب الحصن المنيع وانزوي خلف الكرسى بمجرد ان ابصر ابوالوفا الراقد إلى جوارى فى هدوء يلوثه قليلا لهاثه الذى لا يتوقف عنه .

- ايه ده .. ايه ده .. مين اللى جاب البتاع ده هنا .. انطق ؟؟

- دا ابوالوفا .

قولتها بسلامه نيه فصاح بي .

- ابو مين؟؟ .. انت تمشى البتاع دا من هنا فورا والا ....

قاطعته محاولا تهدأته .

- يا سياده اللوا دا كلب عم سباعى الغفير .. انت ماتعرفهوش ولا ايه ؟

- غفير .. وزير .. البتاع ده تمشيه بعيد عن هنا حالا .. مفهوم .

نهض ابوالوفا من مرقده وفر بخطواته الوثابه إلى صاحبه الذى أتانا محملا بأكياس ربما حزم بداخلها بضائع السوق بأكمله .

تلفت حولى فلم اجد ظل مُحدثى غادر الجنرال المكان بمجرد ان لمح عم سباعى .. ربما كان على خلاف معه .. ألقى حارس الشاطىء بجسده البدين

بعض الشيء إلى الكرسى وتلعثم فى لهاث مُضطرب الانفاس مؤكداً انه لم يترك غرضا واحدا الا واحضره وبينما يتلقف عم سباعى الانفاس تعالى لهاث اخر ليس ببعيد .

لمح ابوالوفا الكيس الفضى اللامع حيث ابصر غلاف الحلوى التى اضحى يميزها على بُعد اميال .. بادلته النظرات فنبح بأستعطاف ذكى تبسمت لفطنته التى يفتقرها كثير من بنى البشر بزماننا .. اخرجت له قطعتين من البسكويت المحشو بالعجوه فرفرف قلبه فرحاً قبل ان يلتهم حلوته .. اخذت علامات الارهاق تجف عن جبين عم سباعى الذى اغرق احشائه بزجاجه مياه كامله اطفأ بها نيران الجهد المُضنى الذى بذله لأحضار لوازم وحاجات كانت قلعه الجنرال تفتقر لها .. وبينما اراجع قائمه المشتريات منشغلاً بموعد الغداء وما سأعده من طعام يرضى جوف صاحب العزله ليرضى هو علي ويريح عقلى من سجن التفكير المتواصل بأمر السر الذى لايزال سراً واخشى ان يبقى كذلك حتى النهايه .. تعالى رنين هاتف بالقرب منى ملأ الخلاء بصخبه وبحركه لا ارادیه فتشت مخابىء سترتى وبنطالى فراسلنى عقلى حتى ادركت ان هاتفى قد تركته حبيس اسوار منزلى لم ارد سماع أى صوت بشرى بعزلتى .

حادث عم سباعى المتصل كانت كلماته خاطفه حتى انه انهى مكالمته فى زمن قياسى لم يتعدى الدقيقه ولم يكرر سلام الوداع الف مره كعاده جميعنا .. اغلق الخط ودفس الهاتف إلى جوار قلبه داخل البالطو الطويل الذى يتدثره .. سهم للحظات فى صمت لم اتلمسه بحارس الشاطىء منذ ان ارعدنى بهيئته المثيره للريب والرعب ايضاً .

وجم فى بلاده عاينته بطرف عين ولم ارد التطفل عليه لكن الحاله التى تلبسته بعد غمغمته الهاتفيه التى بترها سريعاً لا تنبأ عن خير .. نهض عم سباعى حاملاً ثقل جسده وخطى فى طريقه دون ان يُكلف لسانه عناء الاستئذان فلحق به ابوالوفا الذى كان اكثر تحضرا من صاحبه حيث نبحنى بتأدب وصافح ساقى بطرف ذيله ثم استظل بخيال صاحبه الهائم على وجهه

.. ناديته فلم يجب تابعته حتى اختفى عن بصرى فتأكدت ان بالأمر شىء لم يكن بالهين .

خلال ساعتين من الزمن استعدت فيهما ما اتقنته من فنون الطهى حيث أعدت مائده لابأس بها توجت السفره بصحن حساء الفريك البلدى بقطع اللحم البتلو الصنف الذى راهنت نفسى على ان رائحته ستجلب الجنرال وان كان على بعُد ميل وتفننت فى صنع طبق من السلطه الخضراء إلى جانب الطبق الرئيسى كانت قائمه محدوده الاصناف لكنها صحيه وهذا اهم ما فى الامر .

نزل درجات السلم الداخلى برشاقه فحتما ساقته اسراب عصافير معدته إلى المائده بالضبط كما توقعت .. جالسنى بشهيه من لم يذق للزاد طعم منذ سنوات .. نهم الحساء بيد مرتعشه لم يكن الديب هكذا فماذا احل به ؟! .. كلما رفع معلقته إلى فمه تساقط منها المرق ليعود إلى طبقه او ليُلوث ما حوله .. تنبه الديب إلى نظراتى التى لم تنزل من عليه لحظه فالحاله التى قد أل اليها صاحب العزله آلمتنى كثيراً .

رشق بمعلقته صدر صحنه واراح ظهره ثم عبث الي مخاطباً نظراتى التى حملت اليه سؤالى عما اصابه فباغتنى بكلماته .

- لعلمك .. أنا مستنيه بقالى كتير .. بس هو مش راضى يجيلى .. ليه اتأخر عليا .. مش عارف ؟؟.

جاءتنى كلماته فى نبره بائسه يائسه لكنها لم تزدنى سوى تخبط بأمر الرجل .

- هو مين اللى انت مستنيه سعاتك ؟؟

اصابنى بمقتل حين اجابنى بلا ادنى تردد .

- الموت !!!!!

ازاح بكرسيه إلى الخلف بكل ضيق وحزن .. غادر طعامه المفضل الذى سممته عليه افاعيل الزمن الغادر .. بالامس كان يكفى ذكر اسمه فتهتز له اشرس الشخصيات اما اليوم فلم يعد الجنرال قادر على تناول طعامه

بعدما اصاب اعصابه الشيب فرعشت يداه . ليت العافيه تعود إلى جسد الجنرال العجوز وتأتيه ولو بشعاع من الامل الذى اطال عليه الانتظار حتى مل الحياه .

جرحنى حال سيد فرسان الحصن الذى لطالما اردت الاحتماء خلف اسواره العاليه من الاشباح التى تراودنى منذ فتره حتى مغصت عليا حياتى وابدلت حلوى مُر لاذع لم اعد اتحمله .. كنت قد صارحت الديب العجوز بما اعانيه خلال مراسلاتى التى سبقتنى اليه فجاءنى رده بإلحاح كى احتمى بقلعته من نفسى .. غلف إلحاحه مشاعر الاب وحكمه المُعلم وروح القائد غمرتنى حينها طاقه انسانيه لكم افتقدها كثيراً مؤخراً .

ألان بعد ان عاينت حال العجوز بات يتردد بخاطرى هاتف بغيض يوغزنى بدبيب ينخر عظام رأسى بهمزاته الدميمه يُحادثنى بكل برود يلمزنى بأفكاره السوداء حالكه السواد .. يُعلمنى مؤكداً انى بالفعل قد استطعت الهرب من سجانى .. لكنى فى حقيقه واقعى لا ازال حبيس سجنى .. لم ابرح محبسى بعد .

من بُرجى العالى لاحت امامى بأمتداد الشاطىء لألأه ضي منبعث من كابينه الحارس الامين عم سباعى .. ادركت انه قد عاد إلى كابينته الشاطئيه .. تهادى إلى مسامعى نباح ابوالوفا الذى حملته الرياح البارده المتدافعه بصحبه الامواج الثائره المطالبه بديه واجبه سلتزمها عداله السماء بعاتق الليل الذى اسدل ستائره ليغطى عن جريمته التى ألحقها بقرص الشمس ساعة المغيب .. فبين اجرام الطبيعه لا مجال للظلم .

حملتنى رياحين الهروله حتى اسقطتنى امام عتبه الدار الصغير المتخفى بداخله عم سباعى وكلبه الوفى .. كان باب الكابينه مواربأً ما ان اقتربت منه حتى خرج الي ابوالوفا مُرحبا بي كعادته صافحته بحلوته المحشوه بالعجوه فتراقص بذيله كأن معشوقته قد أتته بكل رضا دون صراع او مجازفه فلبي لها النداء .. تركته يختلى بحلوته وطليت برأسى لمعاينه من غادرنى بلا أدب

.. لكنى تلمست له العذر .. بعدما افجعنى بما صبه علي من حزن اصاب غشاء قلبه بسهام الخوف على حال ولده الذكر الوحيد الذى تفضلت به السماء عليه بعد ان شاب لتسكت عنه رغبته التى تصرخه طوال السنوات التى قضاها بحثاً عن الولد بعدما صار بعاتقه مسئوليه اشباع سبعه افواه من الاناث .

ألان ضرب القدر بحائط منيع حجز عنه ولده الوحيد الذى رقد على فراش الرعايه بعدما سقط بكامل جسده من على صقاله نصبت على ارتفاع احد الابراج التى لاتزال بمهد البناء حيث يعمل ولد عم سباعى صبى فاعل تحت أمر مقاول خسيس تنصل من مسئوليته تجاه الصبى الذى غاب عن الوعى واخذ تيار الحياه يتسرب من عروقه ووالده يبكى حزنا عليه وهو لايمتلك له .. حق الدواء .

****

جراب الحاوى

" الانجاب نعمه والبنون شهوه وكم من شهوه تجملت بها الدنيا
اردنا اشباعها فسكتت عنا بصراخ اجيال واجيال قاذفتنا بهم
السماء دون ان نمهد لهم الطريق بالحياه .. غرباء أتوا شهوه
وسيحيوا بجحيم الارض وسيرحلوا مُحملين بتلال من ذنوب
نحن من اقترفها بضمير ضرير ومسئوليه لاهيه وشهوه عمياء "

تخطت آله الزمن ساعة مُنتصف الليل وتقاطر ُسم عقاربها حتى أمات قلبه الداكن فلم يبال آنين ذلك الصغير الغارق بين امواج مدامعه يرتعد جسده الضئيل .. بل وينتفض كأن تيار أعور هرب من مُولد عمومى واخذ يداعبه بلا رحمه .. غطس برأسه بين ذراعيه فتكور على نفسه .. ألتصق بالرصيف المواجه لبوابه العقار الذى اسكنه .

أنا من تحركنى الاشارات لبدء رحله جديده بعالم البحث الجنائى الذى لم ولن ينتهى طالما ان هناك .. انسان .

الا ان بتلك الليله لم يقتحم المعاون النشيط عليا المكتب .. لم يمرر لي بتلك المطويه الخضراء المائله إلى الزرقه مميزه الهيئه والرائحه لم تسر الامور كالمعتاد فالقدر وحده من ساقنى إلى ما ارعب الصبى حتى ابكاه .

ترجلت من سيارتى مقتربا من تلك الكومه البشريه الضئيله التى قد حطت امام بوابه العقار .. لم يكن بالمحيط سوى نحيب الصبى المكتوم وعيواء يتهادى من بعيد ورياحين تهفو فى تثاقل خنيق يحمل بقايا ابخره احتراق .. ربت على كتفه فى هدوء فأنتفض رافعا رأسه مطلقا بصره الي .. اخذ يكفكف مدامعه بُكم سترته.. رغم صغر سنه وحاله الفقير للغايه بملابس ملطخه

بألوان من القذاره تعلوها ستره مُهترئه تكشف عن الجسد اكثر مما تستره .. وجهه تلقى من الدنيا صفعات ان كيلت لبالغ فحتماً سيصرخ بأعلى حسه طالبا الرحمه .. اما الصبى فقد وجدته صلب لا يريد ان يُظهر ضعفه لأى مخلوق .. حتى أنا .

- مالك .. وايه اللى مقعدك هنا كدا فى ساعة متأخره زى دى ؟!!

دفعت اليه بسؤالى فصمت حتى انتهى من تجفيف مدامعه ولم يرد .. شعرت ان لسانه قد عقدت بطرفه الكلمات .

- اتكلم .. متخافش .

تفرسنى من شعر رأسى حتى اخمص قدمى فألفنى ووثق بي .. كما استجاب اخيراً إلى توسلاتى فغمغم وهو يشيح برأسه تجاه العقار .

- ابويا مات .. فوق !!!

تصلبت امام الصبى ولم ادرك بعد ما أسهمنى به للتو من كلمات اصاب بها مسامعى بمقتل قطع بنصل بارد خيوط الفهم التى امتدت من عقلى إلى اطرافى .. اطرافى التى تجمدت احداها على كتف الصغير .

- ابوك مين .. ومات فين بالظبط ؟؟

قولتها ولم افق بعد من صدمتى .. فقط شبكت اصابع يدى براحه الصبى وصعدنا إلى الطابق الثالث من العقار حيث عياده جارى .. طبيب العيون الذى أوكل مهمه ترميم وتوضيب عيادته إلى الاسطى (سعيد الحاوى) والذى فاضت روحه التى حبست طوال سنوات حياته بين جنابات جسده النحيل .. الجسد الذى بدد حيويته بسموم أدمنها .. ظن جاهلاً انها من يعينه على العمل وايضاً على الهرب من الواقع المظلم الذى يتخبطه .. سموم مهما اختلفت ألوانها ستصبغ بالنهايه بلون واحد فقط لم يختلف كثيرا عن نهايه الحاوى .. السوداء .

تأرجح بصري بين الصبى والجثه المُسجاه أمامى بأحد اركان العياده التى لم تكتمل اعمال الصيانه والتوضيب بأرجائها .. أدهشنى التصرف الذى أتى به

الصبى قبل ان يغادر الجثه فقد سحب المفرش البلاستيك المُستخدم لتغطيه ارضيه العياده لكى لا تصاب الالواح الخشبيه المسطحه بالارضيه بأى أذى اثناء عمليه الطلاء .. فغطى بالمفرش الجثه تماماً

ثم فر بعيد عن المكان .

- أنت اللى غطيته كدا ؟؟!

هز رأسه بالايجاب .. أزلت عن الجثه الغطاء وعاينت الجسد بدقه كنت قد اكتسبتها من خبره طبيب الطب الشرعى المُحنك دكتور صادق .. لم يكن هناك ايه جروح او خدوش لم اتلمس أى إماره تشى لي بنزاع او صراع شهده الحاوى قبل ان يلفظ روحه خارج جسده .. الا ان الشىء الغريب والملاحظ بوضوح هو تورم قسمات وجه وتشنج قابض أبرز عن رقبته اوداجه وعين جاحظه .. نعم .. كان اعور وزغب ابيض مائل إلى الاصفرار مُسال بجانب فمه حتى تحجر بفعل عامل الزمن وصار كالجير الجاف .

الامر الاخر الذى اهدانى اليه الصبى هى السرنجه التى اوغز بها الحاوى وريده ليتنعم بأخر جرعه من سم المخدرات التى اعتادها عقله وجسده حتى نفرت روحه منه وقررت ان تغادر الجسد الذى لم يكن حامله بأمين على الاطلاق .

أرسلت البلاغات إلى الجهات المسئوله هكذا تقول الاجراءات بينما أنا يكفينى شرف استدعاء القدر لي لتولى التحقيق بقضيه هى الاغرب من نوعها من البدايه وحتى النهايه .. تابعت عملى واستكملت حديثى مع الصبى .. لكن هذه المره غلبنى المحقق الذى بداخلى .. تبدلت نظراتى التى تفرست بها الصبى .. فهو العُمله الوحيده بالمكان وربما يحمل وجه الشاهد وربما بالوجه الاخر اجد صوره الجانى .. فالميته التى لاقاها الحاوى تحمل هى الاخرى وجهين قد يكون بالغ بجرعه المخدرات التى قضت عليه وقد تكون هناك جريمه قتل تفتقد فقط إلى قاتل قد يكون ماثل بالجوار يتخفى وراء قناع البراءه التى لايزال يتمتع بها .

منحت الصبى بعضاً من الأمان وحاولت اعاده الهدوء إلى نفسه المضطربه وهذا شيء طبيعى .. طلبت منه ان يُقص عليا ما حدث .. كل ما حدث وهذا ما ابلغنى اياه .

- كنت بسنفر الركنه دى .. نده عليا ابويا روحتله فمد ايده ...

سكت ولم اتفهم سبب صمته .. فرك عينيه فى ارتباك فبادرته .

- مد ايده فين .. تقصد ضربك يعنى ؟

- ياريت .. أنا اقصد مد ايده فى .....

أشار بأتجاه منطقه أسفل خصره .

- أه .. أه فهمت .. بس ليه ؟

- أصله ولأمواخذه كان خرمان وعايز يصطبح .

بالنظر إلى عمر الصبى الذى لم يتجاوز سبعه خريف والى حاله المهلهل وقذاره ما دفسته حياته البائسه بأعشاش عقله الصغير الذى أخذ ينضج مترمماً على جيف تربويه ومبادىء عفنه لوثت رأس بشرى كان من المفترض مشروع انسان فأضحى امامى شتله مُجرم او على اقل تقدير عضو فاسد سيزيد الطين بله .. تباً للعشوائيه وتباً لذاك الذى حُسب على المجتمع رجل وهو بالكاد يحمل صفه نوعه كذكر .. يحمل خزينه بيولوجيه من بذور الانجاب التى أبدرها رحم انثى بكل تأكيد لن تختلف عنه كثيراً فكلاهما بلاشك قد جمعتهما شهوه الغريزه .. هى بغريزه الامومه وهو بطاقته الجنسيه التى يُصارع من اجل تفريغها بأقرب انثى .. أى انثى .. ثم بعد ذلك لا يهمه الامر ولا يهتم ولا داعى لأكمال القصه .. فقد مللناها .. باتت مقرؤه من الجميع يكفينا ملايين الاطفال المشردين ممن يستظلون الكبارى ويتوسدون الارصفه هذا وبكل اختصار ما يدعوه بعشوائيه الانجاب .. طفل واحد يكفى يا ساده ان أردنا الاحسان لبلدنا .. الذى يأن .

المُدمن شخص جبان بطبعه وهذا ما تنبته بداخله المخدرات وهو بالضبط ما صنعته بحال سعيد الحاوى الذى كان يطرق بوابه العقد الخامس من

عمره .. حسابيا الرجل تخطى الاربعين وكان يجب ان تنمو بعقله الحكمه لكن كيف وهو عبد لهوي أسود يجرى بعروقه سعيد الذى شاب رأسه لديه من الابناء احد عشر انجبهم بمعاونه نسوه ثلاث والصبى هو اصغر الابناء لا يقدر الحاوى على فراقه اينما ذهب يكن الصبى بظله ليس حبا فيه على اعتبار انه اخر العنقود بالشجره الخبيثه التى امتدت فروعها الاحد عشر بأهمال بغيض .. ولكن الصغير بالنسبه للحاوى كان الجراب .. حيث دفع الجُبن بالاب ليستغل ولده الصبى اسوء استغلال فحفر بجسده كهف خبأ بداخله حبوب المزاج التى يتناولها ليغيب عن واقعه المرير .. صنع الحاوى من الملابس الداخليه للصبى جراب له.. يستر فيه عوره الادمان التى كشفها عنه الزمن بعد ان صار ذليل اصناف لا حصره لها من لفافات الدخان الازرق والاسود والابيض .. ثلاثه الوان ضمتها الرايه الملعونه التى ان طرقت باب حياتك مره .. ويكفى هذا وتخطيت عتبتها فأعلم ان السبيل الوحيد للخلاص من لعنتها هو ذلك الطريق الذى يحمل يافطه بأوله دون عليها كلمه العبور (الانسلاخ) فلابد وان تركب حياه جديده لتنجو مما اقحمت نفسك فيه بيدك .

امتلأ المكان بخطوات ذات وقع هادىء متأنى وأعين فاحصه مدققه الملاحظه لكل كبيره وصغيره .. رجال المعمل الجنائى صنعوا خليه بحث لم تترك ركن الا ووطأته أعينهم بالفحص اما هناك فكان المعاون النشيط يسحب شريط المعلومات من فم جارى طبيب العيون كما فرغ محل الجثه التى نُقلت إلى معمل دكتور صداق الذى اكتفى بأرسال نجيبته (ياسمين المهدى) الفتاه الوحيده التى استطاعت تحقيق معادله غايه فى الصعوبه وهى الجمع بين سحر الجمال واسرار العلم فهى لا تختلف كثيراً عن مُعلمها لكنها بالطبع أجمل منه بكثير .

انتهت ساعات البحث والفحص والتمحيص حل علينا الصباح ولم اشعر بمجيئه الا عند خروجى من العقار بصحبه الصبى الذى بدت عليه علامات

الارهاق بوضوح .. حملته بسيارتى فأجلسته إلى جوارى وعيناه ذابله يغلبها النعاس بطول الطريق إلى المكتب كان الصبى يقاوم غفواته بأستماته حتى حط بنا الرحال بأرض المكتب وهناك استسلم الصبى مُلبيا نداء اجفانه .. خمل على كرسيه ارخى اطرافه تماماً غاب عن الدنيا التى لم ُيكتب له بها حظ سعيد هكذا يقول واقعنا.. تركته يسبح بهناء العالم الذى سافر اليه وتمنيت له بكل صدق ان يقيم فيه إلى الابد ليته لا يعود .. فهناك بعالم اللاوعى لا احد يشكو لأن الخيال مسرح يؤدى بطل الروايه فيه الدور الذى يحلو له دون أى معارضه تذكر .

جلست على الكرسى المواجه لمكتبى فصرخ اسفل منها بدت كأمرأه تنتمى إلى حي راقى ينبثق أصلها من أسره حفرت مكانها ومكانتها بين عليه القوم لم تتعدى الثلاثين ربيعاً .. جسدها يبرز عنه عده غدد منتفخه قاربت حد الانفجار ربما هذا سلاحها الوحيد التى تقاتل به بميدان الدنيا اللعوب كشخصيتها الماكره والتى كشفت عن وجه اخفت ملامحه مساحيق التجميل حتى صنعت منها صوره طبق الاصل من الدُميه تشاكى .. الدُميه القاتله .

- قوليلى يا ناهد .. انتى متجوزه سعيد الحاوى من امتى ؟

- من عمر الولا كريم .. يجى سبع سنين او اكتر شويه .

فضح لسانها أصلها الغير مطابق تماماً لهيئتها المتخفيه وراء مساحيق التجميل الخائنه .

- وياترى كنتى بكر لما اتجوزتيه ولا ..... ؟

مطت شفتيها ولوت فمها .

- الكدب خيبه يا بيه .. بصراحه كنت مطلقه .

- تمام .. قوليلى انتى بتشتغلى ؟

- اه .. شغاله فى كوافير .. لامؤاخذه .. حفافه .

- طيب .. ايه اللى اجبرك على الجواز من سعيد اللى هو اصلا اكبر منك بحوالى عشرين سنه على الاقل .. طالما انتى شغاله وحره فى مالك وحياتك ونفسك ؟

- ربنا ما يُحكم عليك بُسم كلام الناس يا بيه .. وبصراحه الحاوى كان ضل .. ضل

راجل بتحامى فيه من كلاب السكك السعرانه .

هكذا جاءت ردود ناهد الزوجه الثالثه للزير الذى جف عنه الماء فصار قطعه ديكور تزين بها ناهد حياتها لا أكثر .. بكل برود تلقت خبر وفاه الظل الذى كانت تستظله .. لم تزرف دمعه واحده ولا حتى تنحنحت او تحشرج بحلقها الكلام بل كانت هادئه جامده تجيب فى ثبات صخرى لا ينم سوى عن شىء واحد فقط وهو ان سعيد الحاوى كان بالفعل مجرد ضل راجل لا أكثر .

بينما كان الصبى يلتهم الطعام الذى حط امامه لم يبالى لحديث امه معى لم يهتم بما يحدث من حوله هو فقط يريد ان ينعم بوجبته ثم بعد ذلك لا شىء سيعاود إلى المرار من جديد .

طرق الامين الباب وتقدم حاملا لمظروف ليس بغريب عنى فقد سئمته ومللت هيئته دفعه الي ثم غرب فى خفه وتناول معه مقبض الباب فأحكم غلقه بذيله .. ذبحت المظروف بنصل السكين المخصص لمعاقبه امثاله من المظاريف المغلقه اخرجت ما حواه فردت تقرير الطب الشرعى الذى اخرجه دكتور صادق بعد فحص جثه الحاوى عاينت جُمله وكلماته العلميه المنمقه بفصحى بليغه تليق بموجه عام يُشرف على تعليم اللغه بالمرحله الثانويه او ربما استاذ جامعى ترأس قسم البلاغه والادب بكبرى الجامعات .. جاء التقرير المعملى ليثبت الشبهه الجنائيه بالواقعه .. الحاوى مات مسموم .. هذه هى النتيجه التى توصل اليها دكتور صادق وبُسم مما حذر منه لقمان ولده .. بأختصار هناك جانى وضع سكين جريمته بيد ضحيته وتركها تكمل باقى اركان الجريمه دون ادنى عناء فهو قاتل ماكر ابدل بياض الهروين ببياض اخر يقتل فى الحال .

- هو سعيد أدمن الهروين من امتى كدا يا ناهد ؟

اشاحت بوجها إلى فراغ المكتب ثم ادارت الي وألقت بجواب غير قاطع .
- يجي من سنه تقريباً يا بيه .
- سعيد جوزك اتسمم يا ناهد .. مامتش من الهروين زى ما توقعنا .
لطمت صدرها المستدير البارز عن جلبابها البلدى فكاد ليتمزق .
- اتسمم .. اتسمم ازاى يا بيه .. ومين دا اللى سمه ؟!!
انتبهت للصغير الراقد امام طعامه لمحته متوقفا للحظات عن النهم الذى كان غارق فيه منذ قليل.. فبمجرد ان ابصرنى شعرت بكلام يريد ان يتخلص منه لكنه سرعان ما ادار عينه تجاه المرأه الماكره ثم اكمل واجبه تجاه طعامه.
مهما تصنعت ناهد الصدمه .. مهما حاولت تمثيل الدهشه .. مهما بذلت غايه جهدها لن تغير شيئا من نظرتى لها .. ستظل مركز دائره الشك التى هممت برسمها منذ ان جلست امامى اللعوب بهيئتها الخادعه .
- تقدرى تروحى يا ناهد .. واذا احتاجناكى هنبعتلك .
هزت رأسها المستدير المزروع بين هضبتى منكبيها ولم تتفوه بحرف سوى انها جرت الصبى من ساعده والحقته بذيل جلبابها .
- كريم .. تعالى عايزك .
ناديت الصبى فأتانى مسرعاً تسمرت ناهد امام عتبه المكتب مُعلقه بصرها على كلانا قربته من مجلسى وهمست بأذنه فى خفوت لم يُدرك الظل الاسود الماثل عن قرب ايه كلمه من الكلمات التى بادلتها الصبى دون وقع يذكر للصوت .

شاهدتها والفضول يلتهمها لكنى بنهايه الامر تحصلت على ما حُشر بحلق الصبى وعلمت ما اردت يكفينى ألان خطوه واحده وسأقرع جرس النهايه وسأفضح أمر الشيطان الذى لعب برأس قاتل الحاوى .
بالورقه البيضاء التى افترشتها امامى انصبت الشكوك التى تخامرنى حول شخصين لا ثالث لهما احدهما عاينته والاخر بالطريق .

زرعت خطواق جيئه وذهاباً بطرقه المكتب القضيه كادت لتنتهى او انتهت بالفعل حتى وصل مصطفى سرور المعاون النشيط وفى يده رقبه الثعبان الذى نفث دخان سُمه الابيض بعروق الحاوى فقطع عنه تيار الحياه .

طرق باب مكتبى بدقاته المميزه دلف وبظله (شحته) الديلر الذى كان يبتاع منه سعيد الحاوى كبسولات الهروين التى قضت عليه .

مثل أمامى مُضطرب يتلفع بالتوتر زائغ العينين يضم قبضه راحتيه المضمومتين إلى جانبه متخذا الهيئه الرسميه للعسكرين امام قادتهم .. الهيئه العامه له توشى بقدر عالى من القذاره التى يخبئها بداخله والتى طفحت فلوثت معالمه حيث اسود اسفل عينيه بدرجه مائله إلى الزرقه فبدا كملاكم انتهى من حلبته للتو بعد جولته المائه .. كما ان انفه المنتفخ وشى لي عن ساعات الشم التى اهدرها من عمره على مزاجه الخسيس .. شفتيه المائله إلى الزرقه الداكنه تفلطحت السفلى منهما حتى قاربت ان تلامس اسفل ذقنه .. هو بالنهايه مثال قبيح .. للمُدمن الوقح .

- ازيك يا شحته ؟

- حمدلله اباشا .. نفث رده من بين فلقات اسنانه التى اطبقها بين فكيه

- تعرف واحد اسمه سعيد الحاوى .. شغال نقاش ؟؟

- هاه .. اه اباشا .. اعرفه ابن حتتى .

- وايه كمان ؟

- هاه .. يعنى ايه سعاتك ؟

حدجته بشرار تطاير من حدقتى لسعه برأسه فنتبه إلى نفاذ صبرى ثم اسمعته بنبره رأى منها خلالها اصابع الاتهام التى ثبتت مشيره عليه .

- سعيد مات يا شحته .. مات مسموم والسم ده كان فى تذكره الهروين اللى اشتراها منك

لوح برأسه وهم بالتحدث فقاطعته قبل ان يلوث جو المكتب بنفاث كريه الرائحه ينبعث من فمه كلما تحدث .

- تعرف ان كريم ابن سعيد شهادته اصدق من كلام ميه زيك .. كمان ناهد باعتك يا شحته .

ثغر فمه عن اخره .

- هاه .. ناهد .

سكبها بفم تدلى منه اللعاب .

- اه .. ناهد .. بصراحه الست مقصرتش طبختها وعلى الشعره بنت الايه.. وانت اللى شيلتها فى الاخر .. للاسف يا شحته القضيه مقفوله .. عرفت تكسب على قفاك بنط .. لا قول مليون بنط .

غمغم فى سُباب لعن فيه ناهد وسعيد والدنيا بأسرها حتى شعر بضيق الخايه التى طوقت رقبته حتى كادت الانفاس تُحبس عنه فلفظ بحقيقه ما جمعه بحيه الحاوى .. ناهد .

اخذ يسترسل بكلمات مُترنحه اطلقها بلسان ينتمى لرأس غائب عن الوعى رأس مشوش تحملت قذاره كلماته التى يقذفها فمه لم ارد سوى الحقيقه فالقاتل لن يخرج من بين شحته وناهد .

ناهد التى ملت زوجها الكهل والتى لم ترى فيه يوما سوى عويل فحدثها شيطانها بأن ترتكن بظهرها المقبب بشكل مثير إلى حائط رجل اخر فأغراها وسواسها الملعون بطيف شحته الذى كان يُسكرها بكلامه الملحون وقد نجح فى شغل بالها .. بل وسيطر عليها تماماً حتى اوحى لها شيطانها بأن تتخلص اولا من ظل العجوز العويل الذى انهكته المخدرات حتى انبرى عوده وضاعت عنه رجولته فى سبيل التنعم بجمالها وحيويتها المزيفه بظل رجل اخر وجدته بشخص شحته الذى ملأ رأسها بحواديت كاذبه عن حياه الهناء التى ستجدها بين احضانه ان تخلصت من عويلها الخمسينى والذى لم يعد يساوى قرش ابيض او حتى اسود فأوحى لها شيطانها بفكره جهنميه قطفها من بستان اخرته الملتهبه بأن تستبدل كميه مخدر الهروين بكميه مماثله من سُم سريع المفعول وبما انها زوجه الحاوى فبالطبع .. تعلم اين

يقع جرابه .
انتظرت حتى خيم النعاس جنابات المسكن المهلهل بالحى العشوائى فسافر الطفل كريم برحلته إلى العالم الهادىء البعيد فعبثت بملابسه حتى اهتدت إلى خزانه الحاوى ووضعت تذكره انتقاله إلى العالم الاخر لتتخلص منه والى الابد .
فمات الحاوى وُسجنت ناهد وشرد الصبى الذى تم ايداعه بأحدى مؤسسات رعايه الاطفال القصر (الاحداث) وبالطبع سيهرب وسيصبح ابنا مخلصاً لذاك الاب الحانى الذى يسيع فراغ حضنه الجميع .. الصغير قبل الكبير .. الشارع المظلم .

****

مرت الأيام كعادتها لم تُبالى لشىء ولم تُعر احداً ايه اهتمام .. لزم قرين والدى عُزلته صاحب العزله أغاظنى كثيراً بصمته طوال ما مضى من ليالى لم يُؤنس عليا ظلمتها سوى نباح ابوالوفا الذى لازم هو ايضاً امتداد الشاطىء يغدو ويروح بطوله دون كلل او ملل ثم يهدأ ليتلقف انفاسه امام الكابينه الشاطئيه للحارس الامين .. ثم يأتينى ان قرصت عليه معدته فأمده بما فاض لديى من طعام يلتقط القليل منه ثم يعود مُهرولاً إلى حيث ينتظر عوده صاحبه .
غاب عنا ثالثنا مضى الاسبوع وألحقه باسبوع اخر ولم يعد عم سباعى كان قد خرج لأنقاذ ولده الصغير الذى أتى على سبعه من الاناث .. أتاه على كبر ورحل عنه مبكراً لم يتحمل جسده الصغير صدمته العنيفه بالارض التى قذف اليها ولع قلب ابيه فهام على وجهه ببلاد الله .. راح يُنقب عن صوره ولده وسط البشر والذى فارقه دون حتى استئذان .
لم يصدق عم سباعى واقعه فركب قطار التخبط قاصداً محطه لم يكن ليبلغها

يحسب ان ولده ينتظره هناك اين بالضبط لا يعلم لكنه قرر الذهاب اليه دون ان يعلم له عنوان سوى مدفنه القريب البعيد فأقام على قبره مُمنياً نفسه الولعه المشتاقه لملاقاه من ودع دنياه طلبا للكفاف الذى لم يحققه له ابيه .

لم يختلف حال ابوالوفا عن صاحبه الحاضر الغائب لم يرد الاصغاء سوى لنباحه الذى يطلقه ليل نهار مُنادياً بصراخه الذى يُؤلمنى على صاحبه الرجل الذى اضاعه فراق ولده .

تأتى الليالى منسوخه بكربون الظلام لتلطخ الارض بحبرها الداكن بالضبط كحالى اقضى النهار مُتأملاً منظر الشروق البديع ليحل عليا الغروب وانا لا ازال بمجلسى انثر فتات فكرى على صفحات الرزنامه التى لا تفارقنى ليحل عليا الليل ضايفته كثيرا حتى مللت صُحبته ارهقنى بأمطاره الغزيره التى دائما ما تفسد ما أصلحه بالحديقه التى كتب عليها ان تبقى على ما اعتادته من فوضى وقذاره .. لعنه اصابتها وربما لن تنجح فى التخلص منها .

اشتقت إلى رموز حياتى أمى ووالدى زوجتى واولادى كثيراً ما حدثتنى نفسى ان اهاتفهم لكنى تركت هاتفى بسجن منزلى كما ان قلعه الجنرال الصامت عن مخاطبتى لم يمتد بها أى خطوط هاتفيه هى بالاساس تعود إلى عصر ما قبل التكنولوجيه .. احدث اجهزتها الخلاط بالمطبخ والراديو بالمكتب خلاف ذلك لا شىء سوى الجدران والاثاث والبلاط .. البلاط الذى من شده ما اعترانى من ملل عددته بلاطه بلاطه لمرات تفوق العشرات .

ابوالوفا لا يأتينى الا اذا نقحت عليه معدته والجنرال لم يخاطبنى منذ ايام ألمح طيفه يحُوم حولى.. أُناجيه احاول لفت انتباهه إلى وجودى بقلعته هرولت بكل السبل لكنى لم اصل اليه .

من بُرجى العالى .. شرفه غرفتى الواقعه بالطابق الثانى من القلعه الساحليه لصاحب العزله اطالع صياح ابوالوفا الذى لا ينقطع يطلق صراخه تاره إلى

الامواج ربما يسألها عن السفينه التى ركبها صاحبه ليعلم مرساها فيبحر اليه وتاره إلى الرمال.. إلى الافق يعوى إلى السماء يتوسل اليها كاد يجن الصديق الوفى لغياب من وعده حق صداقته وقد خان صاحبه الوعد تركه وحيداً ورحل عنه .

اضحت ايامى متشابهه ُمله لم تختلف كثيراً عما كنت اعانيه بسجن منزلى جئت ساعيا وكلى أمل فى ان اجد ضالتى عند الجنرال المُعلم لكنى وجدت حاله اصعب منى بمراحل الديب لا ُيغادر غرفته نهار مطلقاً يتجول بالشاطىء ليلاً ُمستظلاً بسواد ظلامه يكشفه لي سنا البرق أرى خياله يغوص بين السيل المنهمر من السماء يرمقنى بنظراته من بعيد .. صارت احاديثه معى قليله للغايه ربما جفت تماماً حتى تشققت تربه الارض التى تجمعنا تحت سقف واحد .

الحياه عند صاحب العزله لم تكن كما توقعت على الاطلاق فسيدها الذى حسبته امين بيت الحكمه التى ضللتها بالفتره الاخيره لم يكن كذلك .. الملك بمملكه الديب هو الصمت وحاشيته من هدوء وسكون وملل لا ينتهى .. أنا بالفعل قد مللت حياه صاحب العزله وبشده . بأوقات عده علت فيها صيحات الرتابه الصارخه كدت اتراجع عن القرار .. قرار الامتثال لنصيحه الدكتور محسن لم يحدث ولو عُشر ما توقعته ان يجد على حالى .. لم اتحسن امارس حياتى بشكل رائع طالما ان بفمى مراره اقراص الدواء ان راح مفعولها ضعت معها صيرت تائه بعالم غريب يحوطه الضلالات .. خيالات ُمرعبه .

أرانى وسط خضمها اعتصر دماء حيه حالكه السواد ُتصرصر مطلقه بفحيحها بين قبضتى .. تلف بطولها وسطى حلزونياً كلانا يعتصر الاخر إلى ان غمرنا طوفان تهاوينا ببطىء حتى رقدنا بقاع يعمه الظلام .. ظلمه تتلمس فيها فقط نقمه العمى امد يدى هنا اطيح بجسدى إلى هناك .. اين الخروج .. اين المفر .. انازع الظلام ُكتمت عنى مسامعى ُسدت عيناى ُحبست انفاسى فقدت نعمه اللمس ذبت بنوه كادت تمزقنى بفعل قوه الطرد المركزيه

الرهيبه وانا بوسطها ثم تعالت الصيحات جاءتنى اصوات من بعيد .. حس مكتوم هو ليس لبشر ربما لحيوان .. كائنات لها هاله هلاميه ملامحها ضبابيه حتى اصواتها تنفثها من حولى دون ان ادركها .. بالقاع المظلم تحسست الضباب الخانق صفعنى الموت بصفعات كادت تخلع قناع وجهى.. روحى تزهق عنى انازع بلافائده احارب بلا أمل فى النصر .. ما أسهل الاستسلام لتهرب مما لحق بك من أذى .. ثم

هدأ الظلام العنيف ..راقت ليا الرؤيه لاحت امامى رموز الحياه أمى ووالدى زوجتى وأولادى احاطونى بسياج من نور اصعدونى فى سلام اعادوا لى نسائم الحياه كاد العمر لينجلى لولا ان أتى الاحباب .. لكم اشتقت إلى عناق ولدى وحنان زوجتى .. دعوات امى وعطف أبى حتى حملونى إلى السطح وما اجمل ما ابصرت .. شمس تداعب بأشعتها زرقه سماء صافيه رقراقه ما ابهاها هى صفحه الحياه التى قذفت اليها من جديد .

خرجت من غفوتى تلك بينما كنت بمجلسى المتأرجح امام المدفأه التى خفت عنها لهيبها وصار حطبها رماد ازرق يتدثر بطفله ثلجيه الهيئه تخبأ اسفلها جمرات حمرتها قاسيه .. تناهى الي دقات مضطربه شقت عنى الظلام من حولى فقد قطع التيار عن القلعه التى صارت كالكهف تسمع فيه تردد الصوت ولا يأتيك من جناباته أى انعكاس لصورتك او صوره لما حولك .. تعالى وقع الطرق تحسست سبيلى إلى الشمعدان المتوج لسطح المدفأه دفست يدى بجيبى واخرجت قداحتى اشعلت فتيل شمعه ثم اخرى واخيره حتى اضاؤا ما حولى تبينت خطواتى نحو الباب ظلى يحادثنى بأن بالامر شيئا سيحط على رأسى ادرت المقبض وفتحت الباب لفحتنى عاصفه بارده جمدت قناع وجهى ربما صفعتنى الرياح بقطرات السماء التى ساقت القليل من رزازها فأفاقتنى حتى تنبهت إلى ما ابصرت عيناى ابعدت الشمعدان قليلا حتى استقرت ألسنه الضوء المتراقصه من شمعاته وُدهشت حين طالعتها .

امرأه تقف امام عتبه قلعه الجنرال بهذا الوقت المتأخر !! .. فى ظل الغضب

العارم المتساقط من السماء .. عاينتها حتى اخمص قدميها ساحت على رأسها خصلاتها اللامعه من شده سوادها والتى ُاسدلت فأخفت شققات من وجهها فاقع البياض هى أيه من الجمال ربما لم تعرف أخر صيحات المساحيق المرممه لأوجه النساء الغابره .. حتما أتيه من عالم لم يكتشف سوى اعواد الكُحل التى رسمت بأحدهم اجفان عيناها حتى وان مخض المطر عنها ليلها المنسدل بين رموشها فهى لا تزال تنعم بضىء أتى من ُقمره حدقتيها وأنفها المنمق أرشدنى إلى شفتين ورديتين زمت احدهما وعقدت ذراعيها امام صدرها منتفضه من برد اخذ يجلد بسوطه ظهر من ابدع الخالق بُحسنها .. هزت بنبراتها المرتجفه كيانى كله حتى فقدت البساط من تحت قدماى وتزلزلت بي الارض فترنحت افكار ما برأسى حتى كدت اسقط فاقد الوعى .

- مساء الخير .. اسفه على الازعاج

اتسعت عيناى ونصتت أذناى وانتبه عقلى وقد كنت أحدثه فى شىء من التخبط أهي بشر ام ملاك ام هى احدى ضلالاتى التى تراودنى ولا نهايه لها؟!! .. توسلت فى رقه طالبه

- ممكن شمعه ؟؟

****

غرفه ١٠٧

" سُئل حكيم زماننا .. ذات مره لما اعتزلت المرأه ؟
فأجاب : لأنى احببتها اكثر مما ينبغى !! "

تجملت سماء العاصمه بليلها الساحر فتلألأت الاضواء المنعكسه بصفحه نيلها المُطل عليه أحد اشهر الفنادق الراقيه صاحبه الصيت الواسع الذى يلف العالم بفروعه التى لا تُعد حيث الخدمه المميزه التى يقدمها فقط لأثرياء بنى البشر .. الاثرياء وحسب ممن يجوبون العالم اما بحثا عن متعه او تلبيه لدعوه عمل .. الا ان هذه المره استطاعت الضحيه الجمع بين وجهي العمله الذهبيه حيث متعه العمل .. او عمل المتعه وهذا اقرب .

ما ان دبت قدماى باحه ريسيبشن الفندق الفخمه لدرجه يشت لها عقل ابناء الطبقه المتوسطه ان عاينوها وانا واحداً منهم بالطبع .. لكن لم يشغلنى محيط العمل يوما على الاطلاق بالنهايه أنا امام ضحيه وطبيعه عملى لا تختلف كثيرا عن ذلك المخلوق الدقيق .. الدوده الزرقاء .. التى ستلتهم اجسادنا حتى نصير رماد قابل للنثار مع اضعف موجه ريح يتعرض لها وانا كذلك لا التهم الجثث .. بل انبش مقابر الحقيقه حتى ارى ما تخبئه بظلمتها .

لم تألف نفسى يوما استخدام المصاعد الا ان المسرح الذى أعده القاتل بناه على ارتفاع شاهق كما اننى بحاجه إلى ما تبقى لدى من عزم وفى الحقيقه احاطنى الموقف بسور شائك من الاحراج حتم علي اجتيازه والا ستفقد صورتى من هيبتها الكثير .

خطونا جماعتنا أنا ومسئول الفندق وعدد من الموظفين البُساط الاحمر القطيفى الذى انتهى بنا إلى غرفه ُمنعزله عن باقى غرف الكوريدور .. غرفه حملت رقم (١٠٧) احيطت من الخارج بشريط اصفر حمل تحذير صارم لمن اراد الاقتراب تخطيته وحدى متفحصاً المحيط الخارجى للغرفه لمحت بطرف عينى كاميرا مراقبه مثبته بأحد الاركان واخرى كانت بأول الممر .. الطابق كله ُملبد بشبكه من العدسات الراصده لأى حركه .. حتما ستقربنا تلك الاعين الالكترونيه من الجانى .. ربما سنصل اليه قبل انتهاء رجال المعمل الجنائى من رفع البصمات وتحليل العينات الملوثه لمسرح الاحداث ستوفر علينا عناء الروتين والملل المصاحب لكل حلقه بحث ندور بمتاهتها .

تخطيت عتبه الغرفه فخطوت إلى الداخل حيث الحركه الرصينه المنظمه لرجال البحث طاقه التركيز الغير عاديه لمندوبى المعمل الجنائى الفاحصين لكل شبر من مساحه الغرفه .. كان المعاون النشيط قد سبقنى فقد اسعفه نشاطه المعتاد من اتمام القدر الاكبر من عمله وجدته ُمتسمر امام الجثه التى تحوم حولها دكتوره ياسمين المهدى .. مساعده دكتور صادق التى استأسرت بثقته خلال فتره وجيزه هى بالواقع تستحق كل التقدير حيث لا تختلف كثيرا عن مُعلمها .. فلم ينتبه مصطفى سرور إلى وصولى .. لمحتنى دكتور ياسمين بنظره جانبيه لكنها لم تهتم كثيرا بمقدمى .. هى فقط ُتعاين وُتدون ملاحظاتها الاوليه .. وقفت بالخلف على مقربه ممن حولى متفرساً الوضعيه الغريبه التى كانت عليها الضحيه .

كانت امرأه لم تتخطى عقدها الثالث بل بدت اقل من سنها بقليل يسترها قميص نوم يكشف عن جسدها اكثر بكثير مما يُغطى كانت ُمقيده بكرسى ينتمى إلى اثاث الغرفه ُمنفرجه الساقين لدرجه تمكنك من رؤيه ملابسها الداخليه من وضعيتها تلك .. حسبتها فى بادىء الامر رياضيه او ربما مهتمه بممارسه رياضه الاحمال التى صنعت من جسدها مثال لما يجب ان يكون عليه الانسان .. ذكر كان او انثى .. برز عنها نهدين كبيرين وهذا لم يكن

المُلفت بالامر لكن ما أثارنى هو قوه الانتصاب التى يتمتع بها نهديها ربما كانت رافعه اثقال او بطله من بطلات رياضه كمال الاجسام .. عضلات ساقيها وذراعيها وبطنها المصقوله تشي بهذا .. فجسدها مشدود ولا يحمل خيط لتجعيده واحده .. حتى بين ثنايا وتجاويف الجسد .. شعرها طويل مصبوغ بصبغه ذهبيه شديده اللمعان ينسدل على ظهر الكرسى الذى قيدت من رقبتها بظهره وُسحبت رأسها إلى الخلف بعنف فجحظت عيناها المثبته بأتجاه السقف حيث كشف فمها المشقوق بآله معدنيه ُصممت لهذا الغرض حيث انفرج فمها عن اخره وبرز منه شيء منتصب بشده كان ذنب داكن قليلا لمع مع انعاكس ضوء لمبات النجفه المتدلاه من السقف مباشره بأتجاها .

اقتربت من المعاون النشيط وحادثته هامساً .

- اجنبيه .. مش كدا ؟

- على ابوها .

قذفنى برده هذا دون ان ُيحرك شعره من رأسه ظل متجمداً بوضعيته المثبته على الجثه مباشره .. مرت الثوانى ولم يكلف نفسه عناء الالتفات لمُحدثه فربت على كتفه من الخلف فأنزوت ملامحه فى ضيق .. كأنى قد شاركته برغيف عيشه بغير مسامحه منه وما ان وقعت عيناه بي حتى ابصرنى فتغيرت اساريره تماماً فنقشت عيناه بالرسميه التى اعتادتها منه منحنى التمام وحدثنى بصوت جاءتنى نبراته الاولى مهتزه قليلا حتى اعتدل نغمها وصارت اكثر نظماً .

- عمر بيه .. تمام سعاتك .. القتيله اجنبيه .. اسمها نيكول من أصول عربيه لكن معاها

الجنسيه الامريكيه

- امريكيه !! .. واضح ان كل اللى بيتجنسوا بالجنسيه الامريكيه اخرتهم بتبقى مش ولا

بد .. المهم خلص انت تقريرك وحاول تنجزه بسرعه عشان الدنيا مقلوبه عليها .

ابتسم بأستخفاف وقال ساخراً .

- تقرير ايه يا عمر بيه .. دى مش محتاجه بحث جنائى .. كل اللى مطلوب من سعاتك

تكتب اسمها على جوجل سيرش والسي في بتاعها هيكون قصادك صوت وصوره .

- تقصد ايه ؟؟!

- ايه يا عمر بيه . هو سعاتك مش متابع ولا ايه .. دى نيكول .

- ايوه يعنى تطلع مين بسلامتها .. وزيره الهجره !!

- بقول لسعاتك .. نيكول .. نيكول يا عمر بيه .

أدركت بعد ذلك ان نيكول هذه تُعد واحد من أشهر ممثلات البورنو بالعالم امرأه بالفعل تمتلك جسد مصقول بحرفيه غير عاديه حتى بعد انْ قطع عنها تيار الحياه فلايزال جسدها ينبض بطاقه مثيره تهز غريزه الشهوه بنفوس اعتى ذكور الارض بجميع مخلوقاتها ليس فقط من بنى البشر بل وان عاينها ذكر الماموس المنقرض او جائها ديناصور هارب من العصر الجوراسى حتما سيلهث امامها إلى ان يتساقط لعابه من جانب فمه وهذا هو حال المعاون النشيط والذى لا يختلف كثيرا عن حال باقى الذكور الذين يحوموا كخليه نحل حول الجثه المثيره .

انتبهت دكتوره ياسمين المهدى للحاله الرثه التى أضحى عليها المعاون النشيط وباقى من بالغرفه من الجنس الاخر ففردت ملاءه بيضاء حجبت بها حُرمه الجسد عن العيون اللاهثه امامه والمشحونه برغبه شهوانيه حاده .. فأقترب المعاون النشيط من أذنى وهمس فى أسف ينم عن حسره .

- عارف يا عمر بيه .. ايه اكتر حاجه منغصه علينا عيشتنا كرجاله ؟

لم ينتظر منى جواب فأكمل وكأنى رددته بأستفهام توقعه .

- غيره الستات .
قالها بنبره مرتفعه قليلا صاحبتها نظره اشاحها ناحيه دكتوره ياسمين التى رمقته بطرف عينها بكل استهجان فأردف مصطفى .
- الغيره اسود حاجه فى الدنيا .. اه والله يا عمر بيه .
سحبت دكتوره ياسمين حقيبتها التى احكمت غلقها بعد ان دفست ببطنها ادواتها المُعقده وعدلت وضعيه نظارتها الطبيه وخاصتنى وحدى دون باقى الحضور وخاصه معاونى المستهجن منها تماماً لتستأذن بالمغادره .. رحلت عن المكان فتهللت اسارير المعاون النشيط لكنه وجدنى خير من يفسد عليه ما أخذ يحيكه برأسه المشوش بفعل ما احدثته بنفسه المرأه التى أثارت بجسدها غرائز اهل الارض وربما وصلت لمرحله متقدمه من اتقان العمل فحتى بعد ان توقف عنها النبض فهى لاتزال متقنه لعملها وبدرجه لا يستطيع احدا ان ينافسها فيها مهما أتى من جهد .
نيكول ذائعه الصيت بعالم الاثاره الوقح والمحطمه للرقم القياسى فى نسب المشاهده لأفلامها التى تملأ الشبكه العنكبوتيه بمختلف مواقعها التى تخاطب فقط الجانب المظلم بحياه المترددين عليها .. المرأه التى شغلت بصورها اضخم المواقع المشفره وغير المشفره حتى صارت أشهر من النار على العلم كما اخبرنى المعاون النشيط المثار بشده منذ ان عاينها على الطبيعه حتى وان كانت جثه فقد نال شرف التنعم بالنظر إلى الجسد الذى أرهق ابدان لا تحصى اهدرت من اجله طاقات جسيمه ان احُسن توظيفها لكان هناك كوكب أخر ننعم فيه بحياه افضل من هذا الكوكب المثير للغرابه وللدهشه وللشفقه فى بعض الاحيان .
راجعت تسجيلات كاميرات المراقبه التى كشفت عن هويه أخر من تردد عليها اوبالاحرى قاتلها .. كان قواد يُدعى (جو) تردد عليها مرات منذ ان نزلت بالفندق من ايام كسرت حاجز الاسبوع الاول لها من اقامتها بالفندق حيث اخبرنى المسئول انه لاحظ عده جلسات عُقدت بين جو القواد ونيكول

العاهره .. غُلفت معظمها بالعجله بأمر كليهما كانت هناك محادثات خاطفه جمعتهما وهذا ربما كان المثير بالامر .

خرجت من الغرفه المركزيه لأمن الفندق بعدما راجعت كافه التسجيلات التى كانت نيكول بطلتها وشاركها بلا شك فى بُطولتها جو القواد الغامض المتعجل من أمره دائما كما تبين لي .. جلست بالريسيبشن لفتره لم تطل نقشت خلالها خطه البحث .. اعلم ألان من اين علي؟ البدء لكنى بأنتظار من سيكمل لي باقى اجزاء الصوره التى اتضحت معالمها بعض الشيء .

جاءنى المعاون النشيط وقد سهمت عيناه وتقنع بالصمت الرهيب حط إلى جوارى وكأن جبل قد سقط بجانبى تفرسته دون ان انبذ بحرف فألتفت الي رافعاً جفناه فى ثُقل لم اعتاده من شخصه المهيبر طول الوقت .. اطال التحديق حتى مللت نظراته وكسرت حلقه الصمت التى احاطتنا .

- مالك .. وصلت لحاجه جديده ؟

ظلت الكلمات حبيسه بفمه حتى رفع يمناه وأشهر عن سي دي (قُرص مُدمج) وجده بين اغراض نيكول فلاحظ انعكاس استفهامى حول الشيء المبهم الذى عرضه علي للتو .. لم يطل عذابى هذه المره فتناول لاب توب وأولج القرص بدرجه وأنار الشاشه بواحده من المشاهد المثيره لسيده الاثاره الاولى .. هكذا لقبت بأخر حفل اقامته الشبكه الداعره ذات النشاط الدولى التى تعمل لصالحها نيكول .

لم اعتد مشاهده افلام المضاجعه المثيره للغثيان لكن واجبى وألحاح معاونى النشيط حتما علي الانتباه بكل ثانيه تمضى وصراخات نيكول تتعالى ممزوجه بضحكات هيستريه وقد انكب عليها مخلوق هلامي يشبه إلى حد ما فى خلقته بنى البشر لكن شعره الكثيف الذى يُغطى جسده حتى اخمص قدميه وترهلاته التى تهتز اكثر من نهدي نيكول المنتصبين دائما كأن دبوس قد شك مؤخرتها فأنتصب عودها فى حركه لا ارادیه وبرز عنها صدرها المنتفخ .. لم يكن القصير المترهل بغريب هو بالطبع غير محترف.. بالواقع ابعد تماماً عن

أى معنى يساوى كلمه الاحتراف بل هو اقرب ما يكون للعشوائيه يكفى لهاثه الذى اخذ يطلقه حتى غطى تماماً على صيحات نيكول التى اختفت بل وذابت بين اهاته التى انبعثت منه حين قارب حد القذف لشهوته التى تبولها بفم الانثى التى انتفخ عنها جسدها حتى تضخمت غددها السُفلى والعُليا وبلغت حد الانفجار .. ان اقترب منها شائك .

لم يكن بطل المشهد واحد من محترفى تمثيل تلك المشاهد الساخنه كما انه يعد معروف بل وله شهره ذائعه بمجتمعنا هو رجل اعمال يحتكر تجاره السيارات يُدعى (سراج البوطى) الرجل إلى ذاعت شهرته بأرجاء الجمهوريه وعرف بوطنيته ومشاركته لكل عمل خير .. اه لو علم الشعب حقيقه من يتفننون بخداعه ..أمثال البوطى الذكر القصير المترهل .

تبادلنا الادوار .. جو خلفان صار من نصيب المعاون النشيط عليه ان يكثف جهده ويضيق حلقه البحث قدرما استطاع لأحكام الخناق على رقبته حتى يقع بين قبضتيه .. بينما بات البوطى القصير المترهل من نصيبى ولا اعلم ان كان هذا لحُسن ام لسوء حظى .. لكنى بالنهايه رضيت بالقسمه .

دوست بعجلات سيارتى باحه المعرض الشاسعه التى رصت بأرضها عشرات السيارات ذات الماركات العالميه الفاخره .. البوطى رغم عشوائيته التى تتلبسه من ساسه لراسه هو بالنهايه حوت من الحيتان اللاهثه وراء أي مكسب رخيص وسريع يأتى من الهواء لينفقه ايضا على مُتع ينثرها كذلك بالهواء .

ما ان ترجلت من سيارتى حتى حل علي أحد مناديب المعرض .. المعرض الذى بدا كقلعهُ صُنعت اسوارها من الزجاج الاسود العاكس الذى يخفى ما بداخله ويشف عمن يتحرك بالخارج .. امطرنى المندوب بموجه من الترحيب المبالغ فيه كعاده اولئك الثرثارين بائعى الكلام الفارغ لأصحاب العقول الهاويه.. وفرت عليه عناء العرض وازحته من امامى وتوجهت مباشره إلى المكتب العالى الذى يتحصن به البدين الشهوانى وكما توقعت منعتنى السكرتيره التى

لم تختلف كثيرا عن انثى الاثاره التى نهج البوطى على صدرها حتى ذاب بين امواج عرقه .. ألجمتها حين قدمت اليها بطاقه تحقيق عملى كضابط مباحث ..أرادت ان ترسل خبر وجودى ورغبتى لمقابله اللاهث وراء متعه الجسد وشهوه المكسب حتى وان أتى من الحرام .. بادرت بخطواتى التى سبقتها فأدرت مقبض باب مكتبه ودفعت نفسى إلى الداخل دون استئذان فأنتفض الجالس خلف المكتب ونهض متوثباً من على كرسيه فكشف عن مدى قصر قامته التى بالكاد جعلتنى اطالعه من وراء سطح المكتب .. هلل فى تضايق وعنف سكرتيرته البورنوجرافيه بهيئتها المثيره حدثها فى حنق ثم هدأ ما ان اقتربت منه حتى كادت لتصدمه بما تدلى من اعلاها .. جحظ امام صدرها لثوانى ثم ارتد اليه الانتباه مع نحنحه بسيطه دفعتها فى الوقت المناسب .. والا لأصبحت مخرج احد افلامه الساخنه التى يلعب دور البطوله فيها ذلك القصير البدين المشعر الذى غطى شنبه الكث الكثيف المنسدل على فمه المنتفخ الذى يأكل به الكلام حين يتحدث .. هدأ القصير البدين وصار يرمقنى فى توجس حينما علم بطبيعه عملى لم يعلم بعد بواقع زيارتى المفاجئه له لكنى لم أرد الاطاله عليه رفقاً بحالته وسئماً من لهاثه الذى لا ينقطع عنه ابدا حتى وان لم يُحرك ساكناً .. تباً للبدانه القاتله وتباً لعثره حظى الذى دفع بكومه الشحم المشعره المتخفيه خلف المكتب فى طريقى .

- أومر يا باشا .

قالها بنبره خشنه غليظه .

- تعرف صاحبه الصوره دى ؟؟

عرضت عليه صوره لنيكول فأطاح برأسه نافياً معرفته بها .. فرمقته بأيماءه فهمها جيدا فأمد البصر ودقق النظر حتى ثغر فمه وتدلى منه لسانه كادت قطرات لعابه ان تسقط لولا ان انتبه لحاله فمسح جانب فمه بظهر يمناه ثم رفع رأسه المستدير مؤكدا نفيه بمعرفتها .

- لا يا باشا عمرى ما شوفتها .

حضرتنى ابتسامه ملأتها الدهشه من أمر ذلك الأبله اللاهث وراء انفاسه فزغرته بعين موقده تطاير رمادها وربما لسعته احدى الشرارات بأم انفه فدفعه كذبه البين إلى حك منخاره اثناء لهاثه .

- متأكد يا سراج بيه ؟

ازدرد لعابه بصعوبه وتكاثف العرق على جبهته الضئيله واندفع بلسان اهتز ما أسفله من قنديل الشحم المتدلى من رقبته حين اهتزت رأسه .

- أه متأكد يا باشا .

- طيب انسى الصوره جايز تكون مش واضحه .. اتفضل شوف اللى على السي دى ده وبعدين نكمل كلامنا .

أشاح بذراعيه وصاح هائجا .

- الله .. سي كي ايه بس يا باشا .. هو فى ايه بس سعاتك ؟

- هتعرف لما تشوف بعينك اللى عليه .. اتفضل .. أنا مش جاى اتسامر معاك ولا تحب نكمل كلامنا عندى فى المكتب .. أنا من رأيى .....

- لا .. لا وعلى ايه يا باشا المشوره والتعب ده كله .. أنا تحت امرك .. ناولنى السى كى من فضلك .

دفعت بأتجاهه السى دي فتناوله وراح يتفحصه ويقلب فيه .. دق بسيف السى دي على المكتب إلى ان فتح اللاب توب القابع إلى جواره على طاوله اقرب إلى طاوله الشاي قصيره مثله حشر السي دي بقلب الجهاز ثم سقط على لوحه المفاتيح بيد مدكوك يبرز منها اصابع قصيره مستديره بعض الشيء دق الازرار فى بطيء ممل حتى نجح اخيراً فى اداره الجهاز وما ان وقعت عيناه على الفيديو المُسجل له بصحبه نيكول بفراش المضاجعه التى أجدته كثيراً وربما كانت احدى اسباب قصره .. نبش بأنامل مرتعشه كومه الشعر الكثيف المتداخل البارز من بين سلاسل الذهب اللامعه التى احاطت برقبته حتى اخفتها تماماً .. هذا القصير البدين يلف حول عنقه حلقات من الذهب الخالص كميه تصلح لأتمام مائه زيجه على الاقل .. هذا البدين ان تبرع

بنصف ما تزين به من اساور وُحلى لأعتقنا من اعلانات التكفف والشحاته التى تفسد علينا متعه المُشاهده خاصه بأوقات العروض الحصريه .

فرك براحتيه وجهه وتحدث مغمغماً .

- بنت الحراااااااام .. يا باشا دى .....

- دى ايه .. اظن افتكرتها دلوقتى ؟

قاطعته فحُبست عنه الكلمات .. صمت ونيران الحرج تلتهمه واكتفى بهز رأسه بالايجاب

فتزلزل اللغد المتدلى منه حتى تقاطرت بعض حبات عرقه المتكاثفه بصفحه جبينه .

- جميل .. قولى بقى اتعرفت عليها ازاى وايه علاقتك بيها بالظبط ؟

طحن نواجزه بين فكيه ثم اطلق سراح لسانه وتحدث فى استسلام .

- شوف يا باشا .. أنا وايمانات المسلمين ما جمعتنى بيها غير ليله .. ليله واحده يتيمه وكانت اسود ليله مرت عليا .. اه وربنا المعبود سعاتك .

- بس الفيديو اللى يشوفه يقول غير كدا ؟

- ابوس ايدك يا باشا استر عليا .. أنا اسهمى فى السوق سُمعه لو أتعورت اروح أنا فى ابو نكله .. اشحت سعاتك .

- ايوه بس دى جريمه قتل يا بوطى ؟

صك صدره المتدلى منه كأنثى كلب صارت ام وراحت الاثداء تتراقص منها يمينا ويسارا كلما خطت باحثه عن مأمن تأوى فيه صغارها .

- قتل .. قتل ايه يا باشا !!

- نيكول .. اللى كنت هايص معاها يا بوطى لقيناها مقتوله فى الفندق اللى كانت نازله فيه .. واعتقد ان بعد السى دي واللى عليه .. كل حاجه وضحت .. انت مش لسا قايل برضو ان اسهمك فى السوق سُمعه .

- ايوه بس سعاتك متوصلش للقتل .. ثم أنا وايمانات المسلمين ...

- من فضلك ملكش دعوه لا بمسلمين ولا مسيحين .. اتكلم من غير حلفان

ارجوك .
هز رأسه المستدير ككلب بول دوج فى خضوع تام .
- تؤمرنى يا باشا .. أنا اقصد اقول لسعاتك ان معنديش خبر بالسي كي ولا اعرف انها كانت بتسجلى بنت الحرام الجاحده ام صدر خشب وهانش كاوتش .. يا باشا دى شكتنى ولامؤاخذه فى نص مليون جنيه سرقتهم منى وأكلتنى البلوظه سعاتك ومع ذلك سيبتها ..صحيح أنا مكدبش عليك يا باشا قلبت الدنيا على الكلب اللى اسمه رفيق بس .. موصلتلهوش فقولت يعوض عليا ربنا .
- رفيق .. رفيق مين ده ؟؟
- ده الدلدول سعاتك .
- افندم !!
- اللى مشغلها يا باشا .. اسمه رفيق وصفى .
- تقدر توصفهولى ؟
- اه طبعا يا باشا .. بس أنا معايا صوره ليه .
وغز قلب الدرج الاوسط للمكتب بمفتاح أداره بخفه حيث نبش بيد طائشه ما اعتراه من اوراق حتى اهتدت يده إلى الصوره المرجوه .
- هى فين .. هى فين .. كانت هنا .. كنت حاطتها بأيدى والنعمه الش.... اهي.. اتفضل يا باشا .. هى دى صوره الكلب دلدول الست .. ربنا يولع فيها وفيه بنار جهنم الحمرا اشوفهم ولعين وبيصرخوا قدامى كدا .
اطرقت قليلا متفحصاً ملامح القواد صاحب الصوره التى بدا فيها جالسناً بين فخذى نيكول المنفرجه عن اخرها وكأنها ولدته حيث تعالت ضحكاته متوسطاً بجسده انفراجه ساقيها .. التفت إلى البوطى فوجدته يعض اظافره كاد ليلتهم اصابعه خلفها ثم نهضت من مجلسى وفى يدى الصوره أدرت حول المكتب ونزعت السى دي من اللاب توب موفرا عليه عناء تمريره لي وخطوت بأتجاه الباب وانا أحُدثه بأهتمام لاُيذكر .

- اذا احتاجتك هبعتلك .
قفز من مجلسه مهرولا بأتجاهى وقبض على يمناي منحنيا متوسلا فى ذل لم اتوقعه مطلقا .
- ابوس ايدك يا باشا استر عليا ربنا يستر عليك ويكرمك .. أنا .....
- أطمن اذا اتأكدنا ان ملكش يد فى قتل نيكول محدش هيعرف حاجه عن السى دي.. بس ياريت تنضف بقى وتتقى ربنا وقبل ما تدعيه عشان يحرق رفيق ونيكول وينتقملك منهم بص لنفسك وشوف كام واحد بيدعى عليك .. وياريت متجريش تانى ورا الحرام أديك شوفت بنت واحده من بناته عملت فيك ايه ؟ ويا عالم هى مخبيالك ايه تانى .
أصابته كلماتى بمقتل بدا لي وكأنه قد سُحر وغاب عن وعيه تركته مُتجمد على وضعه راكعاً على الارض مُحدقاً بطيفى حتى غبت عنه تماماً .. دخلت عليه سكرتيرته صاحبه النتوءات الوعره فصاح بها ولعنها حتى ملأ تردد صوته ارجاء المعرض الزجاجى فتبسمت مشفقاً على حال القصير الأبله اللاهث وراء مُتع كادت ان تخسف به وبداره ومعارضه التى لا تُعد ..سابع ارض .
بطريق العوده إلى مكتبى دق هاتفى الرابض بصحن جيبى ولا يفارقنى مهما حدث حتى عند النوم أشبكه إلى جوارى ليعيد شحن همته فيعاود نشاطه من جديد .. طالعت المتصل ويقين قد هاتفنى مسبقاً بأنه المعاون النشيط .. جاءتنى نبرته قويه واثقه ولاعجب فقد أحكم قبضته بالفعل على قاتل سيده الاغراء التى أماتها فحيح الحيه التى استقرت بجوفها .
لم يطل احتلال المعاون النشيط بمكتبى فقد باغته بأعتلائى العرش مجددا حتى أتانا جو خلفان متزينا بأغلال القيد التى كانت قاسيه على معصميه الناعمين إلى درجه تجعل من ملكه جمال الكون تحترق غيره امام نعومته .. ترك الأمين جو الشاب العشرينى بهي الطله ناعم البشره الفاقد تماماً لأى ملامح تشى بتمتعه بأقل القليل من رجوله تُذكر .. فشعره المجدول ذيل حصان او ان أردنا الدقه فذيل بغل أصدق ووجهه المنتوف شعيرات ما بين

حاجبيه كما بأرنبه أذنه حلق يزينها وحول رقبته تتدلى سلسله لامعه لامست تميمتها الزرقاء سُرته حيث شق عن قميصه الحرير الذى يتدثره فشع منه سنا بشرته الناعمه شديده البياض وخواتم أصبعيه الابهام والسبابه التى يتحلى بها كلها دلائل تقودك إلى ذكر ُدون عن طريق الخطأ بسجل الرجوله الفاقد إلى اقل متطلباتها هذا الخلفان .

عاينته فى صمت فزاغت عنه عيناه لف بها ارجاء المكتب حتى عاد ببصره واستقر برأسه المنكس طيله الوقت تبادلت النظرات ويا مصطفى سرور رجل المهام الصعبه الذى لم يتكلف الكثير من العناء كما ظننت ليصل إلى جو فالاخير قد عاود التردد على الفندق الذى ُقتلت فيه سيدته نيكول فى تصرف غريب منه احمق ربما لكنه بالتأكيد مُثير للدهشه فحجزه رجال امن الفندق واخبروا المعاون النشيط الذى جاء به دون ان يبدد سنتى واحد من قوته الذهنيه أو العضليه .

وقف امامنا جو الذى لم يخرج عن صمته مطلقاً حتى زفر المعاون النشيط انفاسه فى ضيق بينما كان يطالع مستند بيده لم يكشف لي عنه بعد .

شققت جدران الصمت بنحنحه خشنه مدت احبالى الصوتيه عن اخرها حتى خرج الصوت منى ُمعتدلا فأصاب مسامع الواقف مباشره .

- عرفت اللى حصل لنيكول يا جو ؟

هز رأسه بالايجاب وهو لايزال مطأطأ الرأس فأنزوت شفتاه وجز على فكيه فى حزن فألتفت لي مصطفى وأمدنى بالوثيقه التى كان ُيطالعها ثم رمق ثالثنا فى استهجان وتحدث بلسان ثقيل .

- جو يا عمر بيه يبقى جوز الست نيكول .

زغره جو الذى اخرج لسانه بكلمات احرقتها نيران الغيظ التى التهبت بداخله .

- هيدى وثيقه صوريه ما ألها أساس بالواقع .

لم تزده لهجته الشاميه سوى نعومه على نعومته فسكب مصطفى على رأسه

مزيد من الوقود فعلت ألسنه لهيب جو .

- وكمان تزوير .. يعنى دعاره وقولنا الست كانت بتاكل عيش .. صحيح كانت بتسويه على قفاك .. ماتزعلش منى دى الحقيقه .. لكن تطلع ضاربه ورقه عُرفى وسيقاك بيها يرضيك الكلام ده يا عمر بيه .. اتفوه على دى رجوله.. زمن أخبر لاحقت جو بسؤالى الثانى لكى لا ينبجس منه الدم .

- ايه طبيعه العلاقه اللى جمعتك بنيكول يا جو ؟؟

أجاب بكل ثقه .

- كنت مدير اعمالها .

تيبست عضلات وجه مصطفى مُتطلعاً إلى جو الذى أردف .

- وأحيانا الابضاي تبعها .

علت زمجره منافيه للآداب العامه خرجت من فم مصطفى مُمتده فأنتفض جو وكادت تنفرط عنه مثانته .

- يعنى ايه .. الواد دا اكيد ضارب حاجه .. جوز الست وضارب ورق عرفى وقولنا ماشى .. مدير أعمالها انت حُر .. البلطجى اللى بيحمى ضهرها اهو كله كلام معلهوش عتاب .. وبعد الفيلم الهندى ده كله تقتلها .. طب ليه .. ايه اكتشفت خيانتها ليك بس جت متأخره شويه .

- أنا ما قتلتها يا حضره .. اقسملك بربي ما قتلتها فى حدا بيقتل حبيبه يلي بيعشقه حد الجنون .

صارت ثوره جو بعدما طفح الكيل به .. فصرخ فيه مصطفى .

- يا ابنى تسجيلات كاميرات المراقبه بتاعه الفندق بتقول انك اخر واحد زار غرفه نيكول بعدها على طول اداره الفندق اكتشفت جريمتك .

- بليز يا حضره انت .. أنا سبق وخبرتك انى ما قتلت نيكول .. عم تفهم .. ما قتلت عشيقتى .. صدقنى .. ارجوك صدقنى .

اخفى جو وجهه بين راحتيه وغاص بنوبه بكاء على حين غره دون سابق انذار من عينيه الكحيلتين .

- جو .. فلنفترض انك فعلا مقتلتش نيكول .. مين ياترى اللى هيعود عليه قتلها بالفايده ؟

كفكف جو مدامعه واخرج كلماته بنبره انثويه حاده .

- رفيق .. العجوز .

- مين ؟!

دفعها اليه مصطفى فلم يعد على مسامعه جو بكلماته ثانيه فعاودته بسؤالى رغبه بالتأكد من الاسم الذى بدا مألوفا على أذنى .

- تقصد رفيق وصفى ؟

هز رأسه بالايجاب .

- بالضبط .. ما في غيره .

تلبست المعاون النشيط حاله من الاستغراب فأبصرنى بعين مستفهمه واخرى ثقبتها سهام الدهشه مما حوته جعبتى من معلومات غابت عنه .

بعد مطالعتى تسجيلات كاميرات المراقبه التى شهدت على جو وأكدت انه اخر من زار غرفه نيكول الا ان بمزيد من الفحص والتدقيق ادركت صدقه .. فقد اخفقت كاميرات المراقبه ونقلت صوره مماثله لهيئته التى انتحلها القواد العجوز رفيق وصفى حتى ينفرد بفتاته الدجاجه التى ذهبت ببيضتها الذهبيه إلى احضان اخر .. قواد اخر يصغر عنه بالعمر بعدما ملت نيكول من تحكمه بها إلى درجه العبوديه .

فقرر العجوز واحكم التدبير تخفى بهيئه جو الناعم حتى صار توأمه ودق باب غرفه نيكول ففتحت لجو الذى خلع رفيق عباءته وانقض عليها أراد ان يُلقنها درسا أهلها من بعده عن جداره لرحلتها إلى العالم الاخر لتتبوء مقعدها الحارق إلى جوار سيد الجحيم الذى صنع من جسدها أداه جهنميه استعملها بنى البشر لممارسه الشهوه فكم تراقصت نيكول متباهيه بجمالها الكاذب اثارت غرائز اهل الارض حتى اثقلت ظهورهم بتلال من الزنوب ..

أبلعها رفيق العجوز بأفعى تركها تلتهم ما بداخلها فأحرقت احشاءها حتى صرعتها بسُمها واختنقت هى الاخرى وتحجرت بداخلها .

اغلقت اجفانى وطويت صفحه اليوم المُلبد بالاثاره والغموض حتى شأشأ فجر اليوم التالى وبزغ القرص الاحمر البعيد فتسللت اشعته إلى مكتبى وايقظتنى من نوبه النعاس التى تملكتنى فحلت عنى قيدها وانعمتنى بنسيم حريه اليقظه وتوقد الانتباه .

ما ان دقت الثامنه صباحا حتى حل علي دكتور صادق الذى اصطحب معه تقريره النهائى لجثه نيكول .. القضيه تقريبا اغلقت لكن دكتور صادق كان له رأى اخر .

جلس على المقعد الايمن المقابل للمكتب كسر ساقه اليمنى فحملتها ساقه اليسرى ثم دفع

لى بتقريره التشريحى وهو يسألنى .

- وصلت للحاوى اللى وز تعبانه على صاحبه الجسد المزيف ؟ .

- تقريبا .. مصطفى فى الطريق ليه .

اثارت انتباهى الكلمات التى ذيلت تساؤله .. صاحبه الجسد المزيف ! .. نقلت نظرى له فضحك حين قرأ أمارات الاندهاش قد نُقشت على صفحه وجهى ثم قال هامساً .

- نيكول البلاستيكيه صاحبه الجمال الحزين لم تُخلق انثى .. فالواقع كانت مخنث نُحت جسدها على يد خراط المتحولين امثالها .. مزقها بمشرطه الطبى ثم نجدها بحشوات سميكه ضخمت عنها صدرها وتدلت منها مؤخرتها اللاتينيه فصارت مثيره للناظرين إلى جسدها الزائف .. نيكول يا عمر بيه هى فتاه سيلكون متحوله ومش اكتر من دميه

بلاستيك مُتطرفه الجمال .

اقتحم علينا المعاون النشيط المكتب حتى وقع بحاله على الاريكه التى غاص بين احضانها فى ارهاق .

- وصلت لرفيق يا درش ؟
- ويارتنى ما وصلتله يا عمر بيه .
- ليه بتقول كدا ؟
- أصله انتحر .. ولقوا جنب جثته رساله بيعترف فيها انه هو اللى قتل نيكول وانها كانت اكتر واحده حبها .

خيمت سحابه صمت على المكان ثم فجأه تعالت الضحكات وجلجلت قعقعه اهتزت لها الجدران شاطرنى اياها دكتور صادق بينما سهم المعاون الذى تخشبت اساريره فى ذهول متساءلا فى حيره .

- هو فى ايه ؟؟

نهضت من مجلسى ومررت له تقرير دكتور صادق فنهم سطوره ثم رفع رأسه وقد بُهت

- يعنى ايه .. نيكول اللى كان بيريل قدامها اتخن شنب طلعت فى النهايه دكر .. ١٠٧ فعلا دكر يا دكتور ؟
- بالظبط .

أكد له دكتور صادق ما أبصره فصك جبهته بيمناه مذهولا .

- يانهار اسود .. ليه كدا بس يا دكتور صادق .. هو ايه اللى بيحصل فى الدنيا يا عمر بيه .. دى القيامه كدا هتقوم .. وربنا حرام .

هكذا هى الدنيا تُغرى اهلها بنعيم زائف تتجمل بالكذب تثيرنا بخداعها الذى لا يمتد .. فكم من نيكول قد صنعها الشيطان لتتولى هى نيابه عنه صناعه الاثاره التى ستجذب بها زوار المدينه المُحرمه .. فمهما كانت المُغريات من حولك .. لا تثق بمظاهر كاذبه فلعل الجوهر يُخبأ عنك شىء مغاير تماماً لما تحسبه فلا تنخدع .. فقد اصبحنا نعيش بعالم مطلى بألوان الزيف والكذب والخداع فأترك كل مُتطرف حتى وان غلف بالجمال الصارخ فقد يكون بالنهايه مجرد قشره لامعه لمعدن .. صدأ أصله .

****

انسدلت غمامه المغيب واخفت خلفها حمره القرص المُحتضر فأخذ يتهاوى بين السحابات الدخانيه مُرسلا إلى الارض بضوء خفيض همس لها بوداع مؤقت فبالافق البعيد تهادت الامواج فى هدوء داعبت قدماى بينما كنت اجلس على مقعدى امام الشاطىء والى جوارى الشارد ابوالوفا المنتظر بلوعه حارقه عوده صاحبه الحارس التائه بين امواج الحياه .

اداعب الرمال بين الحين والاخر أدفن قدماى بين رمالها حتى تختفى فيلتفت الي ابوالوفا فى فزع ليحوم حولى متنسماً الرمال التى هجرتها المياه بفعل الجذر حتى اكشف له عن قدمي فيهدأ ويعاود جلسته على أرجله الخلفيه بظهر منتصب زائغ ببصره ماسحاً الشاطىء من اقصاه إلى اقصاه .

كنت اطالع الحياه التى سطرها الكاتب الالمانى هيرمان هسه بروايته الروحيه .. سيد هارتا .. ربما كنت احاول البحث عن ضالتى بين كلماته احاول ان اكون ذاك الرجل الذى بلغ هدفه واهتدى إلى دربه القويم بعد ان زحزح عنه بمشواره بالحياه .

التهمت الكلمات وابحرت بين السطور على امل ان اهتدى إلى ضالتى قطعت رحله تخطيت فيها اكثر من ثلثى الكتاب وجدت الكثير لكنى لم اجد وسط هذا الكثير ما رجوت .

دقت ساعة النعاس لأجرام الطبيعه فصدتنى عن مواصله رحلتى بين دفتى حياه سيد هارتا تدثرت السماء ثيابها الاسود المُرصع بلألأ تلمع فى تناسق واحتوت بحضنها الدافىء احفاد آدم وكانت خير من وفى بعهده للأم الاولى حواء سيده نساء الارض .

لملمت اغراضى القليله وحملت عرشى وخطوت قاصداً قلعه الجنرال لعلى انعم بمجالسته ولو لدقائق معدوده يغيظنى كثيرا بصمته الممل وعزلته التى لا يفارقها وكذلك هى لا تفارقه .. بمجرد ان صافحت مقبض الباب اهدانى فى كرم لم اكن لأتوقعه برساله .. رساله عُلقت بدباره انعقدت حول عنق المقبض بأحكام كاد ان يقضى عليه لولا وصولى بالوقت المناسب أرحت القيد

عنه حتى حل تماماً تفحصت المظروف الذى لم يكن بغريب اذكر انى صادفته مره بالسابق .. لا .. لمرات لفحت الرياح المكان ببروده منعشه افاقت عنى ذاكرتى التى اوردت إلى مُخيلتى صوراً للرساله التى علمت أمر مُرسلها .
دلفت رحاب الكهف المظلم فتيار النور لا يزال غائباً عن قلعه الجنرال أرحت ما علق بيداى فيما عدا الرساله وتحسست خُطاى إلى ان اهتدت يُمناي للشمعدان الذى لم يبرح سطح المدفأه بعد .. أشعلت فتائل الشموع فأنارت ما حولى وألتفت إلى جمر المدفأه فوجدته راقد مترصد أسفل الرماد .. داعبته بالسيخ حتى نفث من جديد بحرارته الباعثه للدفىء .. سحبت الكرسى الهزاز وجاورت المدفأه وعلى هُدى الاضواء المتراقصه تفحصت المظروف من الخارج ولم اجد كما اعتدت من صاحبه اسم او عنوان سواء من المُرسل او للمُرسل اليه .. اخرجت ورقته المطويه أربع ارباع وفردتها لأطالع ما خطه مُرسلها فجاءت رسالته لتحمل الي كلماته :

((عزيزى الباحث التائه .. لكم اشتقت إلى رؤيتك إلى مخاطبتك وجها لوجه .. عذراً سامحنى فلم يُمسك عنى خطاباتى اليك سوى بعض العُسره التى لابد منها طالما اننا ننعم بالحياه .. بالمناسبه ان جادت لك الحياه بجوهره من فُرصها التى تُمنحها من تختار أرجوك حاول ان تقبض عليها بيدك وأسنانك قابلها بترحاب بالغ عانقها قبلها ان سمحت لك ولا تتردد ودع عنك قلقك .. وأعلم ان لم تُعرها كامل اهتمامك فستهرب إلى اخر خير منك .. حينها لن يهدأ عنك الندم)) .

بكل امنيات العالم أرجو لك طيب الحال
صاحب الحكمه

أه .. ماذا يريد منى مُدعى الحكمه هذا ؟!! .. كلماته مُبهمه هذه المره حتى وصيته لم اتمكن بعد من كشف ما ترمى اليه من نصح وارشاد .. اعتدته

من المُرسل المجهول .. هو يتعقبنى يعلم ما يدور برأسى رغم انى نفسى لا ازال تائها كما يُلقبنى بُمستهل خطاباته الي .. كيف علم بعزلتى التى اخترتها وهجرت من اجلها عالمى الاسود ؟! .. كيف علم بهروبى العظيم من سجن منزلى ؟! .. صاحب الحكمه هذا يراودنى كضلالاتى .. كما انه يُطاردنى برسائله التى تتعقبنى اينما توجهت .. على ايه حال طالما انه يُراسلنى بوصاياه الحكيمه اذا فهو يريد الخير والصلاح لحالى وهذا ما يُريح نفسى من ناحيه خطاباته حتى وان ارسلها بأسم مُستعار فهو بالنهايه انسان أتلمس شخصه الودود من بين كلماته .. لابد وانى عاشرته ذات يوم او ان ثمه قرابه تربطنى به .. سأصل اليه بالقريب وسأكشف أمره .. هو يتلاعب مع رجل امتهن البحث لكفاف عيشه فأن كف عن البحث هلك جوعا من دونه .

طويت الرساله وأعدتها سيرتها الاولى تنسمت هبيب عطر داعب نخاشيش أنفى .. قربت المظروف الي وتشممته .. رائحه مُرسله قد طُبعت عليه دون ان يدرى .

- اللى واخد بالك وشاغل عقلك .. ايوه يا سيدى .. محدش قدك يا حضره الظابط ..يا نمس .

انتبهت إلى مصدر الصوت .. انتفض حالى فأطلقت سهام عيناى بأتجاه مخبئه وسط الظلام دققت فيه النظر وامعنت الانصات لبصمه صوته حتى تبين لي الشبح العجوز القابع على اريكه تنتمى إلى عزال العصر العثمانى .. تربع عليها صاحب العزله وانكفأ على تلميع نياشينه بخليط من الزيوت العطريه المميزه لمعت فى يده احدى الانواط التى اخذ يُلامسها بحذر وحنان لا مثيل لهما ماسحاً اياها بقطعه من الاسفنج الناعم .

- انت هنا من امتى ؟؟

رفع حاجبه الايسر واغمض عينه اليمنى وحدثنى بنبره مُداعبه وشت عن نزعه حسره ببطن العجوز الهرم .

- من ساعة ما اورت عينك فى جوابها .. هى قديمه حبتين بس جميله .. مش

كدا يا واد

- هى مين يا نصر بيه ؟؟

- يا نمس . عليا أنا برضو .. قولى عرفت اسمها ايه ؟

- اه .. اسمها ليلى .

مصمص شفتيه وسرح بالظلام المُحيط وقال مُتنغماً بالاسم .

- ليلى .. اسم جميل .. طيب هى مرتبطه ؟

- يا نصر بيه سعاتك نسيت انى متجوز .

- يا سيدى منسيتش بس اهو سؤال .. ولا هو السؤال حُرم يعنى .

- محُرمش ولا حاجه .. بس دى حاجه شخصيه . كمان أنا كل اللى جمعنى بيها دقيقتين

مش اكتر .

- دقيقتين برضو .. يا واد .. على نصر الديب .

- انت عايز ايه بالظبط ؟

أراح ظهره إلى الخلف ومد يمناه امامه متأملا احد نياشينه اللامعه على انعاكس الضي المتراقص .

- هعوز من ليتك ايه يا نمله !!.

ثم احتدب إلى الامام وهمس فى زهو .

- اهو ده بقى الفرق ما بين جيلنا .. قالها بكل فخر .. وجيلكم .. قالها بكل استهجان وانتقاص للشأن .

- أنا طالع اوضتى .. عن اذنك .

- استنى .. قولى صحيح .. ابوالوفا عامل ايه ؟؟

تأملته فى اندهاش منذ متى والجنرال العجوز يرق قلبه إلى ابوالوفا او لأى كلب اخر .. شعر بما جال بخاطرى فأردف .

- أصل بصراحه صعب عليا بعد ما حكيتلى قصته .. كمان انت بطلت تجيبه معاك ..فقولت يارب متكنش اتخليت عنه انت راخر .. زى ما صاحبه سابه

وهجره ناكر الاخلاص .

- متخافش .. ابوالوفا كويس .. وبيسلم عليك كمان .

- يا سلام .. ماشى .. طيب بطلت تجيبه معاك ليه ؟

- مفيش كل الحكايه انه اتصاحب على ليلى فبقى ملازمها على طول .

- والله برافو عليه .. اهو ابوالوفا ده .. شوف كلب اهو .. بس طلع بيفهم عنك .. بميت مره .

- تقصد ايه يا نصر بيه ؟

- مقصدش .. أنا بقول رأيى والحدق بقى يفهم .

- يا نصر بيه أنا راجل متجوز .. متجوز وعندى بيت واولاد .. يعنى .....

- يعنى انت بس لو تدى نفسك فرصه مش هتخسر حاجه .. اسمع منى .. دا أنا خبره برضو .

- يعنى عايزنى اعمل زى ابوالوفا والازمها زى ضلها واتصور معاها سيلفى كمان .

- سيل .. ايه ؟

أعدت إلى مسامعه المصطلح الجديد عليه تماماً فخرجت الكلمه منى فى نبره ممتده نابعه من عقل اصابه التشوش .

- سيلفسسى .....

****

سيلفى الموت

" مُبدعوا الحياه .. هم حراس السعاده فيها وجميعاً
يشتركون بنهايه مأساويه اذا سقطوا بهوه الشهوه "

وسط اجواء احتفاليه صاخبه عمت الساحه المؤديه إلى قاعه الاحتفال حيث وصلت سياره استرتش فارهه داكنه لدرجه جعلت من سطحها الاسود يلمع فى تلألأ مع انعكاسات الاضواء التى تُزين جو المكان .. توقفت السياره محاذيه بدقه بالغه للممر المبسوط بالقطيفه الحمراء فنزل (مكرم زيدان) بطلته المميزه وتوثب منتصباً وهو لا يزال ممسكاً بباب السياره مُرسلا التحيات إلى الكم الهائل من بنى البشر ممن اصطفوا على جانبى الممر الاحمر القاني فمد يده واخرج (نيلى) زوجته وبطله اخر افلامه (خلفيه مجروحه) والذى تم ترشيحه لنيل جائزه المهرجان حيث وفى بُوعده لفتاته الشقيه نيلى فصنع منها بطله وبفتره زمنيه لم تتخطى الثلاث اسابيع .. كانت عمر زمن التصوير لأحداث الفيلم الذى تناول قصه فتاه تعيش بمنطقه عشوائيه عانت الأمرين بعدما تكالب عليها فتيان المنطقه من المدمنين والمشردين وتناوبوا عليها رغماً عنها لأمد ذاقت فيه الوان من العذابات حتى سنحت لها الفرصه للهروب فهجرت المكان راحله بلا عوده هامت ببلاد الله إلى ان ساقتها الدنيا وحطت بها تحت اقدام المليونير الذى صنع منها ملكه حين تفضلت هى عليه بثديها الحانى وبأخر ايامه قرر ان يورثها وحدها ملاييينه كلها .. ضحكت الدنيا اخيرا لفتاه العشوائيات بعدما ابكتها كثيرا بأول المشوار .

زينت ارجاء الممر المؤدى إلى قاعه الاحتفال ببوسترات مختلفه الاحجام لفيلم .. خلفيه مجروحه حيث حملت صوره لبطله العمل والتى التقطت

لها بعد واحده من حفلات الاغتصاب التى عانتها طوال احداث الفيلم .. فبدت بجسد شبه عارى يعلوه ثياب ممزق مهترىء تماماً ووجه ملائكى مُخضب بالسواد الممزوج بالدموع وحمره الدم المُسال من احدى فتحتى الانف المنمق الخاضع لعمليه نحت طبى اكثر من مر حتى كاد ليختفى من بين قسمات الوجه .. وتبرز عنها شفتين غليظتين نفرت احداهما الدم فسال على احد الجانبين وتقاطر على هضبتي نهديها المُزينين بالخدوش إثر السحجات التى تعرضت لها على يد الذئاب البشريه البادين بخلفيه البوستر يلهثون وراء بطله الخلفيه المجروحه .

رحلت السياره الشبيهه تماماً إلى حد قريب جدا بعربه قطار مُقبل على الصعيد حتى بدا للعيان المُخرج صاحب الرؤيه المُبدعه وقد احاط بذراعه الايسر خصر فتاته التى لمع عن فستانها السواريه المتلألأ نهدين بارزين عن ثياب ارستقراطى لم يختلف كثيرا عن ذلك الممزق المهترىء الذى كشف عن مفاتنها طوال الاحداث الدراماتيكيه بالخلفيه المجروحه

وقف مكرم ونيلى متلاصقين فبدا كالعاشقان متوجهين للحضور بإيماءات لأوضاع استعراضيه يُتقنها مكرم جيداً وقد درب نيلى عليها كثيراً حتى اتقنت بدورها الوقفه والاستداره والايماءه .. صارت على يده نجمه هوليووديه .. امطر المصورين مكرم ونيلى بسحابه من الفلاشات التى تلقياها بفم باسم فى رحابه وسعاده لا تُوصف حتى خطا بكل ثقه السجاده الحمراء وما ان اقتربا على نهايتها حتى انقض عليهما لفيف من الفتايات اللائى يساوين نيلى فى فستانها الذى يكشف اكثر بكثير عما يستر وكذلك فى الزينه والبهرجه .. التف حول مكرم ونيلى الفتايات وتقذفن العاشقان بالقبلات والاحضان وقد مدت احداهن بعصا ومض الجهاز الملحق بأخرها حيث التقطن عدد من الصور على طريقه السيلفى .

ولج بعدها مكرم ونيلى إلى قاعه المهرجان وذابت الفتايات وسط الفلاشات المنبعثه من كل ركن وتعالى الصخب اكثر واكثر ليظلل اجواء المهرجان الفنى

الهولوودى .
هذا ما عاينته من خلال التسجيلات المصوره التى تم التقاطها بكاميرات المراقبه المحيطه بأركان القاعه التى شهدت وقائع حفل التكريم .. الحفل الذى احتل مكرم ونيلى مشهد النهايه له واستأسرا وبجداره على صراخات وبكاء الجميع من الحضور جاءت نهايه مُكتشف الوجوه الجديده مكرم زيدان سينمائيه بحته .. فهو المخرج المبدع الذى طالما احاطته الفتيات اينما كان واستأسر نظرات النساء بأى مناسبه يحضرها خاصه المهرجانات الفنيه التى لا يخلو اياً منها من اسم مكرم زيدان مقرونا وبكل تأكيد بوجه جديد انثوى طاغى الانوثه .. هكذا عود زيدان جمهوره ربما ركز دعائه بألا تنقطع عنه عاده .. خاصه هذه .. نعم المُبدع هو! .
وسط جو الحفل الراقى مالت نيلى على أذن مكرم ووشوشت له بالقليل ثم هز هو بدوره رأسه متفهما موقفها فنهضت ُمنسحبه فى هدوء ناقشه على صفحه وجهها بأبتسامه باهته فقبضت بيمناها على فستانها وجرت قدميها فى تثاقل كانت بوادر الاعياء قد بزغت على ملامحها التى اخذت تجاهد الالم ُمتخفيه بستائر الابتسام التى لم ُتخفى عنها أمارات تغير الحال .. تابع مكرم نيلى حتى اختفت عنه وعن الحفل .. اطلق ابتسامته إلى الحضور متوجها ببصره ناحيه المسرح الذى اعتلته ُمقدمه الحفل رقيقه اللسان المنغم بأبيات المدح والثناء لكلونى عصره وزمانه مُخرج الابداع الاوحد ُمكتشف الصبايا صانع النجوم بعالم الفن رائد سينما الواقع المثير للغثيان ان طالعت افلامه محبوب الجميلات .. اسر العيون سجان قلوب العذارى صاحب الرؤيه البديعه المبدعه .. المُخرج مكرم زيدان .
تعالى التصفيق بحراره كادت ايادى الحضور ان تتمزق وتهافت المصورين على رأس مكرم امطروه بفلاشات لا نهايه لها .. اعادت مُقدمه الحفل النداء على مكرم مره ثم اخرى واخيره ولا استجابه تذكر من البطل الصامت الذى اراح رأسه على كتفه الايسر مُعلقاً بصره على المجهول ولاتزال ابتسامته

البارده تعتلى ملامحه التى تجمدت على تلك الهيئه .
عم الصمت بالمشهد الاخير لمكرم ترقبت الاعين وكزته فنانه الاجيال المرأه التى تدين لمبتكر مساحيق التجميل بالكثير فقد رممت فلقات وجهها حتى تحجرت ملامحها وقد عفى عليها قطار الزمن فتخشب عودها وذبلت عنها ضحكتها التى كانت بالسابق مُجلجله لكنها اصبحت مُتحشرجه تخرج منها مصحوبه بسعال خشن وربما ببصقات لزجه تُخفيها بمنديلها القطنى ليمتص ما يستفرغه فمها .. وكزت المرأه المتحجره مكرم بجنبه مبتسمه للعدسات المترقبه المتطلعه فى توجس ثم منحته قرصه بأظافر امتدت من اناملها بمكان حساس من اسفل مفرش المائده كل هذا والبطل راقد بجسد هجرته الحياه.. تفحصته سيده الشاشه العجوز حتى ايقنت موته فأرتعدت لاطمه بيدها صدرها الذى صار كالابلكاش يلب بلا عزم يسنده .. شهقت فتبدل الحال بغير الحال .. ثار الجميع وتعالى النحيب اصبحت الصدمه عنوان للمهرجان .
التفت إلى مصطفى سرور المعاون النشيط بعدما انتهيت من مُطالعه كافه التسجيلات المتعلقه بحفل المهرجان .
- دكتور صادق وصل يا درش ؟
اكتفى المعاون بهز رأسه فى ايجاب ثم صاح بنفاذ صبر .
- وبعدين يا عمر بيه .. احنا بقالنا تلت ساعات وموصلناش لحاجه .
- فعلا معاك حق .. يارب دكتور صادق يكون وصل لحاجه .
رفع كفيه فى تضرع وقال داعيا من قلبه متوسلا .
- ياااااارب .
انعزل على ذاته شابكاً ذراعيه امام صدره مُرسلا ببصره إلى نقطه لا احد يعلمها سواه تأمل الفراغ القريب غاص بين امواج صمته الممتد لنصف ساعة اطبق شفتيه معلنا الصمت الرهيب مُعتصراً حدقتيه بتركيز لا مثيل له دون ان يلتفت او يرمش عنه طرف او حتى ينتبه إلى مُجثه مكرم الذى لايزال قابعاً بحاله كله على كُرسيه حيث حط دكتور صادق وارتخى تماماً على المقعد

المجاور للجسد المتجمد الغائب عنه الروح .
افراد البحث الجنائى يهيمون هنا وهناك يجيبون المحيط فحصاً وتمحيصاً واستاذهم الزاهد ولأول مره بحياته فى عمله لابد وان دكتور صادق صار بحاجه إلى رُقيه او زياره قريبه لطبيب نفسى .. زدت نصف ساعة اخرى لمكيال الزمن الذى صرفه دكتور صادق كله على صديقه الجديد الملازم لحاله الصمت الرهيب .. امضيتها بحوارات جانبيه شملت بعض المعاونين ومسئولى الامن والاداره بالفندق المقام بأفخم قاعاته حفل المهرجان نفذت الثلاثين دقيقه وقد نفذ معها صبرى .. وحلمى وعزمى وجميع الاصدقاء والمعارف لثبات النفس المنتظره رده فعل من خبير الطب الشرعى المخضرم .. كلمه واحده منه ستريح الجميع .
جلست مُحاذى لدكتور صادق عاينته فلم اجد جديد سوى صمت قد حط على صمته فرغت عنى طاقه الصبر وانطلق لسانى .
- دكتور صادق .. يا دكتور .. حضرتك معايا ولا .... ؟؟
التفت الي بكل برود وحك بأطراف يُمناه ذقنه متسائلاً فى نبره فلسفسه متأمله هادئه تماماً .
- تفتكر يا عمر بيه اللى بيموتوا فى الحرايق والعياذ بالله .. هل بيموتوا الاول من النار ولا من الدخان ؟؟
اغشيت وجهى براحه يدى اليسرى ومطت شفتاى فى ايماءه حائره وارسلت له جوابى .
- والله العلم عند الله وحده يا دكتور .
- ما أنا عارف ونعمه بالله .. بس انت تفتكر ايه ؟
- هما مادام كدا كدا هيموتوا محروقين تبقى النار هى اللى كلتهم اكيد .
اطاح رأسه فى ايماءه نافيه .
- انت برضو لسا مش فاهم قصدى .. طيب هسألك سؤال تانى .. امبارح حسين ابن جارى المهندس رأفت قابلنى فى الاسانسير وسلم عليا عادى جدا

وفجأه قام لسعنى سؤال متوقعتهوش نهائى منه .. اصله لسا فى اعدادى بس بسم الله ماشاء الله عليه .. ولد نابغه ياعمر بيه .. تصور سألنى .. هل النار كائن حي ؟ .. سكت شويه وبعدين قولتله هى مش موجوده فى عالمنا وعايشنه وسطنا فى الدنيا .. تبقى اكيد كائن حي .. قالى طب هى بتاكل ؟ .. قولتله طبعا .. أى حاجه هترميها ليها هتاكلها على طول .. سكت الولد شويه وبعدين قام قالى طب هى بتتنفس زينا ؟ .. قولتله اكيد .. بدليل انك استحاله تولع عود كبريت من غير الاكسجين .. لانه ضرورى للاشتعال .. وصلنا الدور وخرجنا من الاسانسير مشيت لحد باب شقتى لقيته لسا واقف مستنى .. بصتله قام قالى طيب طالما النار بتاكل وبتتنفس ليه لما بتشرب بتموت ؟ .. حاولت افكرله فى اجابه بصراحه ملقتش .. لحد ما حسين زهق وقام دخل شقتهم .

- وهو دا اللى شاغل بالك من الصبح يا دكتور ؟

صاح بقعقعه انحنى على اثرها حتى اقترب بجبهته من سطح الطاوله وهو يشير بسبابته نافيا ظنى المتهكم من الحاله التى وصل اليها العالم المخضرم .

- لا .. لا مش للدرجادى يا عمر بيه .

ثم فجأه وعلى حين غره وبدون أى مقدمات سد بسبابته فمه واخذ يُطالع الجثه المتجمده بالجوار وجال ببصره إلى نقطه لا يعلمها الا هو ثم عاد الي بعدما استشعر الحاله الحرجه التى ركبتى حين هجرنى الصمت لاعنا اليوم الذى جمعنى بدكتور صادق فرفق بحالى وحادثنى بنبره قاطعه .

- فى شُبهه جنائيه .. سبب الموت المبدئى من المعاينه الاوليه .. اسفكسيا خنق .

تقلصت عضلات وجهى دهشه .

- افندم .. خنق .. ازاى ؟!!

- ازاى دى هنكتشفها فى التشريح لكن الاعراض الظاهريه كلها بتأكد انه مات مخنوق ونفس الكلام ينطبق على الفنانه نيلى مراته .

صمت لسانى للحظات محاولا استيعاب التشخيص المبدئى لدكتور صادق .
- بس يا دكتور لو حضرتك راجعت تسجيلات كاميرات المراقبه هتلاحظ انه كان هادى
جدا لأخر لحظه .. يعنى لا كان بيتشنج ولا حتى استنجد بحد .
ابتسم فى رصانه .
- ما هو ده لانه مات بتأثير الدخان قبل ما النار تاكله .
- بمعنى ؟
- بمعنى انه كان حاضر الحفل بس فى نفس الوقت كان غايب عنه لانه ببساطه كان فاقد للوعى .
- فاقد للوعى !!!
طالعت الوجه الجاحظ ثم عدت للدكتور صادق الذى لا يزال راسما ابتسامته الرصينه الهادئه فأردف .
- متستغربش وضعه .. دا بسبب تشنج الجثه .
هززت رأسى محاولا الاستيعاب بينما نهض دكتور صادق متوثباً وجمع شتات مفكرته ثم اضاف فى ثقه مشيرا إلى مقعده .
- لو قعدت مكانى وركزت فى زاويه الرؤيه اللى مات عليها مكرم .. هتوصل للى أنا وصلتله .. بعد اذنك يا عمر بيه .
خطى خطوتين ثم التفت مضيفا .
- جرب .. مش هتخسر .
رحل دكتور صادق حتى اختفى تماماً عن عينى لم اضع من الوقت اكثر مما اضاعه خبير الطب الشرعى المُخضرم .. اسرعت للعمل بنصيحته لعل وعسى .. ركبت مقعده المحاذى للجثه التى لاتزال متجمده على سيرتها حاولت ابصار ما ثبتت عليه عينى مكرم لا شىء .. لا شىء على الاطلاق .. تأملت كلمات دكتور صادق .. راجعت ايماءته المريبه وبمزيد من التركيز ادركت ما أراد مكرم زيدان ان يُلفت نظرى اليه وكان دكتور صادق اول من فطن رسالته

الصامته .
توجهت بعدها إلى المدينه متشابهه البنايات متشابكه العلاقات .. المعادى .. حيث استديو المخرج مكرم زيدان .. بالطريق حاولت لضم الخيوط المؤديه لحل العقده .. راجعت التسجيلات اخذا فى الاعتبار الملاحظه الذكيه التى أهدانى اليها دكتور صادق المتأمل الماكر .
رغم براح المساحه التى شغلها الاستديو الا ان جنباته وُغرفه كانت مُحكمه .. هناك غرفه مكتب .. وغرفه اجتماعات تسع لعشره افراد وغرفه اكتظت بمعدات والالات التصوير والمونتاج وساحه اسدلت من سقفها ستاره خضراء حتى افترشت الارضيه كانت ساحه التصوير الفوتوغرافى .. اكتسى الاستديو بالخشب كان عباره عن صندوق خشبى داخل صندوق اخر .. اطلقت عنان المعاون النشيط .. فجال ُمنقباً بأرجاء المكان بينما أنا
لازمت خبير الالكترونيات الذى انكب امام اللاب توب الخاص بمكرم زيدان انطلق بأنامل رشيقه متوثبه فى خفه بين الازرار المنثوره امامه .. قطع اشواط من البحث المُضنى حتى سكن للحظه رمقنى فيها بنظره صاحبتها الصدمه .. طلب منى ُمطالعه ما قبض عليه لتوه .. انار الخبير الشاشه التى كشفت عن عدد من الفيديوهات الجنسيه الفاضحه التى لعب مكرم زيدان دور البطل فيها .. تناوبت بين احضانه العشيقات كلهن جميلات وكلهن صرن نجمات على يده وفمه وصدره وساقيه .. كلهن تطلعن لأعتلاء الشاشه الكبيره من خلال العدسات الساقطه لكاميرا دنيئه وبجسد رخيص .
ما ان مر امامى شريط الاثاره الفاضح لنساء نصفهن نجمات بعالم الشهره والنصف الاخر لايزال يسدد الفاتوره المطلوبه .. بغاتنا على حين غره المعاون اليقظ .. ألح بأصطحابى إلى ما أكتشفه بكهف الراحل المُبدع فأمرت الخبير بجمع واحراز التسجيلات وركبت ظهر المعاون الذى هدانى إلى ساحه التصوير الفوتوغرافى .. اشاح مصطفى البُستان الاخضر المنسدل من السقف فكشف عن فراش الشهره الرخيص الموقع المشيد على يد صانع النجوم ليصور فيه

لحظات تشكيل بطلات افلامه على نار هادئه .. هادئه للغايه وساخنه ايضاً للغايه .

أركان الغرفه التى اخفاها مكرم خلف الستار كانت مُلبده بعدسات دقيقه .. ليحصل على افضل الزوايا الراصده لفتاته مع توافر لوحات عاكسه ليضمن صوره خاليه من أى شوائب وهذا ما فسر لي احترافيه التصوير ونقاء الصوره ولا عجب فالصانع يشهد له اكابر مهنته بأحكامه لصنعته التى اساء استغلالها واتبع شهوه حقيره .

خلوت إلى نفسى بالتسجيلات وانفرضت بأشرطه ملكات الاغراء اللائى ركبهن عنتيل الشاشه الذى كان لابد وان يُخلد اسمه بموسوعه الخارقين المائه .. حيث بلغ عدد النساء اللائى انهارت اجسادهن اسفله فبلغهن الاربعين بعد المائه .. مكرم الذى طالما أشيع عنه ميوله الشاذه وكثيراً ما لطمته الصحف الصفراء والحمراء والخضراء وكل ألوان الجرائد والمجلات التى تقاذفت شخصه بحواديت الخنفسه والدلال البعيد عن الرجوله والغريب بالامر كان يتماثل مكرم للصمت كان حقاً مثالا للرجل العملى يغوص بين امواج اللحم الرخيص محطماً ارقاماً قياسيه بعالم العلاقات النسائيه ولا يتحدث عن انجازاته .. فقط ترك التاريخ ليبُت فيها بشرائطه الفاضحه التى احكم صنعها لكى لا يبخس الاجيال القادمه من حقه شىء مما استطاع ان ينجزه وعجز عنه غيره .

من بين ١٤٠ فيديو كان هناك ٨ فيديوهات لأربعه فتيات نُصبت حولهن دائره الريب التى تأكدت بعد ان راجعت تسجيلات كاميرات المراقبه للفندق الذى اقيم فيه حفل المهرجان فكانت لملاحظه دكتور صادق دور بالغ الاهميه حيث هدانى إلى الطاوله التى تجمد نظر مكرم عليها والتى اجتمع حولها البطلات الاربعه للفيديوهات الثمانيه الفاضحه .. ألان اصبح امامى حلقه مُصغره يدور بداخلها أربعه فتيات ان تأكدت الشبهه الجنائيه بموته مكرم ونيلى ستكون البدايه من عندهن بلا ادنى شك .

قصدت مختبر دكتور صادق بالمعمل الجنائى فقد انتهى من تقرير جثتي مكرم ونيلى .. صافحنى على عجل كالمعتاد لم يتفوه سوى بكلمات الترحيب البارده أمدنى بمظروف تقرير التشريح بينما انهمك هو فى مُطالعه احدى كتبه الدسمه المنقوشه بالانجليزيه وربما الاتينيه فى بعض الاحيان .. سبق وان طالعت احداها الا ان عقلى قد عجز عن فك طلاسم العنوان فما بالك بأم الكتاب وصفحاته الباطنيه .

فضت المظروف واخرجت ورقته المطويه نبشت السطور فى لهفه حتى تأكدت لى الشبهه الجنائيه .. ولكن جاء التقرير ليزف لي سبب الوفاه .. تسمم !!! .

عقدت حاجبى وطالعت القارىء اللاهث خلف جواد العلم الذى لا يتوقف ولا يهدأ فألقيت عليه بدهشتى المتسائله فتعثر جواده وارغمه التوقف .

- تسمم .. ازاى يا دكتور ؟!! .. وامتى دا حصل ؟ .. اكيد من فتره !

كنت قد صادفت عشرات القضايا التى تمت فيها عمليه القتل قبل ان تودع الروح جسد صاحبها ربما بأشهر .. جرائم القتل المنظم يلعب السم ذو التأثير بعيد المدى دور فعال فى حياكه مراحلها حيث تمتد فتره الاحتضار لتنتهى حياه القتيل بهدوء تام .. فتبدو الميته طبيعيه ولكن هيهات طالما بالحياه اشخاص كدكتور صادق فلن تستتر الحقيقه اكثر من ايام قليله هى عُمر فتره التشريح واعداد التقرير النهائى للطب الشرعى .

أزاح دكتور صادق عينيه من بين دفتي المجلد السمين المترهل وازاح من على وجهه نظارته الطبيه واشاح وهى بيمناه نافيا ظنى .

- لا .. لا يا عمر بيه .. مش زى ما انت فاكر .. صحيح القاتل ذكى .. بس خبرته بعالم السموم محدوده .. على فكره مكرم ونيلى اتعرضوا لجرعه السم اللى دخلت جسمهم عن طريق الانف قبل الحفل بدقايق .. والمجرم اللى ورا التدبير الغشيم ده قتل روح تانيه بقصد بقى او من غير معرفش .. لكن الاكيد انه قتل انسان قبل حتى ما تبتدى حياته وسطنا .. نيلى كانت

حامل ودا سبب ظهور اعراض التسمم عليها قبل مكرم .. الاعراض الاعتياديه للتسمم ظهرت على نيلى وهى فى الحمام .. صداع .. قيء .. صعوبه فى التنفس .. تشنج بعضلات الجسم .. تورم فى الحنجره .. أدى إلى حبس النفس عنها ثم .. الموت .

- طيب ومكرم ؟

- مكرم كان ميت اكلينيكيا قبل ما تموت الخلايا الدماغيه بشكل ُكلى قلبه وقف عن النبض لكن دماغه كان لسا شغال وده اللى يفسر نظرته الاخيره اللى وجهها لنقطه معينه باتجاه معين واللى اذا كنت عاينتها بدقه كنت هتشوف انعكاس صوره القاتل عليها .

تلقفت انفاسى وتدبرت كلمات الصادق المخضرم .

- مكرم كان متعدد العلاقات .. نام مع ستات قد عدد شعر راسه .

- جميل .. قالها بأنتشاء .

- هو ايه اللى جميل ؟

- أنا اقصد ان اكيد واحده من بين الستات اللى مكرم مارس شهوته معاهم هى السبب ورا قتله وانا لازلت ُمتمسك بملاحظتى .. الترابيزه اللى مكرم علق عليها عينه قبل ما يموت خيط متين .. اذا تتبعته هتوصل للقاتل .

حدس دكتور صادق لم يخيب ولو لمره واحده .. كما انى قطفت أولى ثمار ملاحظته تلك وصار بحوذتى قائمه قصيره للمشتبه فيهن .. ان اصابت ملاحظه دكتور صادق فلن تخرج القاتله عن دائره شكى اما وان خابت فتلك هى العقده التى لن تحل باليسير ُمطلقاً .

هاتفت المعاون اليقظ فأتت إلى مسامعى نبرته الواهنه لم يعد نشيط حادثنى بفم ُمنفرج وصوت ناعس حيث قضى ليلته امس متأرجحاً بين التسجيلات الفاضحه وتسجيلات حفل المهرجان كلاهما كان مثير .. الا انه اخبرنى بأنه لاحظ امر غريب سيطلعنى عليه بمجرد ان اصل المكتب .

- هاه .. طمنى .. عجبتك الفيديوهات ؟؟

تثائب ضاحكاً .

- بصراحه احنا خسرنا مُبدع .. بس مش مهم .. افلامه باقيه برضو .. انت روحت لفين

يا عمر بيه ؟

- قولى انت وصلت لأيه يا مصطفى باشا ؟

- حاضر .. الاول بس المهندس طارق كان معايا طول الليل عشان متفهمنيش سعاتك

غلط .. ثانيا كان فى مقطع كدا طلبت من الهندس طارق يظبطه لسعاتك .

- مقطع ايه ؟

- لا .. الافضل تشوفه سعاتك بنفسك .

أراد المعاون النشيط ان يُطلعنى على اللحظه التى وصل فيها مكرم بصحبه نيلى وانهالت عليهما فلاشات الكاميرات من كل اتجاه حتى خطوا بأتجاه قاعه حفل المهرجان وهنا توقفت الصوره .

- ركز بقى يا عمر بيه فى اللى جاي عشان هنا مربط الفرس .

أدار الفيديو حتى وصل مكرم ونيلى إلى نهايه السجاده الحمراء وقد التف حولهما عدد من المعجبات اللائى أردن التقاط الصور التذكاريه على طريقه السيلفى .. بدا المشهد طبيعى للغايه .

- ايه اللافت هنا .. لا شفت مربط ولا فرس ولا حتى حماره عرجه !

- شكراً سعاتك .. بس أنا واثق انك هتغير رأيك ودلوقتى حالا .

أعاد المقطع من جديد حتى وصل إلى لحظه التفاف المعجبات حول مكرم ونيلى .. ثبت الصوره واخذ يزيد من حجمها حتى تبين لي هويه المعجبات هن الفتيات الاربعه بالضبط هن .. الا ان مصطفى اراد ان يُلفت نظرى إلى امر اخر تماماً .. وهو رده الفعل الغريبه التى أحدثها مكرم ونيلى عند التقاط السيلفى وسط الفتيات .

فقد اعطى مكرم رده فعل من استنشق نثار مسحوق شطه حريف كتلك

التى نُعانيها بمحلات العطاره او ربما اراد العطس اثر تلقيه رزاز غير متوقع .. بالفعل خرج من عدسه الهاتف رزاز اصاب وجه مكرم مباشره وتكرر نفس الامر مع نيلى .. حدث هذا خلال ثوانى ولم يلاحظ احدا شيء .. حتى الضحيتان تلقيا الامر بشيء من الاعتياديه ثم صارت الامور على نحو طبيعى للغايه .. تماماً كالريح لا نبصره ولكن ندرك اثره .

خلال دقائق لم تتعدى النصف ساعة احكمت بمشاركه المعاون اليقظ خطه الضبط والاحضار حتى أتانا إذن النيابه ومن ثم انطلقنا .. ومع نهايه اخر ضوء من سحابه النهار كنت اضم بقبضتى على الحسنوات القتله كان لابد وان اعطى لعقلى هدنه راحه واجبه بعد عناء البحث المضنى .. خلال الامد الضئيل لفتره التروى .. قررت ان تكون اولى جولات التحقيق انفراديه كلن على حدا فتناوبت علي الفتيات .. التوتر والاضطراب سيد الموقف فيما عدا فتاه واحده .. (كارمن) التى انسالت الكلمات على لسانها كمزلجه على سطح جليدى ناعم .

لكل شخصيه ثغره .. سقطه ان اكتشفتها.. صار صاحبها كالصلصال بين يدك حينها تستطيع ان تستنطقه كما يحلو لك وثغره شخصيه كارمن تكمن بذكائها احياناً الذكاء المبالغ فيه يقود صاحبه نحو الهلاك خاصه اذا تلوث بالغرور .. اما باقى الفتيات فكن كغيرهن من النساء تنكر .. وتماطل .. تكذب احياناً .. ترتبك .. يزيد توترها وتتشابك الاصابع لتتململ بجلستها فتحُبس عنها الكلمات ما ان ترى شرفها يحترق امامها فى لحظه مُختلسه مُسجله صوت وصوره .. هنا .. يحلو الكلام .

بعد خمس ساعات كامله من الاعتصار اشارت اصابع كلا من :

(وعد / فرح / زيزى) على العقل المدبر .. كارمن ..

كن خمس فتيات الطموح والتطلع إلى الشهره يلتهبهن جميعاً كن عصبه متحده تتحدث بلسان واحد يجمهن طريق ايضاً واحد حتى صار مكرم زيدان جزء من المشهد .. دار برأس كل واحده منهن فقدم الفتات لينال

القطع الدسمه من الكعكعه الشهيه .. ظهرت كلا من وعد وزيزى وفرح بأدوار ثانويه بأحد الافلام التى اخرجها عنتيل الفن .. بينما كارمن والفتاه المتممه لمجموعهن وهى نيلى .. كانت الوحيده التى الزمته بالزواج منها واستأسرت ببطوله منفرده فى اخر افلامه حيث قدم مكرم الفتاتان بحملات اعلانيه ثم بعد ذلك لاشىء سوى الكذب والخداع .. حين ايقن الفتيات خيانه نيلى لهن والتى استطاعت عن جداره ان تصيب عصفورين بحجر واحد حين وقعت عقد عمل لواحده من اكبر شركات الانتاج فكان فيلمها خلفيه مجروحه اولى ثمار هذا العقد ولم تكتفى ولم تهدأ بل ألزمت مكرم بالزواج منها وقد كان .. فأحترقت الفتيات غيظاً واكلتهن الحسره فقررن الانتقام .

اشتعلت الفكره برأس كارمن بدا الامر فى مُستهله خيال علمى .. اقنعت الاخريات بما تستطيع ان تفعل فحصلت على موافقه مبدئيه منهن واقسمن على الا يخرج السر من بينهن .. اقسمن على الا يعيقهن شىء وان يظلن حتى النهايه يد واحده صحيح فقدت احدى اصابعها لكن لايزال باليد الكثير .

حاكت كارمن خطتها حتى بدت لها وللباقين مُحكمه فأستعانت بأخيها طالب كليه الصيدله والذى لم يستطع رفض طلب شقيقته التى احسنت اختيار الطالب فدفعت اليه بفرح الفتاه التى يحبها الاخ بجنون فصنع تركيبه السم الناهيه كما تفضل عليهن بالمصل المضاد لمفعول السم حيث ضغط السم بقنينه ضئيله الحجم بحيث يسهل دسها داخل الهيكل الخارجى (الكفر) للهاتف الذكى كبير الحجم .

اتمت كارمن المغروره جميع اركان الخطه حتى أتى اليوم المشهود .. فتناولن المصل وتأكدت قبلها كارمن من جديه عمل سلاح القتل المبتكر ومن مدى مفعوله .. تجملت كل واحده منهن حتى صرن ملكات من عالم اخر .. حضرن الحفل التكريمى واحسنت كارمن اختيار لحظه الانقضاض على مكرم ونيلى .. احكمن الشراك على مكرم المخادع ونيلى الخائنه واطلقن فلاش الرزاز القاتل .. هكذا اتمت الانثى المغروره تدبيرها متغافله الحقيقه التى تُقر بأن هناك

.. لا توجد جريمه كامله .. لعنه السماء على الشهوه التى .. تقتل الابداع .
على انغام الملل والرتابه عزفت ساعة الحائط العتيقه لحنها المنتظم فدقت السابعه صباحاً فالحقيقه اعتدت الاستيقاظ مبكراً منذ ان دبت قدماى عزله الجنرال العجوز .. القاعده تقول ان من اعتاد شىء لأربعين يوماً فطر عليه وهذا هو حالى بالضبط يهجرنى النوم عند تكبيرات الفجر فترد الي روحى وتدب الحياه بجسدى من جديد .. لم يختلف فجر اليوم الاربعين عن الايام السابقه له سوى الانذار الاخير الذى ارسلته لي خزانه المطبخ فقد قاربت مؤني على النفاذ بات محتوماً علي الخروج إلى اقرب متجر لأبتاع فتات عيشى لكى لا تنتهى بي الحياه راقداً إلى جوار السابقون الاحباب .. لكم اشتقت اليهم ولكن لما التعجل بامر الرحيل؟ فمنذ بادىء الخلق وقد اعلنت الارض انها ستأكل كل ما يدب على سطحها واقسمت السماء بأنه لن يكون هناك خالد .. سوى الخالق وحده .
اسعفتنى مهاره الطهى التى اتقنتها على يد امى واهدتنى لأعداد فطور يكفى لشخصين من بين الفتات المتبقى من نواشف وبقايا طعام مُعلب صنعت به ما يسد الرمق .. اجتهدت حتى توجت النهايه بصحن لا بأس به كثير المرق قليل المضغ .. خروجى إلى الزحام صار حتمى ولا مفر منه .
اتخذت وضعى امام المائده وبدأت بسحب لقيمات اخر ودائعى ببنك الطعام تعمدت احداث ضوضاء مُزعجه اثناء تناولى الشوربه ساعدتنى كثيراً على كسر حده الصمت الكئيب وبين رشفه واخرى حل على كرسيه المعتاد امامى صاحب العزله .. طالعته بشىء يفتقد التصديق لما ابصر .
- نصر بيه .. صباح الخير .
- صباح الخير يا سيدى .
قالها بضيق يشوبه الاشمئزاز واضاف .
- ايه اللى انت بتعمله ده .. فى حد ياكل كدا .. فرقه حسب الله بدق مع كل معلقه ليك من الشُوربه الغريبه دى .. فطار ايه ده ؟!

ارسلت اليه بأسفى ضاحكاً .
- اسف يا نصر بيه .. أنا بس ...
- انت ايه ياعم وبتاع ايه .. دا أنا لو قاعد مع حفيدى مش هيعمل كدا ابداً .
- ألا صحيح يا جنرال .. انت ليه سيبت عيلتك وبعدت عن اولادك واحفادك وفضلت تعيش هنا لوحدك .
نقر بسبابته سطح المائده وانكمشت ملامحه وازدرى لعُابه فى مرار .
- أصلهم مستنينى اموت .
- افندم .. ازاى يعنى !! .. فى حد فى الدنيا يستنى موت ابوه .
- اه في .. ولادى يا عمر .
- طيب ليه ؟
- ليه دى حكايه طويله .. هبقى احكهالك بعدين .. كل اللى اقدر ادعيلك بيه ان ربنا ما يُحكم عليك باللى أنا فيه .
- وهو سعاتك فيك ايه يعنى؟ .. دا حتى حضرتك بسم الله ما شاء الله صحتك احسن كتير من اللى فى سنك .. أنا مش بحسد لاسمح الله .. واهو ماسك الخشب اهو وانا بتكلم .
ابتسم بوجه ذابل .
- دا عشان انت ولد بار .. قولى انت بقى .. اخبارك ايه ؟
عُدت إلى الفطور الصايص كطعام طفل لم يتم سنتي الفطام بعد .. عابثاً بالمرق .
- والله يا جنرال أنا زى ما أنا مش حاسس بأى تغيير نهائى .
أشار براحتيه .
- خالص كدا .
بادلته الايماءه النافيه لأى جديد بحالى .
- ولا الهوا .
- لا لا لا لا .. حرام عليك نفسك يا ابنى انت كداُ عمرك ما هتخف من اللى

انت فيه

اقولك .....

تصاعد بهذه الاثناء نباح ابوالوفا أتى مُتقطعاً حتى سكت عنه العواء وتعالت تسابيح هادئه نابعه من بين اوتار آله الكمان التى تداعبها فتاه الشمعه (ليلى) منذ ان احتلت شاليه البشبيشى الملاصق تماماً لقلعه صاحب العزله .. على الرغم من ان ليلى لم تكسر حاجز الاربعين يوما الا انها اعتادت منذ ان قدمت ان تطلق العنان لكروانها الوترى فتحيينا بعزفها السماوى .. الجنرال يُشجيه عزفها فعلى انغامها يغمض جفنيه ويسافر بصحبه اللحن الخالد إلى بعيد .

- انت خلصت أكلك ؟

- الحمدلله .. ثوانى وتكون قهوتك جاهزه وبوش قد رصيف الشارع

- لا .. لا أنا هبقى احضرها بنفسى .. يللا .. روح انت دلوقتى شوف ابوالوفا بيهوهو

ليه .. اكيد جعان .

- ايوه بس ده سكت خلاص .

- بس قلبك لسا مسكتش .. أنا سامع خبطه واصل لحد عندى هنا .

- يا نصر بيه أنا سبق وقولتلك انى .....

- انك هتخسر كتير لو مردتش عليها .. البنت بقالها كذا يوم بدق باب قلبك وانت بتمثل دور الواد التقيل .. خلاص ياعم عمر..المسرحيه انتهت والستاره نزلت والناس روحت بيوتها ونامت وشخرت كمان .. يللا .. قوم بقى .. لحلح نفسك كدا .. روحلها .. اكيد هى مستنياك .

استجبت لألحاح العجوز صاحب الخبره ولا اعلم بالضبط واقع الدافع الذى قادنى اليها هل حقا تدق باب قلبى بموسيقاها العذبه ام ان العجوز قد مل صحبتى واراد الاختلاء إلى ذاته الحيره تؤرقنى منذ ان جئت إلى الدنيا التى تغير قناعها بكل ثانيه الف مره .

تخطيت عتبه الباب الداخلى للشاليه سرت بخطوات مضطربه حتى اجتزت الحديقه التفت إلى الطابق الثانى حيث كان الجنرال العجوز قابعاً ببرجه العالى الممتد من غرفته لوح لي مشيراً إلى اصبع الخنصر براحته اليسرى لكى لا انسى تفرس يد نزيله شاليه البشبيشى لأعلم ما اذا كانت مرتبطه ام لاء ؟.. هذه هى وصيته التى صبها بمسامعى مائه مره .. تخطيت البوابه الشاطئيه وخطوت بأتجاه عازفه اللحن الرقيق الساهى .. كان إلى جوارها ابوالوفا ربما قرر هو ايضاً الرحيل إلى عالمها الشاجن الاسر البديع .. امتد ظلى فسبقنى اليها اقترب منها حتى احتضن ظلها تسمرت للحظه والتفت إلى قلعه الجنرال فبدا لي شبحه يلوح لي من بعيد ولم يُغير شيئاً من اشارته التذكيريه حتى دفعنى باشاره أمره فدنوت منها .. انتبه ابوالوفا فنهض فى رشاقه وهرع الي مسح ذيله بساقي قادنى إلى سيدته الجديده التى تُناجى السماء بلغتها الراقيه حتى سكتت اوتارها والتفتت فى هدوء وتصدقت بنظره عطوفه لذاك المسكين السقيم وكلبه المتطلع إلى لقاء من رحل عنه بلا عوده .. حانت منها ابتسامه ملأت الدنيا اشراق ..حُمره وجنتيها تستحى من ضيها شمس الصباح .

- صباح الخير .. أسف لو كنت ازعجتك ولا حاجه .

- لا ابدا .. ازاى .. صباح النور يا استاذ عمر .

بعيدا عن لقب الاستاذ الذى لم اعتاده على الاطلاق ولا اميل له نهائى يكفينى حضره الضابط او عمر بيه هكذا يلقبوننى الا ان شفتيها حين تحركت مُبتسمه نقشت غمازتين زادتا الوجه الحسن حُسنا .. داعبنى شذى عطرها حتى اسرتنى فلم يعد بأستطاعتى مجاراه لسانها الكلمات تهرب منى تخشبت اوصالى فأتقنت رسم أمر الانتباه امامها .. طالعنى ابوالوفا بأندهاش ان قدر له التحدث لأسمعنى بلسانه كرابيج قادحه لحالى المتعسر .. ضمت آلتها الوتريه إلى قلبها ومطت شفتاها فى استحياء وتفرست هيئتى التى صارت اقرب إلى صوره صنم .. هجرت رأسى الافكار وضاق حلقى بالكلمات فلم

تخرج .. رفقت بي وخاطبتنى وهى لا تزال مُحافظه على ابسامتها الرقيقه .
- على فكره .. أنا اللى المفروض اتأسفلك .. يعنى اذا كنت ازعجتك بعزفى اصلى...
- لا .. لا ابدا .. بالعكس دا أنا جتلك مخصوص عشان اشكرك .
زوت ما بين حاجبيها ومالت برأسها قليلا وقد اتخذت من الدهشه صوره لها وأشارت إلى ذاتها فى تعجب .
- تشكرنى أنا !!
- طبعا .. عزفك جميل اوى .. حسيت ان السما حبت تصالح الارض فبعتتك ليها عشان تمتعى اهلها وترتقى بمشاعرهم وتطربيهم .
- ياااه .. للدرجادى !!.
- دا اقل وصف اقدر اوصفك بيه .. اقصد اوصف عزفك بيه .
- مكنتش اعرف ان حضرتك شاعر .. او يمكن تكون اديب مشهور وانا معرفش .
- دا عشان الكلمتين اللى لسا قايلهم .. دول كنت لسا قاريهم فى روايه كدا مش فاكر لمين بالظبط .
تعالت ضحكاتها الطفوليه وطرقت براحتها اللامعه من شده بياضها ظهر آلتها العبقريه فى براءه طفله لم تتعدى الخمس من عمرها .
- وكمان دمك خفيف .. لا .. بقى احنا من النهارده لازم نكون اصدقاء .. ممكن ؟
- طبعا .. اوى اوى .
مدت يُمناها لتوثيق البدايه الحقيقه للتعارف .
- ليلى نور .. عازفه كمان ومُصممه ازياء .
- ما أنا عارف .. اه معلش .....
صافحتها مُبادلاً اياها كلمات التعارف .
- وانا اسمى عمر زهران .. ظابط مباحث وحالياً فى اجازه مفتوحه .

- تشرفت بيك .
- الشرف ليا اكيد .. انتى اسكندرانيه ؟
- لاء .. أنا قاهريه .
قالتها بفخر فارس عاد لتوه من الميدان ونصل سيفه يقطر دماء النصر وأردفت وهى تتفرسنى .
- عارفه انت ليه بتسأل السؤال ده .. أنا يا سيدى تقدر تقول كدا سبب وجودى هنا
لوحدى وفى الوقت الغريب ده هو نفس السبب اللى جابك هنا .. زى حالتك كدا بالظبط
- حالتى !!!
- اقصد يعنى ان ظروفنا واحده .
- اه .. طيب .. اسمحيلى استأذن بقى عشان فى حاجات كتير نقصانى ولازم اجبها من السوبر ماركت .. محتاجه حاجه اجبهالك معايا ؟
- بصراحه اه .. وحاجات كتير كمان .. أنا ممكن اجى معاك ولا هتضايق ؟
- ازاى بس .. دا كلام برضو .. اكيد طبعاً .. هضايق
زمت شفتيها وقطب وجها فأردفت مسرعا .
- لو مجتيش معايا .. انشكحت باسمه .
- خلاص دقيقتين بالظبط واكون جاهزه .
وواصلت اثناء هرولتها بأتجاه شاليه البشبيشى التى تقطنه .
- استنانى .. مش هتأخر كتير .. هما دقيقتين مش هتأخر .
غمغمت وهى تبتعد عنى حتى اختفى صوتها وولجت هى البوابه الشاطئيه لمسكنها .
لم اصدق حالى تخشبت بموضعى الملاك الوديع سيصاحبنى برحلتى إلى الزحام البغيض ستهون علي بغضه .. السماء تعاود الابتسام لي من جديد والارض تصافحنى بشوق العائد من الغربه نوارس الشاطىء تحوم من فوقى

فى دوائر تزف إلى الدنيا النبأ استغرقت بأحلامى حتى ايقظنى نباح ابو الوفا .. ودعته ووعدته بُعلبه كامله له وحده من حلوي العجوه التى عشقها .

طيرت إلى غرفتى تدثرت المعطف الجلدى الداكن وربط حول عنقى الكوفيه الصوف ودسست بجيبى قائمه لوازمى المنزليه ثم واصلت التحليق حتى زرعت قدماي امام قصر ملكه الاحساس التى اسرتنى بروحها العفويه المرحه .. لم تطل علي كثيرا فقط استغرقت ساعة الاربع اعلم ان وقت الهندام بالنسبه للنساء يمر كالبرق لكنى اقدامى تورمت من طول المده ..اخيراً أطلت بوجهها الملائكى وقد غطست داخل بالطو شتوى طويل يعلوه فراء ينم عن ذوق رفيع لصاحبته كما غطت رأسها بكسكته انثويه اضفت اليها مسحه من المرح الطفولى خاصه حين تدلت منها ُخصلاتها الحريريه ُمداعبه بشرتها البيضاء الناعمه .. حملت حقيبتها التى زرعت ببطنها مظلتها لابد وان حدسها اخبرها بما تنويه السماء .

صافحتنى بأبتسامه وشت لي بمدى سعادتها شعرت من خطواتها الوثابه برفرفه قلبها بين اضلعها .. التصقت خطواتنا حتى تخطينا عتبه البوابه الخارجيه ووصلنا إلى الجراج فحلت ضيف عزيز على قلبى .. ادرت مُحرك سيارتى واستهلت هى الطريق بأبتسامه فرحه لا اعلم بالضبط سر سعادتها هذه؟ ولكن لما التساؤل طالما ان سعادتها اضحت ما يهمنى بالامر كله .

مرت ساعات الصباح حتى انتصف النهار كنا قد تسوقنا وابتاع كلانا لوازمه بكل صدق لم ارد انهاء الرحله على الاطلاق .. تجولت بشواره مدينه الحياه .. انعطفت اكثر من خمسين مره دون نقطه معينه انتوى قصدها .. مررت بأحد اشهى مطاعم العجمى .. مطعم متخصص فقط بالمأكولات البحريه .. معقول اربعين يوما لي بعروس المتوسط ولم أذق طعم البحر .. اتنسمه يوميا فقط .. امضينا ساعتين بأرقى مكان بالمطعم وبصحبه اشهى الاطباق المميزه التى يشتهر بها المكان .. وكالعاده تبخر الوقت معها كالكحول .. تعمدت ابطاء حركه العجلات الحديث معها يأتى بتثاقل هى تحاول مجاراتى .. لكنى

حين اسمع نبرتها الطفوليه المرحه افضل الصمت لأتنعم بأنغام الملاك .. ثم فجأه قررت ليلى ان اتوقف ارتكنت محاذيا للرصيف ترجلت هى من السياره مُهروله دون ان تنطق بكلمه واحده ذابت بأحد المحلات انتظرت لدقائق قليله حتى خرجت وفى يدها قمع ايس كريم

أمدتنى به أى جنون هذا؟! تعالت ضحكاتها منتشيه دبت الارض بقدميها متوثبه كالاطفال ولم تبخل علينا السماء بمزيد من البروده فأمطرتنا السقيع .. اختفى بنى البشر من حولنا صاروا ندره وسط الاجواء الثلجيه التى ملأت المكان فجأه .. ألحت فى همهمه غير مفهومه وهى تعانى لسعات قضمات الثلج المُحلى بفمها منتفضه بكامل حالها مشيره إلى حاجتها الضروريه لمطيرتها تريد ان تختبأ من مدامع السماء تحت مظلتها .. مررتها اليها ففردتها واستظلت بها اخذت تلهو ضاربه التجمعات الصغيره من الماء بُحفر الارض حاولت اقناعها بالاحتماء داخل السياره فلم تستجب جذبتنى إلى الخارج اخذت تصيح بكلمات ضاعت عن مسامعى وسط الرياح العاصفه التى ملأت الدنيا .. اطلقت عنان روحى وُعدت معها طفل زرعنا الارض جيئه وذهاباً على امتداد الشارع وضعت جنونى على جنونها وانطلقنا لاهين كالصغار بيوم العيد .. ربما أرادت السماء مشاطرتنا اللهو الجنونى هذا فرعدت ضاحكه وبرقت لامعه وأمطرتنا انهار المرح لم نعطى للدنيا ايه بال ولم نُعر الاعين المتطلعه بنا بكل اندهاش ايه اهتمام .. فقط أرادت اللعب فشاركتها العبث .

ودعنا نهار يوم اعدته الميلاد الحقيقى لي شعرت وانا بصحبه الفتاه المنطلقه سيده شاليه البشبيشى بأن عمر زهران قد عاد كما كان .. اليوم فقط جادت لي عزلتى بقلعه الجنرال العجوز ومنحتنى أولى ثمارها .. ليلى .. نصف اخر يختلف عنى تماماً .. ولكن اوليس بالتضاد تعرف الاشياء وتكتمل العلاقات ؟!! .

عدت مُحمل بحقائب لوازمى التى ادين لها بكامل الجميل .. وغزت المفتاح

بثقب الباب ثم أدرته ولجت إلى الظلام المعتاد تحسست السبيل إلى مفتاح الاناره لعل وعسى أجد التيار الغائب .. طرقت بابه فلمْ يُعد لي برد وعلى حين غير متوقع حل بصوته المتسلل وسط خيوط الظلام محادثا اياي .

- مش خايف لتكهرب وانت مبلول كدا ؟

صرت رعده هزتنى كلى فدببت بيمناي قاع جيبى اخرجت الولاعه حككت بأبهامى حجرها الدوار حتى تراقص لهيبها امامى .. خطوت بأتجاه الصوت المبحوح البارد وبالكاد ابصرت شبح الظلام العجوز فأمرنى .

- مستنى ايه .. ما تولع الشمعدان !!

سحبت حوالى نصف كميه الاكسجين واسرتها بنفس عميق زفرته ببطىء حتى هدأ خفقان قلبى الذى كدت ألفظه من فمى حين ارعدنى سيد الظلام بصوته .

- نصر بيه .. دايما بتعملها فيا .

توجهت إلى الشمعدان واشعلت شمعاته التى قاربت على الاختفاء فأتيت بأعواد الشمع الجديده التى اشتريتها وزرعتها بفوهات الشمعدان واشعلت بعضها فأضاءت امتداد ما بيننا وأستكملت حديثى .

- رغم ان صعب حد يهز شعره منى .. كمان أنا قولت استحاله هقع بألاعيبك تانى بس

الحظ بقى .

ملأ المحيط بصخب ضحكاته التى تعالت هازئاً بحالى .

- ههه ههه ههه .. شوف مهما ما هتحاول عمرك ما هتغلب عجوز شعره شاب من

ألاعيب الدنيا .

- فى دى أنا معاك .. بس مش مع عمر زهران يا جنرال وبكره نشوف .. تاكل تفاح ؟

مددت له يدى بثمره تفاح .

- أخضر ؟
- لاء .. امريكانى .
- ملعون ابوها .. مش عايز .
- التفاحه ؟
- لاء .. اللى سممتها بسيرتها .. شكراً .. ُكل انت .. الف هنا وشفا .
- هى بقى فيها هنا ولا شفا بعد الجمله يا جنرال .. يللا مش مهم .
ملأت مقعدى وارحت ظهرى وسرحت بالفراغ .
- بس الدنيا مطلعتش زى ما كنت فاكرها يا جنرال .
- اومال طلعت ايه ؟
أعتدلت بجلستى وانحنيت هامساً له .
- طلع ليها وش تانى .. جميل .
- وهو انت لسا شايفه النهارده بس ؟
- لاء .. أنا النهارده عيشته .. النهارده كان اسعد يوم فى حياتى يا جنرال .
- طيب يا سيدى ربنا يسعد ايامك الجايه ُكلها .. عن اذنك بقى لأحسن أنا ورمت من القعده .. اصلى كنت مستنى اطمن عليك .. وكنت محتاج الولاعه .. انت عارف أنا بطلت المحروق من زمان .
يقصد التدخين الجنرال كان بالسابق مُدخن شرهه .
- اتفضل على مهلك .
تخطى طاوله الشاى الصغيره ثم استدار .
- قولى صحيح أنا مبشوفكش بتدخن .. انت بطلت ؟
- الحمدلله .. من حوالى ست شهور .
- بجد .. لا حيث كدا بقى ناولنى تفاحه اتونس بيها وانا طالع اوضتى .
مددت له كيس التفاح كله والضحكه مرسومه على وجهه .
- اتفضل .. التفاح كله .. الف هنا على قلبك .
- لا .. أنا بقولك طالع اوضتى مش طالع القمر .

اتسعت ضحكتى فملأت ارجاء الظلام تناول العجوز التفاحه بيد مرتعشه حاول اخفاء كهولته المهتزه بترديده احدى اغانى ام كلثوم حتى ابتلعه الظلام واختفى صوته بالتدريج مع درجات السلم الداخلى المؤدي إلى الطابق الثانى حيث غرفه النوم .

داعبت جمر المدفأه بالسيخ المخصص لها وصنعت قدح من المشروب الرسمى لي حلبه بحليب وسافرت وانا اتأرجح على الكرسى الهزاز مجاوراً المدفأه مع احلامى التى كانت بطلتها الفتاه التى اعادتنى إلى ذاتى الضائعه منذ فتره .

دقت التاسعه وقد حان ميعاد اقراص المرار .. كنت قد اتخذت قرار بالاستراحه من حباتها التى ضاق منها حلقى وحوت معدتى منها كميات تكفى لأفتتاح اجزاخانه تابعه لمستشفى حكومى لا ُيقدم سوى اقراص الجير المطفى لأى ما كانت شكواك .

لم ارد تعكير صفوى فاستراح عقلى من الشتات بعد ان تخطت عقارب الساعه وقت المرار تناولت شمعه من شمعات الشمعدان واخذت بمداعبه لهبها شاركتها باناملى رقصتها فتناهى إلى مسامعى لحن عذب حسبته متسلل من قلعه البشبيشى الفتاه ُتناجى السماء على اوتار آلتها امعنت الانصات فتبينت مصدر اللحن الذى يُعزف بداخلى .. عقلى يمدنى بأرقى المقطوعات السيمفونيه يطوف بي أجرام الدنيا يطير بخيالى من جنه إلى اخرى فأهوى مره بحديقه الياسمين ثم استلقى بين ورود القرنفل لأغوص بنهر العسل المُصفى لتعزف نحلاته الحان والحان .. فراشات الجنه تداعبنى بألوانها الزاهيه .

أرانى ارتقى عنان السماء شيء ما انتزع عنى روحى أحلها قيد جسدى صاحبى نورانى الهيئه خفيف كالريح يطرق ابواب السماء طرقاته تهادت لي حانيه ببادىء الأمر ثم اخذت تعلو تتضخم تعظم تهتز لها سماء الدنيا .. كاد يُحطم بضرباته العنيفه باب السماء صرخ بجلل حجبت عنى اذناى

كادت تخرق غشاء السمع الرقيق .. هام بغضب ارتجف له قلبى ألقى بي على قطيفه سحابه لسعتنى برودتها فسحبتنى مُبتعده عن محيط عراك طارق السماء المغضوب عليه الذى ثار مشتعلا حتى اخذت نيران الغضب تلتهمه اخذ يعوي كالذئاب وسط الفراغ يحاول التشبث بأحدى السحابات النار تحرقه يتطاير منه الرماد يذوب بجو السماء التى اهتزت بصلصله صهو الشهب المتقاذفه كالسهام من حولى بأتجاه الثائر المُحترق تقاذفته فوهات السماء بكرات حارقه اخذ يتفادها هائماً على وجهه .. صراخه يرج جنابات الفراغ يحاول الاستنجاد بالعبد الفقير إلى الله يقترب منى بساعده الذى مُط عنه محاولاً الامساك بي ان ادركنى فحتماً سيحرقنى هرعت متوثباً بين السحابات حتى هوت روحى وعادت إلى جسدى .

انتفضت من غفوتى مُحكماً قبضتاى حول قصعه رأسى صُداع بغيض يضرب بأصقاعها دون رحمه جائتنى الرؤيه مشوشه فى ظلام تحاول الشموع تلوينه بروح يائسه حيث يلتهم الضي ولا يشبع شعرت بحراره حارقه بمعدتى امعائى تزوم كالسباع .. حاولت النهوض الا ان لجام مجهول يقيد حركتى .. ثقل لا يطاق قبض على قدامى ولم استسلم حاولت

مره واخرى حتى استطعت الوقوف حاملاً الجسد الذى خيل لي كجبل تثاقلت الخطوات لكن هناك حركه دببت درجات السلم الداخلى قاصداً غرفتى حيث اقراص الدواء القريبه البعيده عنى خطوت بالممر حتى اهتديت بصعوبه شديده إلى مقبض الباب أدرته فصُعقت لما ابصرت .. ازاح الغطاء من عليه بمجرد ان شعر بي وحدقنى بعين داميه ووجه مُشتعل يتطاير الشرار من صفحته رمقنى بغضب قاسى حين اطل علي برأسه المستدير من التابوت !!! .

****

التابوت

" كنز الفقراء والجوعى .. رغيف "

اغسطس – صيف ٢٠١٣

أيقظنى طنين اخترق أذنى فوغز رأسى بذبذبات مُزعجه مُنبعثه من هاتفى الراقد إلى جوارى على الكومدينو يمتص طاقته حتى ملأ معدته وافاض .. بينما أنا أعانى لدغات التعرق الغارق بحوضه فكدت ألفظ اخر انفاسى بتثاقل جم رفعت جفنای شعرت كأن جبال الهيمالايا قد حطت عليها بدت الرؤيه مشوشه اغمضت عينى فى رده فعل لا اراديه حين صفعتنى اشعه الشمس التى ربما قررت تركيز ضوئها وحرارتها لتلهب غرفتى وبتكاسل ان وزع نصفه على بشر الارض لتوقف قلم الزمان عن تسجيل حركه الحضارات لأنه لن يكون هناك نشاط يُذكر .. وبالنصف الأخر مددت ذراعى فتناولت دبور الزن سحقته حين ضغطت زر الرد .

- آلو .. ايوه يا درش .

خرج الصوت مبحوح شق جدار حلق تحجر من شدة الجفاف .

(الكسندر لوكاس) .. اثرى ألمانى صيته يملأ أذان ابناء مهنته .. عضو بالمعهد الألمانى للاثار ببرلين ومسئول بعثه التنقيب الالمانيه الانجليزيه المشتركه والمُصرح لها بالتنقيب بمنطقه سقاره وقد نجح هو وفريقه من تحقيق اكتشاف أثرى جديد بمعاونه عدد من مفتشى الاثار على رأسهم الانجليزى المُساعد الاول له وُيدعى (بيتر هنرى) والاثرى المصرى المُساعد الثانى وُيدعى

(حسن الغندور) وكلاهما متقاربان بالعمر يخطوان بأواخر العشرينيات .
تم الابلاغ بأختفاءه منذ ثلاث ايام تعطل فيها العمل بموقع الحفار .. الدنيا مقلوبه على الخبير الاثرى القنصليه الالمانيه اعلنت الطوارىء تماماً كحال مدير اداره البعثات الاجنبيه الذى صعد الامر إلى رأس الدوله .. الجميع يقف على اعصابه متلهفين إلى خبر العثور عليه .. وُجد جثه هامده داخل احدى توابيت غرفه الدفن ببطن المقبره التى دُون اكتشافها بأسمه منذ ان فضح عنها سرها وكشف عوره ساكنيها من الاموات المحنطه .. ربما هذه هى اولى لعنات سر الاجداد الشهيره بلعنه الفراعنه .
بموقع الحفار الجميع شارد ساهم يتخذ جميع عُمال التنقيب وضعيه القرفصاء هيئه لجلستهم مُسندين رؤوسهم على راحه ايديهم فى عبوث أسف ليس حزنا على الكسندر بل على وقف الحال وضياع فتات العيش بعد ان توقفت كافه الاعمال المتعلقه برزقهم .. يتزعم الحضور الاثرى المصرى حسن الغندور المساعد الثانى لألكسندر وقد غاب عن الحضره بيتر هنرى المساعد الاول للسيد لوكاس .. الحقيقه انه رحل منذ اول امس إلى موطنه رحل دون ان يطمئن على حال سيده ومُعلمه الاول هذه كانت أولى مُلاحظاتى التى دونتها بمفكرتى الذكيه .. كان اول من هرع إلى الموقع الاثرى حديث الاكتشاف دكتور صادق خبير الطب الشرعى المخضرم .. اعلم مدى حبه بل وعشقه للتاريخ .. اعتقد ان لم يسر له الله عمله الحالى لكان مؤرخ عظيم .. لكن ما احوجنا له فقد خسره
التاريخ وكسبناه نحن .. نحن بدايه كل غامض والموكلين بكشف حقيقه اسراره .
أمضيت أنا والمعاون النشيط مصطفى سرور عده ساعات قاربت الاربع .. عقدنا خلالها حوارات سريعه كانت البدايه بالاثرى المصرى حسن الغندور الذى بدا عليه صدق كلماته كما انه ابدى رغبه جاده لمساعدتنا .. لكن شعرت بمراره حلقه كلما مر على لسانه ذكر السيد الكسندر لوكاس ..

شعور لم اتأكد منه بعد .. عاينت مصطفى من بعيد لبعيد وقد غاص بين عُمال التنقيب.. هذا يشده بلهجه صعيديه وذاك يُحدثه بطيبه قلب نوبيه واخر يتجاذب معه الغمغمه وقد شملت جماعتهم شريحه من ابناء هذا البلد ممن يستظلون اسفل خط الفقر والعوز وشده الحاجه فنبذوا بالعراء ينقبون بالتراب راجين حد الكفاف شاكرين الله لرزقه يترممون الفتات الذى انقطع عنهم وعن افواه أسرهم بمجرد انقطاع تيار الحياه عن السيد لوكاس .. الرجل الذى اصابته لعنه الاجداد وأودعته احدى التوابيت وجعلت منه عُمومياء عصره .

حل علينا عُمتأخراً وعلى غير العاده التى اشتهر بها الريس (وهدان) .. ريس الانفار عمال التنقيب.. رجل يتمتع بطله تحمل الكثير من الهيبه يدق الارض بنبوته رغم تمتعه بعافيه يشتهيها شباب هذا الزمان .. وجدته عريض الاكتاف بارز الصدر يخرج من نصفه العلوي ذراعان لا يختلف كثيراً عن بطل العالم بلعبه كمال الاجسام .. كما يحمل جسده ساقان سترهما لباس داخلى ناصع البياض .. كالسون .. وهما اقرب إلى جذوع نخل متين له شارب كث ثقيل تتدلى منه احراش قطفها ربما من رحله قطعها على قدميه إلى الغابات الاستوائيه ليملأ بها فراغ ما بين انفه المنتفخ وفمه الغليظ .

جاور الريس وهدان مجلس الاثرى حسن الغندور تبادلا السلامات التى لا تخلو من ثرثره جانبيه عما يحدث بموقع الحفار .. كنا قد اقتربنا من الظهيره .. الشمس اشتد لهيبها تلفح حرارتها رواد الموقع الاثرى لا تفرق بين اثرى وخبير بين ريس وانفار .. الكل سواء تحت قرص موقدها الحامى .. تناولت زجاتين مياه صغيره الحجم دفعه واحده ورشقت وجهى ومسحت على رأسى بثالثه ومددت يدى بزجاجه رابعه صافحت بها ريس الانفار الذى انهال بشكر حار ولم يقبل بمائى .. فسفح دفعات من الماء البارد المنهال على جوفه من ينبوع فخارى عتيق (القله) او الجُله كما جرى على لسان ريس الانفار الضخم الذى يتحمل لدغات الحر وكأنه ابن من ابنائها الابرار .

تجاذبت معه الحديث على انفراد دارت اسئلتى التى بادلتها مع الرجل الذى يخفى برأسه عقل ذكى داهيه .. حققت مع امثاله كثير لكنه استحق وعن جداره ان يترأسهم .. غرنى بمظهره حسبت انى امام ثور بمجرد ان ألوح له بمنديلى الاحمر سينطحنى بقرونه ويُفضى بما برأسه .. الوحيد الذى لم اخرج منه بشى مفيد جاءت كلماته عامه تخرج منه ببطىء يزين كل جمله بقوله .. أنا لله وانا اليه راجعون .. لا حول ولا قوه الا بالله .. ربنا يرحمه ويرحمنا جميعاً يا حضره .. ربما يعود ذلك لدراسته الازهريه التى لم يكملها بأيه حال .. الرجل يدور بلسان أصقله دهاء عقله صافحته فى نهايه الحديث بأبتسامه علم منها ما تبينته مما اخفاه برأسه من لمعه عينه فمسح شاربه المُسدل بكثافه على فمه وأعاد ترديد ذات جملته الدينيه التى ربما لم يقر بحق او بصدق سواها .

غادرت ريس الانفار العجوز الماكر صاحب الجسد الصخرى .. قصدت بخطوات مترنحه وربما مُتردده بعض الشىء نحو الكشف الحديث الذى اودى بحياه الالمانى نباش القبور ذائع الصيت الكسندر لوكاس .. فأنا على ايه حال لا اريد موتته الشنيعه التى لاقاها على يد من ؟!! .. هذا ما كنت اشتاق لسماعه من خلال المعاينه المبدئيه لخبير الطب الشرعى المخضرم .. دكتور صادق .

بمساعده ليس بهينه على الاطلاق تدلت بيا القفه الموصوله بسلبه متينه خشنه على عجله دواره كبيره الحجم كانت هذه هى وسيله النزول إلى قاع القبر الاثرى شىء اشبه مايكون ببئر ودلو السقايا الخاص به كان بمصاحبتى الاثرى المصرى حسن الغندور لولاه ما كنت طرقت عتبات قبو الاجداد المرصود بلعنات الزمان كحيات تتلفع بها غجريه نبتها شيطانى وأصلها مجهول .. انحنيت وسحفت على اربع كنت اتتبع الغندور انتهى بنا الممر الضيق المخنوق الخنيق الخانق قولها بجميع ضيغ المبالغه فمعايشه الشىء ابعد ما يكون من التحدث عنه .. ولجت وحدى إلى غرفه الدفن كان بها

تابوتين ضخام مما يدل على المكانه التى كان يتمتع بها اصحاب المقام الفرعونى .. بأحد الاركان حط دكتور صادق كان يتفحص عدد من البرديات التى لاتزال تتمتع بحاله مقبوله عاينت الجثه المدفونه بالتابوت الخشبى المُزين برسومات من المؤكد انها كانت تحمل آيات حارسه للمتوفى .. هذا ما اخبرنى به دكتور صادق فأتت الكلمات لتخرج من فمه دون ان يلتفت بطرف عينه بأتجاهى . فقط كان يتمتم بما يدور بعقله المنبهر من روعه يعاينها هو وحده بالمكان .

افضيت بسؤالى للخبير الهائم بين امواج التاريخ الذى عشقه بشده .

- هل صحيح اللى الناس بتقوله يا دكتور ؟؟

- اللى هو ؟!

- موت الكسندر لوكاس بالشكل ده سببه اللعنه ؟!

ضحك بوقار لرهبه المكان وضغط على نظارته الطبيه ثم نهض وربت على كتفه .

- مفيش غير ملعون واحد بس فى الدنيا والاخره .. عارف هو مين ؟

- مين ؟

- ابليس .

وأضاف وهو يمط شفتيه متوجها ببصره نحو الراقد ببطن النعش الخشبى المزركش الذى تفوح منه رائحه الرُميه التى بدأت تنهش بجثته .. حادثنى فى نبره ملأها الحقد .

- يا سلام .. يا بختك يا خواجه .. مُت بحضن الحضاره اللى علمت البشر معنى الانسانيه .. عملت قيمه لمخلوق اسمه الانسان .

ثم عاد ببصره ودب بشومه ارض المقبره الرطبه بعض الشىء وقال لي والفخر يملأ عينيه .

- هنا يا عمر .. يُكتب التاريخ .

تركنى اتأمل كلماته التى حملت الكثير والكثير من القصد النبيل ثم انحنى

تبجيلا وتوقيرا لصنيع الاجداد ممن شيدوا حضاره نعش نحن على صداها إلى اليوم وستبقى ان شاء الله مصونه إلى ان يأتى جيل يحمل بجيناته الوراثيه الصفه المُخلصه ذات المسحه النقيه المنبثقه من دم سلاله بشريه هى بالفعل أتيه من انقى نسل بنى آدم .

دونت بعض ملاحظاتى بينما أتفحص جثه لوكاس .. كان وصف بسيط لحاله المقبره حيث اثار عراك عنيف ونبش عشوائى لمحتويات المقبره .. أطل علي برأسه الغندور فلحقت به حتى صعدت بصحبته إلى جو الارض حانت منى شهقه الحياه التى اعتقدت انى لن اتنسمها ثانيه .. كان لا يزال المعاون النشيط غاطس بين عمال الانفار .. مسحت بعينى المكان فألتفت إلى مظله استراحه موقع الحفار حيث كان سيتظل بها عميد مباحث الاثار (مجدى ابوالنجا) فبمجرد ان لاح طيفى امامه رفع يمناه مرحبا ومهللا .. اصطحبت دكتور صادق وتوجهنا إلى العميد ابوالنجا الذى جمعتنى به معرفه مُسبقه بحكم طبيعه عملنا .. بالطريق إلى عميد مباحث الاثار صديق الامس لاحظت انكماش ملامح دكتور صادق ربما كانت بفعل لدغات الحر الخانق والهواء المكتوم المتصاعد كأبخره بركان قارب اعلان ثورته .

جمعت ثلاثتنا أنا ودكتور صادق والعميد مجدى ابوالنجا جلسه على صفيح ساخن فتائل الالغام كانت تنتظر الشراره الاولى التى اوقدها ابوالنجا صديق العمل .

- العميد : أكيد اللى قتل الخبير الالمانى .. حراميه الاثار .. مفيش غيرهم .

- عمر : جايز بس متستبعدش احتمال مشاركه المساعد الانجليزى بيتر هنرى واللى هرب امبارح .

قطع الحديث بنبره حاده .

- د.صادق : سياده العميد كلامه مظبوط وانا عن نفسى اميل ليه .

- عمر : طيب تفسر بإيه يا دكتور تواجد الخبير الالمانى ساعة السرقه ؟ مط شفتيه فى حيره .

- د.صادق : معرفش .. بس اعتقد ان القاتل مش هيخرج ما بين الناس اللى تراب الحفر ردم ملامحهم والفقر مغص عليهم عيشتهم .. قرصه الجوع ياعمر بيه صعبه على معده البنى ادم .

- العميد : معاك حق يا دكتور .. الجوع والفقر هما السبب الرئيسى فى استباحه وبيع هويتنا كدا على الملأ فى مزادات اوروبا .. الاول كنا كل فين وفين على ما نسمع ان فى مجنون فى الصعيد حفر تحت بيته عشان دجال خايب قاله ان تحتيه مقبره فرعونيه .. مغاره على بابا .. اللى لو قدر يوصلها طاقه القدر هتتفتحله .. دلوقتى خاصه بعد الثوره واللى طال الداخليه بقى تقريبا مفيش كام يوم يعدى علينا الا وفى بلاغ او اتنين عن الدوامه دى .. بيت انهار على دماغ صُحابه وهما بيحفروا .. جماعه اختلفوا فخلصوا على بعض والسر اتكشف ..وهلم جره .

- د.صادق : طول ما القرى والمناطق الفقيره مهمله طول ما الجهل والخرافات ونبش تاريخ البلد دى مش هينتهى .. بل بالعكس هيزيد اكتر واكتر .

- العميد : والله يا دكتور العمليه وسعت وبهوئت على الاخر مبقاش فيه فرق بين الصعيد أو الجيزه او سينا او حتى مطروح .. الكل دلوقتى بيحفر ورا المجهول ..فعلا الفقر وقرصه الجوع تخلى البنى ادم يبيع بلده وأصله قصاد رغيف .

طوال الحديث الذى لم يخلو من مسحه سياسيه واضحه والذى أمتد لمده ساعتين كنت أشارك المتباريان بساحه حال الوطن المُستباح تاريخه دون أى اعتراض ربما بسؤال او استفسار .. لا اكثر .. لكن الجميع خرج رابح من الميدان .. المعركه الوحيده التى لن يخسر فيها طرف هى المعركه الدائره بميدان العلم والمعرفه وربما هذا هو سبب اعتزازى بالصداقه التى تجمعنى بدكتور صادق .

كان يُطالعنا بنظرات متقطعه من بعيد لبعيد ريس الانفار .. الريس وهدان.. اعلم ان ورائه سر وحتماً سأكتشفه .

وصلت مكتبى ثم لحق بي المعاون النشيط مصطفى سرور مُترب داكن البشره رث الطله الارهاق يحوطه رغم كل هذا لم يُعلن استسلامه بعد .. يقاوم حتى وان غابت عنه لياقته فقط يدفعه للمواصله صدق همته .. اعتقدت فى بادىء الامر انه لم يتوصل لشىء الا انه كعادته تعلم فن التنقيب بسرعه لا تصدق ومن اهله ثم سبقهم هو بمعول يستند إلى عقل مُرتب وعين ثاقبه وذكاء مُتقد ٢٤ ساعة .. حيث بعثر بدوره امامى تاريخ السير الكسندر لوكاس الاسود .. الكسندر لوكاس العالم الاثرى المعروف صاحب خلفيه تاريخيه لا تقل قذاره عن جده هتلر رجل لا يعرف فى الحياه سوى المال .. المال سيده ومُحركه فمن واقع الكلمات الاولى لمصطفى تبينت السبب وراء الاحتمال الذى القاه امامى فى البدايه وهو ان نهايه السيد لوكاس جاءت على يد احد افراد الجماعات المشهور عنها بأعمالها القذره التى تستهدف من ورائها سرقه تاريخ الشعوب بل وتزويره فى بعض الاحيان .

تولى السيد لوكاس رئاسه ثلاث بعثات حقق من ورائها كافه المُهمات التى وُكل بها حتى استحق الثراء الفاحش الذى ناله من وراء اعماله الحقيره .. فقد دمر قاعده تمثال امنحتب الثالث حين اكتشافه بالاقصر ثم تعدى بالتخريب على بعض الحفائر المصريه حين استخدم شنيور فى احد المرات اثناء مهمته الوقحه وكان السبب الحقيقى وراء ما اشيع بالعام ٢٠٠٨ من وجود نقوش على باب اكتشف بالهرم الاكبر نقشت من حروف البروتوسينتك التى يطلق عليها اليهود أصل الحروف اليهوديه فيما عرف وقتها بثقب الهرم الاكبر .. كما انه يُدعم ما يُروجه الصهاينه من ان سيناء اسرائيليه وان حدود بلدنا مصر تقف عن بحيرتى المنزله والتمساح .. بأختصار السيد لوكاس الالمانى المتدين باليهوديه يؤمن ويدعم المزاعم الصهيونيه بدافع ما يسوقونه إلى حساباته المتعدده ببنوك العالم من اموال عفنه كأفكارهم التى أكلتها الرُميه حتى فاحت عنها قذارتها .

بصباح اليوم التالى من التحقيق عاد المساعد الاول للسيد لوكاس الاثرى

الوقح مزور الحقائق وماحى تاريخ الشعوب فبمجرد ان وصل بيتر هنرى حتى باغته مصطفى بحلقه تحقيق مُحكمه فأخبره ان سبب سفره كان لظروف قهريه حيث خضعت زوجته لعمليه جراحيه خطره وكان لابد وان يقف إلى جانبها حتى يطمئن عليها .. ثم عاد بعدها ليطمئن
على سيده الذى رحل مصحوبا بلعنات الاجداد وهو خير من يستحقها فلينعم بالجحيم .
رغم تلمس مصطفى الصدق بكلام بيتر هنرى وبما قدمه له من وثائق تثبت صدقه الا اننى لم استبعده من دائره الشك التى اخذت تتسع كلما كثفنا جهود البحث .
جاء تقرير دكتور صادق ليثبت حقيقتين غايه فى الاهميه وهما :
((إن السيد الكسندر لوكاس خاض نزاع عنيف مع قاتله الذى تغلب عليه بعد صراع انهك الطرفين وربما هناك اخر اقتحم الحلبه وصرع السيد لوكاس فحطم على رأسه من جهه الخلف احد الاوانى الفخاريه التى تنتمى إلى المقبره فأرداه قتيلا .. الامر الاخر هو ان السيد لوكاس لم يمت بفعل اللطمه القويه التى جاءته على حين غفله ربما فقد وعيه إثرها ليس اكثر فسبب الوفاه هو ما عاناه من ضيق فى التنفس بوحشه الظلمه التى لاقاها داخل التابوت حيث واراه القاتل بداخل التابوت واحكم توصيده فلم يستطع لوكاس الخروج بعد ان استرد وعيه لاشك انه صرخ .. نازع .. صارع ُظلمه التابوت .. نقب عن مخرج فلم يجد .. فوحشه القبو وُظلمته جعلته يشهق.. شهقته الاخيره)) .
هذا هو تفسير دكتور صادق لعلامات التشنج والتيبس التى بدت واضحه على الجثه اثناء معاينتى لها .. ظننت ان للعنه يد لكن خبير الطب الشرعى المخضرم برأ ساحتها تماما ثم اضاف دكتور صادق فى اشاره منه إلى الجانى .
انه بفحص اظافر المجنى عليه وجد فتائل منزوعه من ثوب اقرب ما يكون للخامه التى يُصنع منها الجلباب الصعيدى .. أراد ان ُيؤكد لي تخمينه بأن

القاتل يتخفى وسط عمال التنقيب كما ان وقع اثار الاقدام بأرضيه المقبره الرطبه تشير إلى رسم واحد وهو البُولغه

(الحذاء الصعيدى) ملاحظه دكتور صادق لم تروح عن بالى لحظه .. نحن لا نزال قيد البحث وكافه الاحتمالات وارده خاصه وان عمليه نهب مقتنيات المقبره لا تدل على شىء سوى ان السارق غشيم يُحركه عقل اعور وعين لا يملأها سوى التراب ولا يدرك حتى قيمه ما حوته المقبره او قدر ما استطاع سرقته منها .. احتمال دكتور صادق دمغه تقرير المعمل الجنائى فجاء ليقر بأن البصمات التى وجدت بالمقبره تخص ثلاث اشخاص من

بينهم بصمه السيد لوكاس .. حتى أتى لي مصطفى وحطم الامل الذى اعترانى بمعول حاد ثقيل الوقع عنيف الضربات .. فخبير البصمات الذى دعم بتقريره ظن دكتور صادق عاد بالقول المغاير تماما لما أتى به .. حيث اظهر المسح الذى اجراه على عمال التنقيب عدم تطابق البصمتان الغريبتان على اياً من بصمات عمال الانفار .. نهائى .

مرت ساعات عصف الذهن بمرار لاذع الدائره ضاقت حتى استحكمت واستحاله لُعقده شد طرفيها فسُحق الفراغ بقلبها صارت ُمجرد ُعقده على امتداد خيط .. الخيط الذى حسبته سيقودنى إلى النهايه .. فأبى ورفض ارشادى فعاد الظلام ليملأ جنبات القضيه من جديد .. القضيه التى صارت قضيه رأى عام تتناقلها الدوريات العالميه بشىء من التهوين والتقليل لهيبه الدوله التى ُتنتهك فيها اعراض الضيوف وُيستباح دمائهم دون رده فعل ُتذكر .. لم يهدأ هاتف المكتب عن العويل .. ُصراخ مدير البعثات الاثريه الاجنبيه فضلا عن لطم ونحيب القنصل الالمانى اللذان يجوبا المحطات الفضائيه ولم يعتقا اياً منها سواء كانت محليه او عالميه .

فأقارب السيد الكسندر لوكاس قد ملئوا مبنى السفاره ببلدهم الكل يريد القاتل متغافلون جميعا حقيقه واحده هى ان القاتل لم يرد اياً منهم .

بت ليلتى الكئيبه بجسد هامد على كرسى المكتب حتى تضلعت مؤخرتى

واتخذت من شكل مقعده الكرسى بروازاً لها صارت مُربعه متخشبه اصابها التنميل شُلت اوصالى تدغدغ ظهرى كنت قد اقسمت على الا اكررها لكن ربما منها لله عادت بعادتها القديمه رقصت بمخيلتى حتى اختمر عقلى وغفلت اجفانى ومع أول خيوط النهار الحامى عُدت إلى الوعى تنبهت لهيئتى التى ذابت بين امواج العرق والملح الناهش بجسدى يلتهم اجوافى بين لحظه واخرى يلدغنى بلدغاته المؤلمه حتى الطقس تآمر علي .. ربما القاتل فيه شىء لله لكنى على يقين تام من ان الله لن يدعه ينعم بما نهبه .

توجهت إلى الحمام الملحق بالمكتب ودفست السداده بُسره الحوض حتى ملأه الفيضان المنهمر ثم غطست برأسى كاتما انفاسى .. مرت الثوانى لم اتحمل ثانيه اخرى رفعت رأسى شهقت بفم منفرج عن اخره رعشه بروده المياه جاءتنى حانيه كررت تمرين الغوص المُصغر لثلاث مرات بعد المره العاشره حتى تسربت حراره رأسى إلى مياه الحوض فظننتها تغلى وقد تبخر منها ثُلث حجمها .. تناولت بعضا من المياه ومسحت بها ذراعي ثم نفضت البلل وعدت إلى مرقدى امام التقارير والاوراق التى نقش عليها بعض الهُراء إلى ان طرق الباب بدقات مضطربه أرسلت صوق سامحا للطارق بالدخول فطل علي اخر من توقعت زيارته .

- سلام عليكوا ياعمر بيه .

أطلق السلام كدانه مدفع صدأت مسورته فخرج الصوت مكتوم متحشرج مدفوع من حلق ملتهب وربما محتقن .. انتبهت إلى صاحب الصوت الأجش طالعته بشىء من التفرس

الممزوج ببعض الريب لم أصدق عيناى .. الريس وهدان .

- وعليكم السلام يا ريس وهدان .. اتفضل .. اتفضل .

- يزيد فضلك يا بيه .

- قولى تشرب ايه ؟

- ولا حاجه .. تشكر .

- لا لا لا .. ازاى .. احنا عندنا هنا البوفيه في كل اللى يخطر على بالك ساقع سخن

ولا انت لسا مفطرتش ؟

- لا .. فطران والحمدلله .. أنا مش عايز اتعب سعاتك .

- لا تعبك راحه يا راجل يا طيب .. ها تشرب ايه ؟

- شاي مغلي .

- تمام .

رفعت السماعه وأمليت مشروب الضيف العزيز المالك لسر قرأته بأم عينيه من اول لحظه فأتانا عامل البوفيه فى أقل من دقيقتين تناول الريس وهدان رشفات مشروبه الساخن بينما أرخت أنا حالى على مقعدى اسندت ظهرى إلى الخلف ونعمت بُشوب عصير ليمون مُثلج .

- شوف يا بيه .. أنا مش هطول على سعاتك .. أنا عارف ان الجضيه وصلت لحيطه سد .. اتجفلت بالضبه والمفتاح .. مظبوط ؟

- امممم .

زممت شفتاى وهززت رأسى فى ايماءه ايجابيه متممه على ما توصل اليه الريس وهدان الذى أردف .

- تمام .. مستر لوكاس كان عزيز عليا .

- عزيز عليك ولا كان فى مابينكم شغل ؟

- من ده على دا .. احنا ولاد أصول ونصون العشره وحق العيش والملح .

- مع مين ؟! .. الكسندر لوكاس اللى بيزيف التاريخ وبيدمر اساس الشعوب وبيستغل فقر وجهل الناس عشان يبيع ويشترى بتاريخهم على كيفه .

- أنا مليش صالح باللى كان بيعمله .. ربنا يحاسبه .. أنا جاى بس لأجل ما اساعد سعاتك .. لا اكتر ولا اجل .

- تساعدنى ازاى ؟

- أنا يا بيه بنزل انفار بيشتغلوا فى التنجيب من غير ما يتأيدوا بدفتر التسجيل

المخصوص لمنطقه الحفار .
- وياترى ايه اللى صحى ضميرك فجأه كدا؟ .. واضح ان السيد لوكاس كان عزيز عليك أوى .
- الساكت عن الحج شيطان اخرس يا عمر بيه .
- الله اكبر .. واللى انت بتعمله ده حق برضو ؟
- يا بيه اكوام التراب يحج يشتغل فيها على الاجل ٢٠٠ نفر .. الحكومه يوم ما تتمعظم
تسمحلى بخمسين يتأيدوا بدفاترها .. الباجى بجى نجيبوه كيف ؟
- كيف ؟
- بنزلهم على ضمانتى يسترزجوا ويخلصولنا الشغلانه .
- وانت كمان تسترزق مش كدا ؟ .. أنا مش بعاتبك ولا بلومك العيب أصله مش عليك ياريس وهدان العيب على اصحاب العيب .. على العموم تشكر على مساعدتك وياريت تقولى بقى اسامى الانفار اللى بيسترزقوا على حسك .. يا راجل يا طيب .
بكل صدق جاء ريس الانفار وهدان وأمدنى بقبله الحياه كنت قد قاربت على الاستسلام لم اعرف حقيقه دوافعه وراء فضح سره بهذه الطريقه لم أرد التفتيش بنواياه ولم يثرنى واقع من يعمل وهدان لصالحهم منذ بدايه القضيه وانا اشعر انى علقت وسط عش الدبابير لا شك ان حملت على الريس وهدان لظل صامتا ولم يكشف عن سره الذى انقذ الموقف حيث أعدنا المسح من جديد لمطابقه البصمات المجهوله ببصمات قائمه الانفار التى رفع عنها وهدان الستار وبالفعل جاءت احدى النتائج ايجابيه..الاخوان (خضر وطلبه هوارى) هما السارقان والقتله .. اصحاب الدم .
فقد ألتحق خضر بركب عمال الانفار بموقع الحفار منذ البدايه عمل بكامل همته حتى داعبه حلم الثراء المحلوب من قبر فرعونى لكنه لا يعرف كيف السبيل حتى استطاع الخبير الالمانى بجهد وعرق الغلابه اللى بيرملهم ملاليم

بحسب تعبير خضر المزارع الذى باع ارضه وأضاع نصيبه على كيفه فعاد يتكفف الناس إلى أن اهداه احدهم إلى الريس وهدان الذى ألحقه بالعمل دون سابق فحص او كشف عن هويته .. فُتحت طاقه القدر امامه الكنز اسفل قدميه كل ما عليه هو ان يُشمر عن ساعديه ويحشر طرف جلبابه بفمه ويغترف من نهر الثراء ما يكفيه .. اقنع خضر اخيه الذى يصغره بثلاث سنوات بمدى سهوله العمليه فترقب اللحظه المناسبه ليضرب ضربته وبالفعل أتته الفرصه على طبق من ذهب ولم يتأخر عليها .. نفذوا إلى بطن المقبره ونهشوا احشائها فباغتهم الالمانى سيد الكشف الاثرى صارعه خضر بأستماته لم تقل عن ما أبداه لوكاس من دفاع عن كشفه إلى ان أتى الصغير وأنهال على رأس لوكاس بصحن فخارى ينتمى إلى القبو فهوى فاقدا للوعى .. اهتدى الاخوان إلى أكرام الميت فأودعوه بأحدى التوابيت وأحكما غلقه ثم هربا كما هربت روحه إلى العالم الاخر بعدما عان لوكاس مراره الاختناق .

هو الفقر الذى قاد صاحبه إلى السرقه ليُسد عنه عواء معدته ورأسه فأغرقهم ببركه الدم وبقاعها لقى هلاكه وُكتبت نهايته .

****

استيقظ من نوبه نعاس ثقيل أماتته عن الحياه لمده يومان ثم أعادت قذفه إلى الوعى حرك اجفانه ببطىء صوره مشوشه لونت بالصفره القابضه ارتسمت امامه فأدرك من خلالها معالم غرفته رفع الرأس الثقيل ودار به ماسحاً ما حوله لم يجد سوى الفراغ حتى تصاعد صرير مفاصل السرير حين تحرك فصرخ الصندوق الخشبى من أسفله فى تألم .. عمره المديد أصابه بشيخوخه صلبت مرونته وخشنت بعدها مفاصله نهض فجلس على طرف السرير نصف جلسه تثائب بفعل نثار الكسل الذى يتلاعب امامه وسط خيوط النهار التى ضربت أرضيه الغرفه فى أنابيب ضوئيه اسطوانيه نفذت من خلال ثقوب ستاره النافذه المصروع دلفتيها .. تأمل الصوره الباهته وهو يتحسس بأطراف قدميه الارض حتى اهتدى إلى الشبشب الزحاف ركبه

وانتصب مُتمطعاً حاول نفض بقايا الكسل من عليه فرك براحتيه وجهه غاصت أصابعه وسط الاحراش التى نمت على جانبى صفحه وجهه فقد طالت لحيته ولأول مره إلى درجه لم يألفها لكنها لم تأذيه فى شىء وهذا ما جعله يعاملها بمبدأ لا ضرر ولا ضرار .. التقط منشفته القطنيه ورحل فى زياره حتميه إلى المكان الذى غاب عنه كثيراً فبات يدرك لماذا لقبوه ببيت الراحه .. فما احوجه اليه ألان .

انتهى من حمامه الساخن فسلخ من عليه فراء البيات الشتوى الذى ألتحفه اثناء فتره اعتزاله الحياه ل ٤٨ ساعة قضاها بصحبه عدد لا بأس به من الحبوب المنومه التى كانت بمثابه تأشيره انتقاله لعالم لا يسكنه سوى السكون .. عالم مجاور تماماً للعالم البرزخى الذى سيرحل اليه الخلق جميعهم يوما ما .

وقف امام الدولاب فقابله بنصف عارى ونصف اخر يستره بمنشفته القطنيه الناعمه .. أعد طقماً تلمس فيه التناسق فقفز إلى بنطال جينز أزرق ثلجى وعانق بصدر رحب قميص ناصع البياض اعلاه بوكلت داكن ولم ينس الجاكت الجلدى الاسود ثم اكتفى بثقته التى منحها للطقم فلم يُعاين هندامه وقبل ان يغلق الدولاب تنبه ان ثمه شىء قابع بالداخل دس راحته أسفل الملابس بالرف العلوى وتحسس الطريق حتى اهتدت يداه إلى شريط كبسولات المرار اخرج منه كبسوله نظر اليها وهى بوسط راحه يُمناه فتجرعها دون تفكير ربما أراد ان يُخفف من وطأه مرارتها بحلقه فأرتشف القليل المتبقى من قدح مشروبه الرسمى حلبه بحليب حتى ارداه فارغاً .

داس بقدميه الحذاء بعد ان اخفهما بجورب صوفى طري وخطى مغادراً الغرفه .. مر بطريقه على غرفه صاحب العزله وقف امام بابها فدنى منه بأذنيه مسترقاً للسمع لما يحدث بداخلها طرق الباب بدقات متوتره بعض الشىء ثم انتظر ان يأتيه رد فأمتنع سيد الجهه الاخرى عن الجواب أعاد دقاته التى زادت قوتها هذه المره فلم يعد اليه سوى صدى الصمت فنزل على رغبه الجنرال الصامت فتركه .. وعد درجات السلم الداخلى كعادته

مضيفاً اليها خطواته تجاه الباب فأدار مقبضه برغبه المغادره فأستقبل شيء عالق بقبضته الخارجيه شيء مألوف له تماماً .. حل قيده وقربه إلى أنفه تنسم عبيره فأبتسم

شق بطنه واخرج الورقه المطويه فردها وقرأ ما جاء فيها .

((صديقى الباحث التائه .. ارجوك اكمل ما بدأت .. اعلم ان احياناً تجبرنا ظروف الحياه القاسيه للأرتكان إلى عُزله مطلوبه .. واجبه لكن ليس علينا مُطلقاً البقاء فيها إلى الابد .. فأنعم بما أتاك .. يدوم عليك الله نعمته))

بكل امنيات العالم أرجو لك طيب الحال

صاحب الحكمه

لم يُصب صاحب الحكمه هذه المره تفسير سلوكى .. لأول مره يعتريه الخطأ هو بالنهايه انسان وليس معصوماً كحال اصحاب الرسالات السماويه .

ضحك فى مكر وهو يتنسم رائحه صاحب الحكمه المنطبعه على المظروف انعشه شذى عطره والذى قد وشى اليه بهويه المُرسل الذى بات معلوماً اليه جيداً .

أغلق بوابه قلعه الجنرال وما ان لمحه ابوالوفا حتى هرع اليه وعانقه فى شوق تمسح بأرجله وصافحه بلسانه فقرأ طلبه بعينيه تأسف له فقد نفذ البسكوت المحشو بالعجوه الذى ادمنه ابوالوفا فلم يقتنع .. تتبعه حتى وصل إلى سيارته بادله النظرات فتدلى لسانه من فمه وراح يلهث فى الحاح فتح له عمر الباب المؤدى للمقعد المجاور لمقعد القياده فقفز اليه وملأ مقعده فأدار عمر المحرك وانطلق بطريقه .

جاب عمر شوارع المدينه التى لاتزال نائمه الخضاب الذى خلفته ليله امس المطيره لايزال طازجاً تغوص عجلات السياره بين الحين والاخر بحفره قد ملأتها السماء ولونتها الارض وعلى امتداد صفحه الطريق تهادت على استحياء انسجه الشمس لتشيع الدفء قدرما استطاعت .. حركه الناس بطيئه متأنيه .. عجوز يستند إلى عكازه فيدب الارض بثلاث وهناك اربعينى تعافى

عليه الزمن الا انه لايزال صامداً يُخفى بين اصابعه سيجاره يمتص دفئها المدسوس وسط سُّمها .. مر على طابور من السيدات المنتظره امام كشك يبيع الخبز البلدى المُدعم حكاوى وثرثره لا تنتهى وجوه ناعسه ووشوش ضاحكه سلامات تُرسل هنا وهناك .

- صباح الخير يا حاج .

- صباحو ابيض يا حبيبى .. اتفضاال .

- شكرا يابا .

أهالى مدينه الحياه لايزالوا ينعمون بقبص من الزمن الماضى الجميل المفتقد.. ليته يعود يوماً .

وسط اجواء شتويه ادفئتها الناس بحراره الالفه والمحبه تحت سماء تداعب الماره بقطرات رقيقه وهواء بارد مُنعش وعلى انغام حزمه من الاغانى المنبعثه من الراديو المدسوس بقلب التابلوه امامى .. حيث أدرت المؤشر واستقريت اخيرا بعد عناء العبث على محطه انهالت منها على مسامعى اغانى جاءت الواحده تلو الاخرى لتزف لي بكلمات رسمت

على اللوح الزجاجى امامى ملامحها .. ملامح الفتاه التى لا تفارق خيالى مهما غابت او بعدت فقد حجزت مقعدها بداخلى ولن تبرحه .

كلما مررت على كشك او محل بقاله هاج الراقد إلى جوارى فتلمع عينيه بحلوته التى صار عبداً لها يزوم ويتنطط ينبح فى هدوء يقترب من أذنى يلهث فى وشوشه الا ان حاله من الشرود العاطفى قد تملكتنى الجو العام يُحادثنى بأمرها صورتها تلوح امامى اينما وجهت بصرى إلى ان انتبهت فى نهايه المطاف لدقات ابوالوفا على كتفى افاقنى من حاله الذهاب برحله اللاعوده حاول ان يخبرنى بما يريد بما نسيته .. بعد دقائق قليله تذكرت حلوته المفضله اعطيته اشاره أدركها فهدأ لكن نار الافتقاد قد ثارت بداخلى حين وقعت عيناى على صوره تدلت من المرآه امامى كانت لحظه جمعتنى بزوجتى هاله ونور ويوسف ولداى كنا برحله صيفيه والصغير يشاكسنى كعادته

فتشت حالى وقلبت مخابئ السياره بحثاً عن هاتفى فتذكرت انى قد اودعته بسجن منزلى ركنت إلى يمين الطريق وترجلت قاصداً سوبر ماركت سمح لي صاحبه استعمال الهاتف ضربت الرقم الذى حفرته بجدار رأسى تليفون منزل حماتى التى لجأت اليها هاله وسكنت منزلها بصحبه الاولاد حان إلى مسامعى الصوت البغيض .. هذا الهاتف غير موجود بالخدمه تيييييت .

أعدت السماعه إلى مرقدها ثم اشتريت البسكوت المحشو بالعجوه الشيء المفضل لدي ابوالوفا قدمت له حلوته فألتهمها فى سعاده .. ابصرت على بُعد امتار محل يقع على مرمى البصر فحدثت خاطرى .. ها أنا ذا قد وجدت بُغيتى .

سحبت ابوالوفا واحكمت غلق ابواب السياره وقصدت محل نت كافيه (سايبر) انفردت بأحد الاجهزه لم يكن بالمحل سواى بالاضافه إلى صاحبه الذى اخذ يُنظف المكان وُيلمع الشاشات بينما ولجت أنا إلى الشبكه العنكبوتيه .. سألت جوجل العجوز عن عنوان احدى مواقع التواصل الاجتماعى فدلنى بذاكره حديديه .. فوصلت إلى صفحتى الشخصيه بالفيس بوك .. لم يُلفت نظرى كم الرسائل التى أضاءت بالاحمر القانى وقد تجاوزت ال ١٥٠ رساله تحسست ازرار لوحه المفاتيح ونقشت عنوان حسابها الشخصى كما اخبرتنى به مسبقاً (ليلى شهاب) برزت امامى قائمه توسطها حسابها الشخصى قفزت عليه برأس الماوس فلمعت الشاشه بصوره البروفايل أخبرنى الحساب بعض المعلومات التى تخصها لم تكن سريه ولكن متاحه للجميع تصفحت نشاطها وجدت ان ولعها بالموسيقى والرسم وأخر صيحات الموضه وكل جديد بعالم التصميمات فى مجالها كان اكثر ما حوته الصفحه حتى اتسعت عيناى حين ابصرت بقائمه الاصدقاء المشتركون بيننا.. أسم اخر شخص توقعته .. دكتور محسن !!!.

أستشاط رأسى تفكيراً ما الذى يجمع بين دكتور محسن دكتور الطب النفسى المشهور صديق العمل والمشرف على كورس علاجى الوحيد الذى اهتديت

إلى نفسى على يده وبين ليلى فتاه شاليه البشبيشى الوحيده التى اعادت ليا الحياه .. ما طبيعه العلاقه التى تجمعهما .. صداقه ام ..... ؟!!

تثاقلت الافكار وفاضت خارج قصعه رأسى تواترت عليا كلمات كلها متقطعه ناقصه تحتاج لمن يتمتع بمهاره فائقه فى لضم خيوط بيت عنكبوت وما اوهن البيت .. بيت العنكبوت وما أوهن الحال .. حالى .

حملتنى قدماى إلى المقهى الذى لايزال نائماً يستيقظ فقط حين يُغطيه الظلام .. حط جسدى على احدى الكراسى شظايا التفكير تلهب عقلى فجاءنى عامل المقهى لا اعلم ماذا قلت له وما طلبت .. فكما حل غاب .. ربما لم يسألنى بالاساس وربما لم يخرج عنى لسان توجهت ببصرى إلى ابوالوفا الذى أطل برأسه من نافذه السياره التى لم يغلق منها سوى نصف الزجاج صاح الي فلوحت له فأدرك مغزى الاشاره وعلم انى بخير عاد إلى حلوته يلتهم القليل منها ليطيل من وقت الاستمتاع بها كطفل يتلكع فى تناول بوله الايس كريم المفضل اليه يلعقه بحذر لكى لا ينتهى .. عقله الصغير أهداه إلى سلوكه هذا رغم ان شىء ما بداخله يؤكد له بأن لكل شىء نهايه .. ليتنى املك عقل صغير مثله .

لاح أمامى عجوز يحمل على كتفه حزمه من الخرزان يبيع اعكاز ُمختلفه الاشكال والالوان والطول .. أثقلت هموم الدنيا ظهره فأنحنى لها فى استسلام لفحته شمس الطواف لطلب الرزق أغلقت عيناه فصار نهاره كليله لا جديد بالظلام .. اقترب من الارض كاد يُلامس بأنفه المنتفخ الاسفلت تدثر بليزر كاروهات زيتى او هكذا كان لونه وبنطال بنى وحذاء اسود برزت منه أصابع القدم التى انهكها تراب الارض .

- لو شمحت يا ابنى .. ممكن اقعد جنبك هنا .. اريح رجلى شويه .. بعد اذنك يعنى ؟

ألقى كلماته بفم هجرته الاسنان فأنزوي إلى الداخل صار كالمشقوق بموس متخذاً من هيئه علبه سردين فتحت على النصف صوره له فلازم التصفير

لسانه كلما تحدث .

- اتفضل يا حاج .. على مهلك .

وضع بضاعته إلى جواره ومال مستنداً إلى الترابيزه المهلهله التى فصلت ما بيننا .

- تشرب ايه بقى يا حاج ؟ .. أنا عازمك .

- أشب .. لا شكرا يا ابنى .. كتر خيرك .. هما شقتين فول من غير شلطه وكوبايه شاي

معلقه شكر واحده ويبقى كدا رضا اوى .

أضحكنى العجوز بمكره وشفاره حديثه .. أقصد صفاره حديثه .. ناديت عامل المقهى وأمليت عليه طلب الضيف .

مرت الدقائق وكان الصمت سيدها وفجأه لمحته بطرف عينى مُطرقاً بوجهه إلى الارض رفع من على وجهه غطاء عينيه الاسود راح يبكى ينتفض كطفل فقد امه انسالت دمعاته فأخذ يكفكف مدامعه فى استحياء .. ربت على كتفه محاولاً مواساته .

- ايه بس مالك يا حاج .. قولى انت محتاج حاجه .. أنا برضو فى مقام ابنك ؟

أعاد غطاء عينيه إلى وجهه وتوجه لي ببطىء .

- لا .. تشكر .

وأردف بصوت متهدج مبحوح نابع من قلب اعتصره الحزن .

- أصلك فكرتنى بيه .. ابنى الوحيد اللى كان حنين عليا كان راجل وجدع زيك كدا تمام

أصلهم خدوه فى الجيش عشان يقضى مده تجنيده مع ان هو اللى كان واخد باله منى ..

أخواته التانيين .....

صمت للحظه ثم قذفها بحرقه .

- شتاتهم هى اللى بتشوقهم .. هو بش اللى كان بيراعنى من بعده وانا داير على رجلى من بلد لبلد ومن ارض لارض واهو رزقى على الله .

- طيب وهو قدامه كتير على ما يخلص فتره تجنيده ؟

أبتسم فى مرار .

- أه .. قدامه كتير .. كتير اوى .. أصلهم قتلوه على الحدود ولاد الكلب حرقوا قلبى

عليه .. أنا من بعده اتيتمت .

- طب مصرفوش ليك أى تعويض او معاش يسندك ؟

بمرار أكثر .

- تعويض .. دفعها بسخريه .

- العوض على الله يا ابنى .

لطم صدره بعنف وأضاف فى قهره .

- أنا محدش اتذل قدى حتى العيال الصغيره لما بيشوفونى بيزقلونى بالطوب اكمنى قصير وبالع شنانى وصحتى على قدى .. كلمه عجوز فى الزمن ده .. بقت عيبه ما يتوجعش منها الا اللى زي حلاق .. أنا راجل وشخ اصلاً انى عايش لحد دلوقتى صدقنى أنا اللى غلطان .. ما البحر قدامى اهو ليه مانطش فيه مأبش منه وابقى خلصت من الذل اللى أنا عايش فيه ليل نهار .

- ليه بتقول كدا بس يا حاج ؟ .. تنتحر يعنى وتغضب ربنا ؟

- ما أنا خلاص فاض بيا وتعبت من الذل .

- معلش روق كدا واستهدى بالله .

أتى عامل المقهى بالسندوتشات والشاي .. وضع الصينيه ورحل فى صمت .

- اتفضل يا حاج .. كل الف هنا وشفا .

أطلق يمناه بأتجاهى فمدتت له طعامه .

- ربنا يكرمك يا عوض الله ويرضى عنك .

تناول ساندوتش الفول قبله وغمغم موشوشاً اليه بتسابيح شكر متوجهاً

بظلامه إلى السماء
ثم قضم طعامه بنهم .
- قولى يا حاج .. عوض الله ده يبقى ابنك ؟
مضغ طعامه فى صبر ثم جاءنى الرد .
- عوض الله ده .. الرزق اللى بينادينى .. عارف يا ابنى أنا مبعتش ولا خرزانه واحده من اشبوع ومحتكمش على مليم احمر .. ومع ذلك ربنا كريم معايا بيطعمنى من غير حول منى ولا قوه .. بيرزقنى بناش زيك .. لشا فيهم خير .. انت واللى زيك يا ابنى للناس اللى زينا تبقوا عوض الله .
- يعوض عليك بالخير يا حاج .
هز رأسه شاكراً مُمتناً .. جس كوب الشاى بعد ان اهديت يده اليه فقبض عليه بعفويه كان مع كل رشفه يوشوش للكوب بالضبط كما فعل مع طعامه حتى انتهى من مشروبه ثم طوي ورقه الجورنال وقد حبس بداخلها النصف الاخر من الساندوتش ودس اللفافه بمخبىء حفره ببطانه سُترته .
بعد دقيقتين من الصمت حزم بضاعته ونهض حاملاً اياها على كتفه وقبل ان يودعنى سبقت حكمته شكره لي .
- عارف يا عوض الله .. احنا كلنا ماشين فى طريق واحد .. مشوار واحد هنقضيه أنا فى اخره وانت فى نصه وفى اللى لشا بيحبى فى أوله .. بش كلنا فى الاخر هتجمعنا محطه واحده .. محطه النهايه .. بحق كل لقمه وكل شربه جودت بيها عليا ربنا يشوقك دايما للخير .. سلام يا عوض الله .
خطى العجوز فى تثاقل بالضبط ككلماته التى جمعها بطول مشواره فى الحياه ليصنع بها حكمته التى جناها بعد رحله شاقه كابد فيها عناء الدنيا التى ان ضحكت لك يوما اعلم انها ستبكيك ايام .. ان اعطيتها قدر .. اكثر مما تستحق .
اخرجت حق الضيافه وتركته على الطاوله هممت بالنهوض فوغزنى طرق مؤلم زاد ألمه بشده بمجرد ان تعالى الصخب من حولى .. اغمضت عينى مُتقياً

خيالات الاشباح التى أخذت تراودنى .. شعرت بصهد جسدى واحتر عقلى واشتعلت رأسى فركت عيناى فى ألم كرابيج تسلخ ظهرى تنميل وهمدان يتملكنى أرانى ارقد بصحراء خبت برمالها قرص الشمس فزادت من حراره رمالها تلسع باطن قدمى .. العرق يعتصرنى جف حلقى حتى تخشب لسانى ألهث قاصداً سراب نهر اسمع خرير مياهه يتهادى إلى مسامعى من بعيد .. سباع الصحراء تعوي تتلوى من شده الجوع تترنح قاصده كومه اللحم التى أتتها على طبق من ذهب دون ان تتكلف العناء .. ليس عليها سوى ان تغرس انيابها برقبتى فتغادر جسدى اخر انفاس ركبت قطار الدوره الدمويه الاخيره به .. فقد حانت له ساعة التوقف بجراج الصيانه التى لن تأتيه .. احارب الظمأ بوهن ماأدخرته من قوه .. السباع تقترب منى حبُست الانفاس عنى وازداد نبض قلبى كاد ليغادر صدرى اقترب منى اول السباع واقواها فتح فكه وبرز لي انيابه اشتم رائحه الدم من بين انفاسه يلهث بصوت مزق غشاء السمع بأذنى وهم بفمُ منفرج عن اخره لينهش رقبتى .. فجأه ..ُرد الي الوعى فأبصرت الانياب التى لمعت امام عينى .

****

أنياب وهميه

" إن عاينت فساد فأبحث عن الجبان "

صيف ٢٠١٤

الأيام الاخيره من الشهر الكريم .. رمضان

- ابن تهامى كانت حالته غير مستقره نتيجه صراع ليلى حصل ما بينه وبين حسين ومصطفى فهمى .. مشاهير الحديقه غلطه عامل كانت هتكلفنا كتير ولولا اهتمام دكتور (أحمد ياسين) الله يرحمه بحالته كان زمان ابن تهامى وجبه سهله لباقى سباع الحديقه .

- يعنى عشان ينقذ حياه حيوان يفقد هو حياته؟ .

ضغط بسبابته نظارته الطبيه ومسح العرق المقطر من جبهته وأردف .

- لا لا لا .. يا فندم احنا شغلنا زى أى شغل حكومى .. روتين يومى بينتهى بعد الضهر بساعتين او تلاته بالكتير اوى .. انما قبل الاعياد والمناسبات العامه بنقسم نفسنا كدكاتره بيطريين وعمال ومشرفين لفرق ودوريات وبنشتغل على مدار ال ٢٤ ساعة عشان نجهز الحديقه والحيوانات لأستقبال الزوار .. واحنا بيفصلنا على العيد اسبوع تقريباً والحيوانات للأسف حالتهم محتاجه رعايه .. خاصه السباع .. معظم الناس اللى بتزور الحديقه فى العيد بيجوا عشان يشوفوا الاسود والنمور والضباع وهكذا .

- دكتور ...

أطرقت إلى الارض محاولاً تذكر أسم مُحدثى .. للصيام أجر عظيم لن تناله باليسير .. اعتدل هو وأعاد إلى مسامعى أسمه .

- دكتور ايمن يا فندم .. ايمن السيوفى .
- اه .. معلش .. الصيام بقى والضغط اللى احنا فيه أكيد انت مقدر الموقف .
- ربنا يكون فى عون سعاتك .
- شكراً .. ياريت يا دكتور ايمن تحكيلى بالظبط .. اللى حصل ليله امبارح .
- حاضر .. أنا ودكتور احمد ياسين كنا بنتسحر فى المكتب .. كانت الساعه حوالى ٢ وتلت .. كنا بنتكلم عن حاله الحيوانات وأمور الحديقه وياترى هنلحق نظبط الدنيا قبل دخله العيد ولا لاء؟ .. بصراحه دكتور احمد ياسين الله يرحمه كان دايماً هو اللى بيدينا امل وبيبث فى كل اللى حواليه طاقه ايجابيه .. طمنى وقالى هنلحق ان شاء الله لكنه كان مهتم جداً بحاله الاسد ابن تهامى لأن اصاباته كانت خطيره شويه.

قطع المعاون النشيط حلقه التحقيق المبدئى فأضطرب دكتور ايمن السيوفى الطبيب المُلطخ ثيابه الابيض ببقع من الدم اتسعت مع الوقت حتى عمت سُترته الطبيه .

مال المعاون على أذنى اليسرى وشوش الي .. طالعت الطبيب المضطرب فأنتفض وزاد حمل التوتر عليه فكيل له اطنان من الاضطراب .. اشرت إلى المعاون فجلس إلى جوارى متفرساً بدوره البيطرى الذى تبخر بوله وتكاثف على جبينه فأخرجه فى صوره عرق .

- ها .. وبعدين يا دكتور ؟
- هاه .. أه .. وبعدين أنا جالى تليفون من مراتى فأستأذنت دكتور احمد ياسين وخرجت أرد عليها وبالمره قلت اروح اتوضى عشان اصلى قيام الليل قبل اذان الفجر .

فى الحقيقه هناك ختم يعلو جبهته ينم عن مداومته على الفرائض الخمس وربما يتطوع كثيراً ويجتهد فى صلاته لكنى لا انشغل كثيراً بالمظاهر مهما وشت عن تُقى او ورع .. فكما ولدنا والخير بداخلنا .. ايضا ولد فينا الشر ..

ازدرى لعُابه بصعوبه وأكمل .

- رجعت مالقتش دكتور احمد ياسين فى المكتب .. قلت يمكن راح يطمن على حاله ابن تهامى .. سمعت فجأه صوت صراخه .. كان بيستغيث .. بصيت من شباك المكتب عشان اشوف الصوت جاى منين .. بصراحه الرؤيه كانت صعبه شويه لكنى قدرت احدد مكانه .. كان قريب من بيت السباع .. صراخه كان مغطى عليه زئير النمر الهندى المُعار للحديقه وبرده فعل لا ارادیه لقيت نفسى بسحب سلاحى وجريت على احمد .. كان عمال النبطشيه متجمعين قصاد قفص سيزر.. النمر المُعار .

انفلتت مدامع البيطرى دون استأذان ازاح نظارته ومسح مدامعه ثم اردف فى نبره متهدجه حزينه .

- لقيته تحت سيزر اللى كان بينهش فيه بعد ما قتله وعصر رقبته بين انيابه .. متحملتش اشوف دكتور احمد ياسين ولحمه بيتنهش قصادى .. طلعت السلاح وأديت سيزر طلقتين فى راسه .. كان كل همى انى اسحب من تحته دكتور احمد .. بس للاسف روحه كانت سبقت الكل للسما .. كان خلصان.. الله يرحمه .

- وقتلت النمر بالمسدس اللى هددت بيه دكتور احمد ياسين قبل كدا قدام الكل ؟

صُعق وثغر فمه وازداد عرقه تقاطراً .. كاد ليغرق بين امواجه ولجُم عنه لسانه .

- هاه .....

كان دكتور ايمن السيوفى أول من دخل دائره الشك بيد المعاون النشيط الذى أتم عمله باتقان حول تحريه عن طبيعه العلاقه التى جمعت دكتور ايمن بدكتور احمد ياسين القتيل الجميع شهد بتوتر ما بينهما والواقع يُقر بأن دكتور ايمن السيوفى هو من قتل سيزر النمر المُعار وربما سيشهد نفس الواقع بالقريب على جريمته بحق زميل العمل دكتور احمد ياسين .. توسطت

الحديقه مسحت برؤيه باهته ابصرتها من خلف عدسات نظارتى الشمسيه بات التوتر ملك الحديقه بعدما رحل عنها ابن تهامى الاسد الذى ساءت حالته الصحيه بعد ان تدهورت نفسيته تماماً فلحقت روحه بمن مد يد الحياه يوماً له . مات الاسد ابن تهامى بعد ساعات من الحادث .

لهذه الدرجه تُخلص الحيوانات حتى وان كانت مفترسه .. وبنى البشر يصوبون طلقات الموت بوجه بعضهم البعض متغافلين صفه كادت تنقرض من بيننا .. صفه كانت تُدعى قديماً بالأخلاص .

خطوت لمُعاينه بيت السباع المكان الذى رحلت منه روح دكتور احمد ياسين .. كنت اتوقع ان اجد دكتور صادق بقفص النمر الشرس ليتعقب اثار القاتل .. لكننى وجدته يمسك بقضيب من القضبان الحديديه لقفص ابن تهامى الذى اخذت العمال بتقطيع جثته بعدما رحلت عنه الحياه التى حرص عليها دكتور احمد ياسين الا ان القدر جاء ليُبدد عليه جهده وقف دكتور صادق يتأمل الاسد ابن تهامى ينظر ليه بعين متدبره أراد ان يأمن اخرته بإتعاظه من غيره حتى وإن كان غيره هذا .. مجرد حيوان .

وقفت محاذياً له متطلعاً لما يحدث داخل القفص حيث اشار بسبابته وحادثنى بحكمته المعهوده .

- شايف الاسد ده .. كان فى يوم من الايام ملك .. بيهز زئيره المكان ده كله .. شوف انت دلوقتى حاله انتهى بيه لأيه .. الاسد ده بعد شويه هيكون مجرد وجبه للاسود التانيه .. ياترى لو شافه دلوقتى الملوك التانيين اللى هياكلوا لحمه بعد شويه هيكون ايه رد فعلهم لو عرفوا بحقيقه نهايتهم ؟!.. الدنيا غروره يا عمر بيه .. مش كدا.. بتخدع الكل بما فيهم الحيوانات .

لملم اوراقه واغطس قلمه بجيب قميصه الزاهى المزركش بألوان كثيره فأسكنه بجانب قلبه وقبل ان يُودعنى رمى بطريقى حجر أكد لي العُثره التى ألمت بي .

- دكتور احمد ياسين مات مقتول بطعنتين فى رقبته من آله حاده قبل ما

يرميه القاتل للنمر المُعار .
- طيب وانياب النمر المحفوره برقبه الدكتور .. دا لحقوه بالعافيه منه ؟!
- انياب وهميه .. مجرد تصرف غريزى من حيوان مفترس لقى فريسه قصاده بتغازل غريزته الوحشيه فأنقض عليها .. مش اكتر .. والدليل على كلامى ان دكتور احمد ما أبداش أى رد فعل تجاه النمر محاولش حتى يبعده عنه لو كان حي كان على الاقل شعيرات من فروه النمر هنلاقيها بين اظافر الدكتور .. انما أنا ملاحظتش أى علامه تقول انه كان حي .. الدكتور مات مقتول يا عمر بيه .. والقاتل انسان ليه أيد زى دى .
رفع يمناه .
- زى ما بترفعها وانت بتكبر فى الصلاه ممكن برضو ترفعها عشان تضرب بيها وتقتل كمان .. بعد اذنك .. التقرير النهائى هيكون بكره على مكتب ومش هيكون متغير كتير عن اللى قولتهولك .. ربنا يكون فى عونك .. مع السلامه .
ربت دكتور صادق على كتفى وتركنى وحيداً ادور كثور معصوب العينين بالحلقه المفرغه التى تحتم علي اكمالها واما سيحفظ حق دكتور احمد ياسين برقبه مجهول .
من برجها العالى كانت تطالع دكتوره (عبله الحفناوى) ما يدور بالحديقه تراقب خطواتى المتعقبه لأثار القاتل عن كثب ولم تتحرك من مكتبها بحجه انتظار وصول مدير الحديقه الدكتور (انور شحاته) فبعد كلمات قليله دارت بينى وبين السيد شحاته الذى بدا مهزوز مُضطرب يعض اطراف انامله مائه مره بالدقيقه يعبث بأنفه بين كل جمله واخرى حتى صار منخاره اقرب ما يكون إلى نفقين احداهما للذهاب والثانى للعوده .. دائماً ما يوارى عينيه خلف نظارته فأرغمنى على ارتداء نظارتى الشمسيه اثناء الحديث المضطرب معه حتى لا تحجب عنى الشمس ما يُخفيه الرجل .. كان بأختصار رجل ضعيف الشخصيه لم يُمنح كامل الرجوله بسهوله شديده ادخل نفسه دائره الشك مع ان يده المرتعشه بصوره مُبالغ فيها بظنى لن تقوى على حمل آله

حاده .. بالكاد يستطيع التملك من القلم ليُذيل بأمضائه تصريح او مستند اكثر من هذا فهو بالطبع يحتاج لمعجزه او يد اخرى تأتى بما لا يستطيع !! .
غادرت مكتب مدير الحديقه الذى دفعه توتره المُبالغ فيه ليحتل مركزه بدائره الشك مررت على المكتب المجاور لمكتبه يتوسط الباب لوحه ُنقش عليها .. مكتب نائب المدير ..
دكتوره عبله الحفناوى .. اقتربت من الباب المغلق لم اسمع سوى صدى الصمت طرقت صدره بهدوء يليق بالسكون المحتل للمكان لم يأتينى رد ثم فجأه ُفتح الباب كان علي النظر من أسفل نظارتى الشمسيه إلى انثى البطريق التى أطلت برأسها المستدير الاحمر فأشاحت بيمناها كومه من خصلاتها الخشنه التى تدلت من رأسها المصبوغ .. ربما كانت احدى زبائن كوافير ذكى ابوشعره .. ولم يبخل عليها بصبغاته المجهوله المصدر غاليه الثمن وبوجهها المُرمم بخلطات تجميليه هى فى الواقع أسمنتيه حيث تشقق وجهها خلال الثوانى القليله التى وقفت فيها امامى تتفرسنى فى حنق اسدلت عن عينها نظارتها الطبيه والتى تنافس عيون البقر فى اتساع الحدقه لدرجه جحظت لها عيناها فزمجرت ُمتسائله .
- مين حضرتك ؟
لم اطق الرد على الشبح الهُلامى القصير فقط اكتفيت بإبراز بطاقه التعريف الخاصه بي فأفسحت لى المجال ودلفت إلى مكتبها المُعطر البارد وأغلقت الباب فألتفت اليها بنظره استشفت من خلالها ما دار برأسى فتحدثت دون ان تنظر لي متجهه إلى مكتبها فى تبختر العجل الوليد وسط القطيع اثناء رحلات الهجره من مرعى إلى اخر .
- درجه الحراره ٤٣ وانا مقدرش اقعد من غير تكييف .. اتخنق .. اموت .
- واضح يا فندم .
كتله الدهن المترنح امامى تخطو كدبابه أصيب جنزيرها فأرغمها هويل الحرب الزحف إلى مخبئها المُعطر الهادىء المُحاط ببروده يفتقدها من

بالخارج .. انثى الخرتيت تتطالعنى من خلال زجاج نافذه المكتب لترى انعكاسى عليها فالحقيقه كنت اتفرسها ولم استطع تحديد جزء منها سوى مؤخره تدلت مهتزه كليه خروف حمى سكين ذبيحه كشفت جيبتها القصيره المشدوده عن سمنتين لم يتحصل عليهما اعتى لاعبى كره القدم.. ساقين اصقلهما شراب نايلون مشدود عن اخره ربما كاد لينفجر من شده الضغط استدارت فجاه ضاربه بمؤخرتها ثلاجه صغيره ٧ قدم تزحزحت قليلا من مكانها ثم قفزت حاشره جسدها

على كرسى المكتب الجلدى فصرخ فى تألم اسفل منها ثم زحفت بأتجاه سطح المكتب وألقت قربتي ثديها على الزجاج المبسوط بسطح المكتب ورفعت نظارتها الطبيه إلى عيناها وعقدت ذراعها امامها متوسده سطح المكتب مرحبه بي .

- اتفضل يا فندم .

جلست على احدى الكرسيين المقابلين للمكتب مرت نصف ساعة بتثاقل كسحابه تُجاهد الرياح لتحريكها كنت ادون بعض جملها التى تدفعها من فم ملأ جانبيه الزغب كانت ملعثمه تزدرى ريقها فى صعوبه بين الحين والاخر كحال سيدها دكتور انور شحاته بالنهايه لم أتحصل منها على شىء مفيد لم أرد اطاله الحديث اكثر مما مضى لكن بروده المكتب أرخت عنى عناء اليوم حتى أنتشلنى أذان العصر من غفوتى بمكتب السيده البدينه .. غادرت الحديقه بصحبه المعاون النشيط لم نتبادل الحديث كالعاده .. بل قضينا الطريق فى صمت خيم على كلانا .

فى صباح اليوم التالى كان بإنتظارى شاب لايزال يطوي سنوات دراسته الجامعيه بسجل عقله مُطلق عنان لحيته التى نمت على نحو غير متناسق تماماً .. يرتدى تى شيرت وبنطال جينز وحذاء صخرى ضخم .. بمجرد ان اقتربت من مكتبى انتصب الشاب الجالس إلى جوار المكتب حاملاً بيسراه ملف أبيض منقوش عليه كلمات بالانجليزيه .. صافحنى مُقدماً نفسه لي .

- أنا محمود ياسين .. اخو الدكتور احمد ياسين .

علمت بما قبض عليه من وثائق دفعها الي بعدما استقبلته بمكتبى والتهمت ما حوته المستندات التى بالتأكيد كانت السبب وراء قطع شريان الحياه عن الطبيب البيطرى .

- أحمد كان حاسس بخطر من فتره .. تقريبا من أول ما قرر يجمع المستندات اللى قدام حضرتك دى واللى بتفضح المسئولين عنها بشغلهم القذر اللى بيتمرر من تحت الترابيزه .. الملف ده احمد ادانى نسخه منه من حوالى اسبوع .. رئيس الملحق الطبى المشرف على الحديقه من البازا (PAAZAB) دكتور (ستيفن جونز) حذر أحمد وقاله ان هو لوحده مش هيقدر يواجه العصابه المتحكمه فى الحديقه .. طلب منه يجمعله الوثائق اللى تثبت فساد الناس دى وبعدين يسيب الباقى عليه وهو هيتصرف .

ترك لي صغير آل ياسين الوثائق التى يكشف فيها دكتور احمد ياسين ما خفى عن الجميع حيث يُقر فيها بتدهور عام بالحاله الصحيه للحيوانات نتيجه الاطعمه الفاسده التى تقدم اليهم بالاضافه إلى اختفاء بعض الحيوانات النادره حيث بيعها وتسجيلها بدفتر النفوق (الوفاه) فضلاً عن نقص اللقحات والامصال بحجه ضعف الميزانيه وعدم صرف المساعدات الخارجيه على شئون الحديقه بل تُوزع قيمتها على المسئولين حيث الاظرف المغلقه التى تذهب لبعض المسئولين بالهيئه العامه للخدمات الطبيه وعدد من المشرفين على الحديقه من الوزاره المعنيه وغيره وغيره من الجرائم التى يقف خلفها .. قاتل الطبيب البيطرى أحمد ياسين .

مرت الايام الاخيره من الشهر الكريم وحل علينا العيد طارت فرحته كعاده الاوقات السعيده وعاد الجميع إلى روتين الحياه من جديد وكان من بين هذا الجميع .. أنا وأخر قضى ايامه متعقباً اثار القاتل حتى هداه جهده وحالفه التوفيق فتوصل لسلاح الطعن الذى دفنه القاتل بإحدى بُقع الحديقه حيث انتظرنا تطابق البصمات المطبوعه على السلاح مقارنه بالبصمات التى اخذت

لجميع العاملين بالحديقه من عمال ودكاتره ومشرفين .... إلى اخره .
قطع علينا دكتور ايمن السيوفى حلقه الانتظار حين أراد دفع شبهه القتل من عليه وألقاها بملعب أحد العاملين بالحديقه يُدعى (فرج حميده) .
- أنا لمحت فرج يا فندم ليله الحادثه لما كنت بكلم مراتى فى التليفون .. و هو داخل المكتب معرفش ليه .. شاورتله كالعاده بسلم عليه .. مردش عليا .. عدانى وكأنه مشفنيش .. فرج يا فندم كان المفروض يومها يروح بيته من المغرب .. ايه اللى خلاه يقعد لحد قرب الفجر .. ده اللى خلانى أشك فيه .. أنا للاسف مفتكرتش الكلام ده غيرلما جالى عشان يعزمنى على فرح بنته اللى كانت دخلتها أول يوم العيد .
ألقى كلماته ورحل تاركاً لنا رجاء مُلح بضروره تعقب فرج الذى تبدل به الحال بين عشيه وضحاها .. زوج ابنته التى كان يتكفف لأجل اتمام جهاز عُرسها وترقى فى العمل وانتقل بعزال جديد إلى مسكن اخر بحي راقى .. فرج حميده فقير قريته صار من الاعيان .
طرق باب المكتب بدقاته ذات الوقع المميز المألوف على مسامعى وصافحنى بوجه شاحب أرهقه البحث وبلسان عان مراره الانتظار .. أبتسم فى راحه حيث جاء تقرير خبير البصمات ليؤكد تطابق بصمات السلاح مع بصمات أحد العاملين بالحديقه ويدعى (فرج حميده) .
أثبت فرج انه الفاعل حين ترك عمله بالحديقه واختفى فجأه لا يذهب إلى مسكنه الجديد سوى للزياره .. صار له بيتاً أخر .. بيت يهرب اليه من وجه المرآه التى انجبت له تسعه من البنين والبنات حتى هجرتها العافيه ورحلت عنها صحتها التى كانت تتمتع بها بالسابق شهر من الغياب التام ولا أحد يعلم اين أختفى فرج ؟ .
تناثرت اخبار متضاربه عنه هنا وهناك .. انفقنا عشره أيام اضافيه فى البحث لم نترك مكان الا وفتشناه .. لكن فرج أبى الظهور .. ربما هاجر .. ربما مات .. مات هو حقاً مات او بالاحرى قتل كما قتل !!

ابحث عن الدافع وفتش عن المستفيد .. هكذا تقول الكتب والنظريات التى غالباً لا توافق الواقع حذق صياغتها أنُاس لم يبرحوا يوماً مكاتبهم لكن هذه المره أصاب أحدهم .

تزامن مع فتره تغيب فرج عن الحياه .. تغيب سيده الحديقه البدينه .. دكتوره عبله الحفناوى .. كان من المفترض ان تطير إلى أمريكا لحضور مؤتمر عالمى ينشد مزيد من الرفق بالحيوان .. الكائنات المقهوره المُستغله من بنى البشر أبشع استغلال .. لكنهم فى الواقع مالوا إلى الشخص الخطأ .. كما ان قدما صاحبه الدلال المترهل لم تطأ أرض المطار بالاساس .. لم تسافر .. لم تبرح البلد ساعة كما أشيع .

حين تم الابلاغ عن جثه فرج التى وجدت ملقاه على جانب الطريق الصحراوى فنقلت كما ُوجدت إلى المعمل الجنائى وأتى دور دكتور صادق الذى أثبت انه لم ُيقتل بل مات ميته طبيعيه تماماً .. فقد ارتفع ضغط الدم برأسه نتيجه كميه المنشطات التى سفحها .. قضيبه يُقر بما تبقى من سائل منوى على جداره .. انه فقد حياته أثناء تأديته واجبه الشرعى او رغبه أختلسها له الشيطان .. كما ان عضوه الذكرى كان ملوث بماء المرآه التى شاركته الليله الحزينه والاهم هو الكيس الشفاف الذى عرضه علي دكتور صادق وكان يحوى بعض الخصلات التى وجدها بقبضه فرج .. خصلات شعر لم انسى بريقها حين لمعت أمام عيناى أول مره .

بمواجهه حاره للمرآه التى ألتهمتها العنوسه وجشع الدنيا فقررت ان تضرب عصفورين بحجر واحد .. ان تتخلص من دكتور أحمد ياسين الذى أزعجها كثيراً منذ ان داس بقدميه مواطن فسادها ولترضى رغبتها التى لم تغادر فرجها حتى بعدما تخطت عقدها الرابع وقاربت غزو الخمسين من عمرها .. أرادت ان تنال كل شىء برجل واحد .. وجدته بفرج حميده الذى اغوته بالمال فنخ .. ثم عرضت عليه ثديها فقبل لكن رجل الاثنين وخمسين خريف لم يتحمل عناء معاشره انثى الخرتيت فتطاولت يده إلى الحبوب الزرقاء

جالبه المتعه الرخيصه التى ظن فرج انها ستعيد اليه حيويه الشباب من جديد الا انها صرعته حين بالغ بجرعتها .
غرقت الدكتوره عبله الحفناوى وسط مدامعها وهى تُقر بفعلتها حين طلبت من فرج ان يُخلصها من طنين الدبور الذى قرر عزو عُشها فترقب فرج الفرصه حتى أتته فطعن بمطوته رقبه الطبيب البيطرى وألقى بجثته داخل قفص النمر الهندى المُعار إلى الحديقه بعدما اختبر فرج شراسته متستراً بستائر الظلام فأغدقت عليه المال لكن قضيبه لمع امام عينها بعدما أذاقته على يدها شهد الدنيا الزائف فطلبته ليُفرغ عنها لهيب العنوسه التى ألمت بها فأغرقته هذه المره بأكوام الدهن التى تكدست على جسدها .. لم يتحمل رجل العقد الخامس رغبه السيده البدينه المكبوته بصدرها فأعلن التسليم لأجله .. فارقته الحياه وهو غاطس بين نهديها سحقت جسده النحيل بين فخذيها المصقلين بالدهون والرغبه .. استنشق على يدها رائحه الموت الكريهه .. فبصماتها المطبوعه على كل شبر بالجثه وُخضاب أحمر الشفاه القاتم الملوث لوجه ورقبه فرج لم تنجح فى ازالته بالكامل ..

أرعبتها الانفاس الاخيره التى تلقفها بين احضانها الذكر الخمسينى العاشق فتوترت واغلقت حكمه عقلها التى افتقدتها منذ مدد ليس بقريب .. سيده الفساد البدينه أرادت ان تذيب عنها شحوم الرغبه فلم تجد سوى حميه الدم .. فأخنقتها رائحته بالنهايه .

****

مرت حتى ألان ثلاثه ايام وفتاه الشمعه نزيله شاليه البشبيشى لم ترد إطفاء لهيب الشوق بطله قمريه من وُجهها الصبوح .. ربما علمت بحملتى السريه حين اقتحمت حسابها الشخصى بموقع التواصل الاجتماعى فيس بوك .. ربما تسلح الموقع بمزيد من الامكانيات والتطبيقات التى يدفعها الينا مستر زوكر

بيرج ليزداد نشاطنا التفاعُلى على صفحات موقعه فدس بتطبيق جديد يكشف لصاحب الحساب من داس صفحته خلسه دون إذن مُسبق منه أطلق التطبيق فتلاقفه الملايين وثبتوه وكانت ليلى من بينهم ام أن لها ضابط مباحث معرفه أعلمها بما أتيت به بحقها ام انها ملت عزلتى فأنهت فتره تأجير الشاليه ورحلت إلى اخر؟ احق بها منى .. أنا .. أنا لم أكن يوماً هكذا! .. لم يُشغل بالى احداً سوى رموز حياتى امى ووالدى زوجتى وأولادى .. اسرتى هذه هى من تستولى على عمر زهران ولا احد يقاسمهم فيه حتى ولو كان عمر زهران نفسه .. فهو لا يملك شيئاً من حاله .. حاله الذى بات مُعلق بفتاه العزف السماوى ولا أعرف كيف أثرتنى بعيناها حين طالعتها أول مره؟؟ .

أشغل حاله بأعمال الحديقه التى قاربت نباتاتها التى غرسها على التورد قسم الارض إلى مُربعات دق على رؤوس كل مربع منهم أربعه أعواد من البوص او الخوص .. غطى كل مربع بغطاء بلاستيكى شفاف يسمح بنفاذ حراره الشمس لكن إن أرادت الخروج فلا مجال للهرب .. صنع اكوام مُنظمه اقرب مايكون للصوب أراد ان يحمى نباتاته الصغيره من سيل السماء التى تُمطر الارض الطينيه الضعيفه كل ليله بأمواج عفيه تقضى على ما صنعه طيله النهار .. تعلم مع الايام كيف يُواجه غضب السماء الشتوى بقليل من الدهاء البشرى الذى تلقى اكثره على يد الجنرال العجوز .. صاحب العزله اللواء نصر الديب .

نفض عن يده تراب الارض وألتفت إلى صديقه المُلازم له مُنذ ان هجرته سيدته .. رد عليه ابوالوفا بزمجره أعلمه من خلالها انه على اتم الاستعداد لما سيثور بعد ثوانى خطى عمر بشىء من الترقب وعيناه تمسح المكان لكى لا يكون هناك خطب ما سيفقده جهده إن وقع .. قبض على ذراع الماسوره الرئيسيه لشبكه الري التى أبدعها فرسم بالخراطيم خريطه مروريه لا تخلو من لغبطه فى بعض الاماكن .. رفع يُسراه وأشار إلى ابو الوفا فرد عليه الاخير بنباح التمام فأنزل عمر ذراع مدفع المياه .. لثوانى لم يحدث شىء .. ترقب

وهو يسمع خرير المياه المتدفقه بعروق شبكه الري التى صنعها بمحيط الحديقه لحظات ترقب انتصب لها ظهر ابوالوفا وتدلى من فمه لسانه الطويل فنبح بعمر .

- لماذا لم يحدث ما وعدتنى به ايها البشرى الاحمق؟! .

- افندم .. بتقول ايه ؟!

لم تطل عليهما شبكه الري بدائيه الصنع كثيراً ففارت الثقوب التى احدثها عمر بالخراطيم جاء الفوران فى البدايه كبُركان ثائر .. داعبت المياه الفائره الصديقان صافح ابوالوفا عمر بذيله الذى لم يتوقف عن التراقص لحظه هاج لاهياً فيها وسط النافورات الثائره نط وفط ونبح وشط حتى اتخذ عمر موضعه واقترب من ذراع التحكم واهدأ من ثوره المياه المدفوعه بضغط شديد إلى الخراطيم حتى وصل للدرجه التى تُقر بها اساليب الري الحديثه صنع ما عجزت عنه حُكومات أدخل إلى حديقته الصغيره اسلوب الري الحديث أراد ان يُثبت لنفسه أن لا مجال للمُستحيل بعالم الانسان فروي عطش الجذور الضعيفه بنقاط من المياه العذبه الرقيقه مثلها .

تأرجح مستلقياً على بُساط الهاموك مُطالعاً لروايه تنبثق من شجره الادب الروسى متنعماً بنسمات البرد التى تُصافح خديه من حين إلى أخر حيث تظله أشعه الشمس الواهنه المُصابه حتما بنزله برد أرهقتها وخففت من حرارتها التى تُسعر بها رؤوس أهل الارض بفصل الصيف البعيد .

انتفض من ارجوحته حيث أطل برأسه ليطمئن على طعام الغداء أخذت رائحه الشواء تُداعب خياشيمه .. سمك الماكريل الحاوى على كبسولات الشباب الطبيعيه تتصاعد منه أبرخه التدبيله العبقريه التى سقاه اياها فأزداد تصاعد الدخان فهاج له ابوالوفا كلانا يلتهمه الجوع انقضت نصف ساعة .. بعدها بعشر دقائق صارت المائده عامره بطعام الحيويه والشباب .. تشاطرنا طبق الماكريل المشوى .. نعم ابوالوفا بوجبته فثقل من بعدها رأسه ورأسى أنا ايضاً .

بعد ساعتين بأخر عُمر النهار .. امطرتنا السماء قطرات السقيع التى اخذت تزداد فأيقظتنى السماء ببردها فرحل ابوالوفا إلى بيته الصغير المُقام بأول الحديقه بينما هرعت أنا إلى قلعه الجنرال واحتميت بداخلها .

على هُدى الاضواء الخافته المنبعثه من اباجوره بالجوار متنسماً ابخره الدفء المُتصاعده من قدح الليمون المغلى المداعب لأنفى كلما أردت تقبيله متنعماً بحرارته .. وقفت اراقب رعدات السماء وسنا برقها وسط هطول امطار عنيفه اغرقت البقع الغائره بأرضيه الحديقه من خلف زجاج شرفتى أدرت بصرى ناحيه قلعه الفتاه التى ملت عُزلتى فقررت إعتزالى حياتى .

صارعت جنود السماء بضراوه وحوش الارض ولم تحسم المعركه لطرف على حساب اخر بل عقد الفريقان هُدنه سكنت على اثرها الارض وعادت الجنود إلى مخابئها بجو السماء وصمتت الدنيا من حولى .. لكن لم يسكت عنى إلحاح قلبى الذى أخذ يخفق مرددا اسمها .. اسمها هى وحدها دون غيرها .

- ليلى .. يا ليلى .. أنا عارف انك مخرجتيش من امبارح .. نور الشاليه فضحك على فكره .. أنا متأكد انك جوه .. وسمعانى كويس .. لو عوزانى اعلى صوتى اكتر .. أدينى بزعق اهو .. عشان تسمعينى .. عشان أنا مش عارف انتى ليه مش راضيه تكلمينى؟! .. بُصيلى طيب من غير حتى ما تتكلمى .. يا ليلى.. ليلسى .

صرخ عمر امام البوابه الحديديه لشاليه البشبيشى .. أطلق صراخات شجت صدره كرر أسمها حتى بح حسه تمزقت احباله الصوتيه .. لكنه لم يستسلم لضعف او هزال .. شعر بيه صديقه الوفى اللاهث بجواره عاونه فنبح.. كان يُطلق الصديق المخلص نباحه مردداً اسمها أيضاً على طريقته بلغته لم يرد هو الاخر ان ينقطع صدى النداء الحامل لأسمها .. تبادل الصديقان النداءات .. تعاقبت امواج تردد الصوت بقصعه الشاليه لتعود بالخزلان إلى مسامعهما.

- ليلى .. يا ليلى ...

دق بقبضته القضبان الحديديه للبوابه فى استسلام .

- ردى عليا بقى .. ردى عليا أرجوكى .

لاح الجنرال العجوز بطيفه من برجه العالى .. رفع صوته منادياً على ولد صديقه الجريح .

- مش هترد عليك يا عمر .. تعالى يا ابنى احسنلك .

- مش هترد .. يعنى ايه ؟؟.. أنا عارفه انها جوه وسمعانى .. ليلى .

صاح العجوز ناصحاً .

- يا ابنى قولتلك مش هترد عليك .. صدقنى .

- لا هترد .. هترد يا جنرال .

احكم قبضتيه على القضبان وأخذ يهز دلفتي البوابه الحديديه فى هيستريا مردداً اسمها فى صياح يائس وأمل مبتور .

عادت جنود السماء إلى الارض غازيه لكن هذه المره جاءت مُحمله بغضب اعمى انهمرت مدامع السماء فبللته حتى ألتصق ثيابه بجسده ورجفت اطرافه .. غلبت الامطار البارده دفء مدامعه التى انسالت على صفحه وجهه.

- أرجع يا ابنى .. ارجع هتاخد لطشه برد يا مجنون .

صاح عمر اخر صيحاته بما تبقى لديه من قوه واهنه ولم ُيعر الديب ايه اهتمام .. رفض عويله صاح حتى سقط على ركبتيه امام بوابتها الحديديه لم يستسلم لرفضها لكن صمتها كان اقوى منه .. هزه الصقيع واجبره على الرحيل ليحتمى تحت قبه قلعه قرين والده .

ألتحف بمنشفه غطى بجزء منها رأسه المبلل لتنسدل على أكتافه مانحه جسده المنتفض بقليل من الدفء الذى لا يبُث حراره او يمنع بروده .. جلس على طاوله الطعام والصمت يحوطه تتراقص من حوله ألسنه الضوء الخافت الآتى من شمعات الشمعدان ُتغازل الظلام فتضىء اجزاء منه .. لكن يظل سواده هو الغالب بصفحه المكان .

تنهمر مدامع عينيه والحزن يلتهمه على الحاله التى آل اليها بعدما هجره

اللحن الذى أنار عليه ُظلماته .. تدفعه الرغبه ليتنعم بالدفء المتطاير من قدح مشروبه الساخن لكنه يأبى اسكت برفضه الصامت إلحاح رغبه ما بداخله صار حزين بدرجه يائس رافض لكل شيء حتى لعن الحياه .

انتبه لوقع الاقدام التى تدق درجات السلم الداخلى ُمقتربه منه ألتفت ناحيه الظل فتبين له الجنرال بحُلته الرسميه .. يتدثر البدله السوداء الشتويه وعلى كتفيه لمعت رتبته نسر يحوطه سيفين متقاطعين متأبط صولجانه ضارباً الارض بقدمين يزفان القائد اليه وكأن الليله .. ليله عُرسه .

اقترب صاحب العزله من الطاوله وأنزل عنه غطاء رأسه وأراحه إلى جوار الصولجان على سطحها .. سحب الكرسى المقابل لعمر وجلس مبتسماً .. يعلو وجهه فرحه يُجاهد العجوز ليُخفيها لكن عينيه تفضحه كان حليق اللحيه مُهندم الشارب وهج الفرحه يحوطه من شيب رأسه حتى اخمص قدميه .

- ايه مالك ؟؟.. بتبحلق فيا كدا ليه .. أول مره تشوفنى بالبدله الميري .

أعتدل عمر فى جلسته وأشاح غطاء منشفته عن رأسه .. جفف مدامعه بطرف المنشفه وانتبه متفرساً حال قائده ومُعلمه اللواء نصر الديب .

- انت هتسيبنى زيها ؟!!

- كل شيء وليه اخره يا عمر .. هى دى سُنه الحياه يا ابنى .

- بس أنا محتاجلك .. أنا جيتلك عشان مالقتش حد غيرك يقف جنبى .

- انت جيت عشان نفسك يا عمر .. مش عشانى .

- ارجوك متسبنيش .

- بس أنا لازم امشى .. أصلهم مستنينى .

- هما مين دول اللى مستنينك ؟ .. تقصد ولادك اللى بيتمنوا موتك ؟

أكتفى الديب بإبتسامه باهته وإيماءه نافيه .

- اومال تقصد مين ؟

- مش مهم مين اللى مستنينى .. المهم مين اللى مستنيك .. انت يا عمر .

- أنا محدش مستنينى .

- ازاى بقى .. ده فى كتير مستنين رجوعك ليهم بالسلامه .. عندك مثلا .. أبوك وأمك
مراتك وولادك .
- قولتلك محدش مستنينى .
أطلقها عمر بعنف ونفاذ صبر .. فنهض العجوز والغضب قد نقش ملامحه رفع إلى رأسه كاب السلطه وضغط الصولجان تحت أبطه .. ثم انتصب رافعاً هامه حُفرت عليها الرموز الاولى للعزه والفخر .. طالع عمر بنظره جافه مُعاتباً له واستدار مغادراً .
- انت برضو هتمشى وهتسيبنى .. خلاص أنا أسف ماتزعلش منى .
ألتفت الجنرال بهدوء واعاد رسم ابتسامته على وجهه .
- الاب مابيزعلش من ابنه يا عمر .. حتى وان قسى عليه يوم فدا عشان مصلحته .
- لكنه بيتخلى عنه وفى اكتر الاوقات اللى بيكون الابن محتاج يتحامى فى ضهر ابوه
فيها .
استند الديب بيسراه على سطح الطاوله وانحنى مُقترباً من عمر .
- صدقنى يا ابنى .. مش هيكون غير المقدر .. ماتخافش .
- عارف الفرق ما بينى وبينك ايه؟ .. انت ولادك هما اللى بيتمنوا موتك .. انما أنا .. أنا اللى بتمنى موتى .
- الموت حق .
- واحنا فى دار الباطل .
- عشان كدا مش عايزك تستسلم لأوهامك .. مش عايزك تخاف .. ابوك عمره ما كان جبان .. عُمر الضعف ما قدر يتملك منه لحظه .. انت ليه مش زيه يا عمر .. ليه ؟
- عشان أنا تعبان .

- انت مُوهوم .. وبتوهم نفسك طول الوقت بمرض مالهوش اصلا وجود .. فوق .. فوق

يا ابن زهران .

- مش قادر .

قذفها بكل استسلام فهز الديب رأسه صامتاً من الميئوس منه واستدار قاصداً باب الخروج فنهض عمر مُحدثاً اياه .

- انت لو عايزنى فعلا افوق .. مد ايدك ليا وساعدنى .

- محدش هيساعدك فى الكون ده كله غير نفسك يا عمر .

قالها دون ان يستدير دفعها إلى مسامع عمر بصوت صخرى هز تلال الضعف بداخله كاد ليُنسفها ثم استدار مُردفاً .

- لو استسلمت لضعفك هتخذل نفسك قبل ما هتخذل عيلتك فيك .

- بس أنا ....

- انت مش محتاج غير عزيمه وان حسيت بضعف اطلب الاعانه منه وحده اللى خالقك

وخلق الكون ده كله .. القوي سبحانه .. صحيح ....

قالها قبل ان يرحل وكأنه تذكر شيئاً كاد ليغيب عن رأسه .

- أنا شفت ابوك وقالى انه مش هيموت طول ما انت مكمل مشواره .

- شفت ابويا فين ؟

- مش مهم فين .. وأشار بسبابته .

- جايز تكون دى اخر مره اشوفك فيها يا عمر .. عايز لما اروحلهم ابقى اطمنهم عليك .

- ياريت تقولهم ان قررت .. استنى الموت هنا .. زيك يا ديب .

ازدرى العجوز لعابه ودهس الغضب بين فكيه وانزوت ملامح الرأفه بوجهه وألتفت صارخاً بوجه عمر ليُوقظه .

- أرحم نفسك بقى يا أخى .. انت ايه؟ .. ماتفوق بقى من اوهامك .. انت

لو مقضتش

عليها .. هى اللى هتقضى عليك .. فُوق .

انحدرت مدامع عمر وما كادت لتلمع حتى تبخرت على يد الجنرال العجوز .

- انت راجل .. مش فاكر وصيه ابوك ليك كانت ايه .. انت اتولدت راجل هتعيش راجل

وحياتك هتنتهى وانت واقف على رجلك .. راجل .

ابتسم العجوز مُحتضناً خليفته ضغطه إلى صدره حاول بث العزم إلى قلبه ثم أبعد رأسه وحادثه بنبره أبويه حانيه .

- مُش عايزك تستسلم لضعفك يا حضره الظابط .. ماتبقاش انت صنع الجحيم بحياتك

مُش عايزك تشوفنى تانى يا عمر .. مع السلامه يا بطل .

اطمئن الجنرال على حُسن هندامه الرسمى وخطى مُبتعداً عن عمر حتى اختفى طيفه تماماً وبقى عمر وحيداً وسط رعدات السكون التام الذى قطعته دقات مُضطربه لأيدى مرتعشه.. شبح يلوح من خلف الزجاج المموج للباب الحديدى طرقاته تزداد قوه كلما اهملتها لم أرد الانتباه اليها .. لم ارد حتى التحقق منها أهى الاوهام التى حذرنى الجنرال من العبث معها ام انها استغاثه نداء واجب التلبيه؟ .. أسرعت إلى الباب وقبضت مقبضه أدرته فلاح امامى بكامل هيئته والامطار كادت لتغرقه .

- دكتور محسن !!!!

- نصر بيه الديب يا عمر .. تعيش انت .

****

صانع الجحيم

" نهايه كلاً منا .. مرهونه بعمل يده "

كعادتها دارت الورقه الخضراء المائله للزرقه لتحط هذه المره بإشارتها على أرض مكتبى .. بلاغ من السيد (ألبرت كولر) سكرتير أول السفير الامريكى يُبلغ فيه بمقتل البروفيسير الدكتور (ماكلاند ميلر) .

الدنيا مقلوبه وصحافات العالم تتناقل الخبر الساخن خلال دقائق وانتشر الخبر كالمارد كادت سخونته لتشعل حرائق لا أخر لها.. نيران سيلتهب لها العالم لأشهر وربما لسنوات مقتل أجنبى واي اجنبى ؟.. مواطن امريكى بدوله عربيه نالتها عواصف الخريف الثائر فهاجت شعوبها ولم يهدأ البعض منها حتى ألان .. يا لعُثره حظى !.

بعد تلت ساعة تقريباً من البلاغ .. رست سفينتنا بأرض السيد ميلر كان مسكنه عباره عن بنايه مُتهالكه تشهد اطلالها بمهاره من أتم رفع قواعدها الرومانيه المصقوله التى لا تزال تحتفظ بشىء من صورتها الاولى .. دفعت البوابه الحديديه الصدأه وخطوت بأرض حديقه المنزل المتحجره .. تلال من القمامه المحتله احد الاركان وقد تكاثرت حتى تمددت إلى قصعه الحديقه المُهمله .. وشت لي اعمده البلكونه الارضيه بهويه بانى هذه الفيلا الواقعه بأهدى بُقعه بالحي الراقى .. الزمالك .. حتماً هو حفيد المعمارى الواضع لتصميم الكولوسيوم المدرج الرومانى .. فعلى يسار الفيلا العجوز بُرج شق طريقه إلى السماء .. أطلت خلفيته على مقلب القمامه حيث تزيد اكوامه

كلما حل بالبرج ساكن جديد فلم يرعوا حُرمه البشرى الذى يسكن إلى جوار قاع البرج العالى .. كما كان على يمينه فيلا ربما تخطت الخمسين بعد المائه من عمرها .. الا انها ثابته لم تُنخر عظامها ولم يهتز لها اساس .. طال منها الزمن بعض الرتوش بصفحه وجهها المُرمم بمساحيق أنارت عليها رونقها كما ان لها حديقه نضره تتمايل ورودها كلما هبت رياح .

الصبار منثور بالارجاء الخارجيه للمنزل المُوحش تشم رائحه الموت عند عتبته سكون كئيب يحادثك كلما دببت الارض الرطبه التى تنبعث منها رائحه العفن كما برز عن سطحها رؤوس كائنات دقيقه تسكن جنباً إلى جنب المخيمات التى تقطنها الديدان والحشرات الزاحفه .

البروفيسير حتماً ورائه سر وهو بلا شك ما أماته .. بمجرد ان فُتح باب الفيلا الجميع أتى بحركه لا ارادية كمموا ثغرات الانف بمنديل ليتقوا هبو قذر أصابنا بسهام حارقه ألتهب الجهاز التنفسى منها .. أخذ الجميع يُسعل بأنفاس مكتومه تحاشياً استنشاق الهواء السام الأتى من المقبره البيزنطيه .

استقبلنا البهو بفراغه الحذر .. طالعت السيد ألبرت كولر سكرتير السفير الامريكى .. رجل كلما تحدث اهتز له لغد كامل الدسم .. لون وجهه بالحمره القانيه .. هو سكير يلهب الكحول بشرته التى كادت الدماء تنبجس منها إن شُكت بذنب دبور اعور يا حبذا إن التصق بوجهه خفاش من الخفافيش التى أطلقت سرنكاتها المزعجه مع أول شعاع للضوء يغزو المكان .. طارت مُحتله لجزء اخر اسفل السلم الداخلى المؤدى للطابق الثانى من البنايه

ليزيد السكير الطين بله حين أرشدنا إلى مكان البروفيسير الصريع والواقع بالبادروم وبوابته الوحيده تقع اسفل السلم الداخلى .. البوابه التى احتلتها طيور الظلام منذ قليل .

لم يكلفنا الامر اكثر من توجيه بطاريات الاضاءه لهدم حصونها فأعلنت الهجره ودلفنا إلى الداخل المُظلم .

كيف يأمن انسان العيش بمنزل كهذا ؟! .. هجرته الحياه منذ أزل .. واحتلته

القذاره داعيه ُقرنائها من ُعوالمهم الوقحه فأتت مُلبيه النداء ساحبه خلفها أطنان من الغبار الاسود وروائح اخرى مُميته .

تخطينا عتبه المنفذ الضيق أسفل السلم الداخلى فكان بإنتظارنا درجات سلم حديدى متآكل تفوح منه رائحه الصدأ تلمست الدرابزين فألتقطت أناملى مسحوق تأملته لوهله لم اتبين ماهيته ففركته متنسماً اياه فأدركت انه مسحه دم جفت عنه سوائله .. اعترانى الريب بأمر البروفيسير الذى لم تطفو له جثه حتى ألان .

نزلت الدرجات.. الظلام سيد الموقف أطاح أبو لغد سمين يُسراه فضغط مكبس اضاءه أنار الممر بضوء خافت ُمنسدل من السقف على هيئه قناديل خفت نورها على ايه حال هذا أفضل بكثير من الظلام لكن المثير بالامر هو معرفه السكرتير الامريكى لخبايا الدار كما لو كان أحد أفراد العائله وقد تلقى تربيته بين جوانبه .. طالعته بنظره مُتسائله فلم يأتينى برد سوى حركه من عينيه حين انتقلت إلى لوحه مُعلقه بالجدار على يميننا فألتفت اليها .. اللوحه قد غبرها الرماد لكن خطوطها الملونه لاتزال مُحتفظه بحيويتها حين تبينتها بشىء من التدقيق علمت انها خريطه مُصغره للعالم السُفلى من الدار .

قادنى السيد كولر عبر الممر الذى يحوي على جناحيه غرف مُحكمه الاغلاق أبوابها حديديه صلبه لا منفذ لها سوى شق أسفل كل باب أقرب فى هيئته من فتحه درج المكتب .. توقفت امام أحد هذه الابواب حاولت فتحه فأبى اقتربت منه بأذنى فلم يأتينى منه سوى فحيح الصمت فتابعت السير بصحبه السيد كولر انعطفنا إلى ممر ثم إلى اخر ثم اخير الممرات اقرب إلى سرداب الموت سره المنقوش بكل ُبقعه على جدرانه .. الحاضنه لغرف هى بالاصل شواهد قبور او زنازين عزل انفراديه .. اثناء السير غمغم صاحب اللغد المدلل بكلمات انجليزيه فداعب بها أذنى هامساً .

- المبنى أشتراه مركز الاستخبارات الامريكيه من مالكيه .. كانت اسره يونانيه الاصل ..هى من كان يسكنه ثم هاجرت تاركه المكان مع بدايه الخمسينيات

وفى عام ١٩٨٣ اتم الورثه البيعه لصالح السيد ميلر .
صمت فتوقف الركب حيث قبو الحاوى لجُثه البروفيسير ماكلاند ميلر .. السيد ميلر المُلقب بسفير جهنم صاحب مشروع القانون الذى رسخ لفكره الاستجواب بالانابه وهى لعبه حقيره أرست قواعدها الأم الطاغيه التى تتحكم بقوتها الغاشمه بمصائر شعوب الارض حيث خدم ميلر بمركز الاستخبارات الامريكيه مده تزيد عن العقدين وتتلخص
فكره الاستجواب بالانابه فى ان تشحن احدى الدول الموقعه على اتفاقيه مُناهضه التعذيب مجرميها او الشخص المراد استجوابه لدوله اخرى لا تُلزمها الاتفاقيه فتتم فيها عمليه استحلاب المعلومات وبأى طريقه كانت .. المهم ان يتم الاستجواب وُتملأ الفراغات بالمعلومات المطلوبه بأى ثمن حتى وان كان حياه الفرد المستجوب هى الثمن .
كما ان السيد ميلر الحاصل على دكتوراه فى علم النفس يُعد عالم بمجاله يشهد له اكابر مهنته وقد قدم الكثير للوطن الامريكى .. الكثير الرخيص .. فهو من وضع التصميم السُفلى الحقير للمكان وأتى بحزمه لا بأس بها من ألالات التعذيب بدايه من السوط حتى مشروع الجدار الدوار الذى لقى مصرعه مُلتصقاً به فبعد تقاعده فضل ان يُكمل ما تبقى من حياته وسط جدران الألام ليكمل مشاريع التعذيب التى انكفأ عليها مُكتفياً بلعب دور المستشار الخارجى لأشبال المركز الاستخباراتى من بعده .. ألان فقط .. أدركت حقيقه رائحه الموت التى نفرتها منذ ان داست قدماى أرض المكان الملعون .
تقدم القصير ذو الرأس المستدير كبطيخه بلدى تشكلت منها رأسه بسكين متجول ماهر وقد انعكست حُمره لحمها على صدغيه المُحملين بأرطال الدهن المنقوش بنقرات النمش الفاقع لونه .. تسمر امام باب حديدى نال الصدأ من قشرته فقط لوهله شعرت ان الباب لا يحتاج من القصير الوارم سوى ضغطه ضئيله من كرشه البارز امامه .. نفض السيد ألبرت كولر منديلا وقبض به المقبض سحب الباب إلى الخارج ثم رده فتحرك العملاق الصدأ

مُطلقاً ثرثره بغيضه وحانت منه زمجره اوقفته بمنتصف المسافه فأبى ان يستريح إلى الحائط .. هز سكرتير السفير الاحمر رأسه فتزلزل اللغد عنه فى ايماءه أراد ان يبث الطمأنينه إلينا من ورائها .. ضرب بمشط حذائه الحافه السفلى للباب فطار منه شيئاً احدث كركبه بالداخل ثم ترك المقبض فأستراح الباب فى يُسر لفحتنا سهام ناريه شُذت نصالها على حجر جلخ قُذف إلى الارض من جوف جهنم ليتبع بشهابه الرجيم الملعون الذى أراد ان يتلصص بسمعه على حديث الملائكه الكرام فضرب له الله بشهاب متوهج لحقه حتى أحرقه وكانت نهايته بين الجدران التى تُخفى خلفها ابواب جهنم السبعه .

صحن الغرفه مُقعر بنصفه شق ان عبثت بلوحه التحكم وانفتح الصحن وانت عليه.. فستسقط بحوض من الزيت المغلى مُوقد أسفله جمر سرمدى لا تنطفأ ناره حتى بعد هجره المعذبون الغلاظ لسرداب العذاب كما ان سقف الغرفه مُقبب يزينه قناديل اولومونيه تنفث ثقوبها مزيج من الادخنه المثيره للدموع واحياناً للأعصاب .. تخلق منك مجنوناً شت عقله ولن تتوقف بعدها عن الصراخ فالألم هنا سيلازم رأسك ولم ينخلع منه الا اذا شق صدرك وطارت منه الحياه .

جدران الغرفه كانت سبعه مصبوغه بمزيج من المعادن الفلاذ اساسها .. جميعها مقعره ينسدل منها ثلاث احزمه قادره على ضرب لعنه القيد لمن ابغضه حظه المتعثر وقاده اليها .. الجدار الاول يُخفى خلفه لوح برزت عنه أبر وغزها دقيق وغليظ فى بعض الاماكن مؤلمه لأقصى درجه فأن اصر المستجوب على الصمت فسيدور الباب إلى الشق المجاور له وهو عباره عن لوح تنفث ثقوبه مخلوط الملح ومسحوق بذور الفلفل الحار شيئاً ستسمع كائنات المجره صراخك من بعده حتى وان ألجم لسانك ليسافر بك الجدار فى زياره سريعه يشوي فيها ظهرك بألسنه لهب حارقه ثم سرعان ما يكبس الظهر بألواح الثلج التى لا تقل لسعتها حرقه عن سابقتها وهذا هو الشق الرابع . اما الخامس فلا يمر عليه سوى الشجعان دفعات كهربائيه بفولت ينهار

امامه جبل حتى وان كان صخرى ومضات مُزلزله للاوصال التى ستسلقها الابخره الساخنه بالشق السادس حتى يهدأ المطاف بالمُعذب ويستريح ظهره إلى الشق السابع والاخير والذى يحبس خلفه انياب دقيقه لجرذان لا عمل لها سوى نهش اللحم المسلوق المتبل بعد جوله جدار التعذيب .. عبقريه السيد ميلر .. وان لازم المستجوب الصمت فستعاد به الكره ثانيه لكن هذه المره سيكون على وجهه .. تباً للسادى المجنون .

ان عاينت الجثه فستستنتج ان صاحبها لم يجد كائن ليُعذبه فأحكم قيد نفسه ببطن جداره الدوار وراح يعبث بجسده الهزيل الذى صار عظام نخره تُزينها قطع من نتف اللحم المتعفن او ان أحدا أراد ان يُسقيه من كأس صنيع يده .

ألتفت إلى القصير الاشقر الملسوع بصلعته وباغته بزفره متساءله .

- انت من ابلغت عن الحادثه فكيف علمت بموت صديقك السادى ؟

أجاب بوجه إلتوت عنه ملامحه وتبدلت بشظايا غيظ .

- البروفيسير ميلر ليس ساديا حضره الضابط .. بل هو رجل وطنى قدم الكثير لخدمه وطنه .

- اياً ما كان الامر .. أرجوك اجب على سؤالى وحسب .

جز اسنانه فى حنق وزفر كلماته والضيق يلتهمه .

- صدقت حين قولت أنه صديقى .. هو بالفعل هكذا .. صديقى المقرب فمنذ ان تعرفت على السيد ميلر جمعتنا صداقه صادقه كنا نختمر ببار إحدى الفنادق النيليه الفاخره اللذيذه المثير نسائها .

أطلقها بحواجب راقصه وشفتين ممطوطه .

- وبعد ؟

- كنت منذ مطلع الشهر الحالى فى أجازه امتدت لثلاثه أسابيع لحقتها بيومين من العمل بالسفاره ليلتان غاب وجه السيد ميلر فيهما عن مصافحتى فأكلنى القلق حيره بأمره فهرعت إلى ها هنا ونزلت مملكته .

أشار متفاخراً إلى ما حوله من عذاب تفنن السادى ميلر بتشكيل آلهه الألم التى عبدها طيله عمره وأردف فى حسره

- ووجدته على هذه الحال للاسف الشديد .

اهتزت تلال الدهن المكونه لبدنه حين انفرطت دمعاته التى لم تنل منى شيئا ولن تهز شعره من رأسى تأثراً او حتى مُشاطره للاحزان البارده من الاشقر البدين .. تركته يهيم وسط نحيبه الانثوى وانجذب بصرى منتبهاً إلى شىء وضع اسفل حائط الجرذان الناهشه للجسد الهزيل شيئا لم اخطئه .. كان كتاب .. كتاب يحمل اسم البروفيسير السادى الذى عاش حياته يتلذذ بآلالام الاخرين .. انحنيت مُلتقطاً الكتاب الملوث ببقع من دمه الحقير فألتفت لي الغاطس بين عويله وحادثنى بصوت ناحب .

- الكتاب الذى بين يدك هو اخر ثمار فكر البروفيسير ماكلاند ميلر .. بارك الرب روحه الطاهره .

صبغ الغلاف باللون الاحمر القانى لون الدم وألتصقت عليه صور آلات التعذيب التى جمعها السيد ميلر وزين بها مذبحته التى اقف بأشرس غرفها فأبصرت العنوان المنقوش على واجهه الغلاف .. صانع الجحيم .. أن تعلم كيف تذيق ضحيتك مُر العذاب بأشياء رخيصه لها أثر بالغ .. للبروفيسير ماكلاند ميلر .

تخطيت الغلاف وقرأت الكلمات التى زينت صدر الافتتاحيه :

((إن معاقبه المجرمين بالموت المباشر أشبه بأكل الثمار وهى لم تنضج بعد .. فكما يجب ترك الثمار حتى تنضج يجب كذلك ترك المجرمين يتلوون ويئنون تحت العذاب الشديد قبل ان يموتوا)) .. أهدى كتابى هذا لروح المفكر اليونانى ثيرو كورال رب فكرى وسيد إلهامى .

الاهداء جاء استهلاله بكفر فماذا سيحوى بين دفتيه؟ .. تصفحت صفحاته سريعاً جميعها تتحدث عن أساليب التعذيب بمختلف الوانه وابشع ادواته ولم تختلف عناوين الفصول الفرعيه عن عنوان الكتاب .. هو حق وعن

جداره .. صانع الجحيم .
أعدت بصرى رامقاً صديق السادى كاتماً بداخلى زجره ان اطلقتها فستسور اسماع الحضور وخاصه أذان الشاذ المترهل لكنى خشيت ان تعيد الحياه لصاحبه المسلوخ .. حتماً ان عاد فسُيكيل لنا مزيد من الالام .. لذا أسرت الصمت دفعاً للضرر .
بصباح اليوم التالى جاء تقرير دكتور صادق خبير الطب الشرعى والمعملى المخضرم ليُقر بويل العذاب الذى لقاه السادى على يد مُعذبه .. القضيه معقده ولأول مره منذ ان رُسمت للعمل بالاداره التى لا يعرف اهلها للراحه سبيل أجدنى سعيد ولم أبال ان وفقت فى التوصل للجانى ام لم أوفق؟ .. المهم ان الدنيا تخلصت من بشرى تقوده غريزته الحيوانيه الشاذه .
وبينما كنت اراجع اوراق القضيه أملاً فى ان تبيح لي بسرها لأنتهى منها .. تعلق بصرى حينها بالكتاب الدميم لا اعرف لما امتدت يدى لتصفحه ألتهمت السطور جرت الصفحات الواحده تلو الاخرى .. الفصل تلو الاخر .. حتى وجدتنى امام عنوان الفصل الاخير من الكتاب .. أشرار ُنلت منهم .
حمل الفصل الاخير قائمه بأسماء معتقلى ما بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ وكان أكبرهم سناً شيخ ُيدعى (دراز المهدى) .. سرد السادى سيرته الذاتيه بشكل مُطول على خلاف من سبقوه بالقائمه التى فردها البروفيسير السادى بكل فخر .. كان الشيخ دراز المهدى من أهم اعضاء تنظيم القاعده .. كان كظل بن لادن تمكنت مجموعه من الفرق الخاصه للقوات الامريكيه من ألقاء القبض عليه وضعوه بسجن أرضى ومنذ ذلك الحين لم يرى النور ُمطلقاً .. جرت محاكمه شكليه له .. ُحكم فيها عليه بالسجن ١٥ عاماً ثم انتقل إلى معتقل المقبره .. أخر معتقل أشرف ميلر على سير عمليات الاستجواب فيه .. ما علمه العالم عن معتقل جوانتانامو .. هو شىء هين بالنسبه لما لقاه معتقلى المقبره .. يقول ميلر متباهياً بساديته التى كان يُمارسها على المعتقلين دون مراعاه حُرمه جسد او دم او ايه اعتبارات

انسانيه .. حيث يُقر بأنه كان يرسم خطه الاستجواب بشكل فردى حسب طبيعه وشخصيه المستجوب أعد مراحل من التعذيب المُر ليحرك لسان الشيخ بما أراد من معلومات لكن الأخير أسر نطق الشهادتين بكل مره .. عُرف الشيخ دراز بُتقاه وورعه وحرصه الشديد على تعاليم الدين لم يتوقف جريان القرآن على لسانه لحظه واحده كانت ركبتيه تتورم من كثره الصلاه اخضعه ميلر لألوان سوداء من العذاب لكن لم تفلح ايه منها مع الشيخ حتى فطن ميلر طبيعه شخصيته بمرور الوقت .

فوض ميلر أمر الشيخ دراز لأحدى الجنديات الامريكيه كانت فتاه عاهره امتهنت الدعاره بالسابق طفح الدم من ختم دبرها اثناء تصويرها لأحد افلامها الشاذه حين تكالب عليها سته من الذكور الذنوج فدوت صراختها ولم تُكمل عملها ومنذ حينها اعتزلت الدعاره وتطوعت لتمارسها على خفيف بمكان اخر .

تولت الجنديه العاهره زمام أمر الشيخ لم تحتاج وصيه من السادى ميلر أجادت هذه المره عملها .. كانت تقضى فتره عملها بمحبس الشيخ عاريه كما ولدتها امها تدفس وجه الشيخ التقى من حين إلى اخر بين نهديها المنتفخين بالسيلكون حتى تورما وبرزوا أمامها لعده سنتى مترات قاربت النصف متر ربما .. تداعب بحلامتها لحيه الشيخ تمطره احيانا كثير بماء فرجها بعد ان تمارس عادتها السريه التى لم تعد كذلك امام عين الشيخ الذى اضطر إلى فقأ عينيه بسبابته لكى لا يُدنسها بالنظر إلى جسد فتاه السادى ميلر المُشرف على تعذيبه حتى أهداه شيطانه القذر إلى فكره بغيضه فأمطر الشيخ بدم حقير اخبره بعدها انه نتاج حيض الجنديه العاهره .. هنا أجبر ميلر الشيخ على هجره صلاته كيل السادى له الالام النفسيه قبل الجسديه حتى رحمه الله بأنقضاء عمره وتوفى .. ألتقط الرحيم روحه من بين يدى البروف الملعون الذى هاج لموته العالم ولم يهدأ حتى ألان .

خط بنهايه الكتاب كلمات ثلاث .. هذا بذنب أبى! .. وُختمت بي ولد الشيخ

.. هذا هو مُعذب ميلر .. هذا هو .. قاتله .

بعد ظهر اليوم زفت جنازه عسكريه مهيبه جثمان ميلر المتعفن وأودعوه بظلام قبره بثت وسائل الاعلام العالميه جنازه الحقير السادى وكأنه قائد قد مات منتصباً بميدان الحرب ولم يستسلم لوهن او كجندى سقى بدمه تراب وطنه .. او ربما كثائر حق رهن روحه على كفه نظير حُريه بلاده .

ودع العالم جُثمان ميلر بدموع ملتهبه زادت حرقتها بعدما بث موقع الجهاد مقطع فيديو شهد على ويل العذاب الذى لقاه البروفيسير السادى قبل ان تنتهى حياته على يد ولد الشيخ دراز المهدى .

ألان وعلى مرأى ومسمع العالم اجمع فضح مُعذب وقاتل ميلر نفسه أراد ان ينتقم لأبيه أراد ان يذيق ميلر السادى المجنون مُر الكأس الذى جرعه بالسابق لوالده الشيخ .. أراد ان يُريح العالم من شره .. لينتهى المقطع بشاشه سوداء حملت بصدرها صوره حديثه لسكرتير أول السفير الامريكى السكير البدين مُلتهب الوجه دائماً السيد ألبرت كولر وُذيلت الصوره بشكر حار لمساعدته وتيسيره الطريق امام ولد الشيخ لينفرد برقبه ميلر مُقابل حفنه قذره من المال الاخضر .

صديقان جمعهما طريق الشر احدهما سادى مهووس بالتعذيب .. والثانى سكير خائن .

رحم الله ابدان بموت ميلر على يد ولد الشيخ فحتماً ان قُدر له ولفظه قبره إلى الدنيا مره اخرى لأذاقنا مُر العذاب بجداره الدوار الذى انكفأ عليه منذ ان تقاعد عن عمله بالمركز الاستخباراتى الامريكى ليتفرغ تماماً لآلته الجُهنميه هذه دون ان يعلم انه يحفر قبره بيده فكان أول واخر من يعتلى الجدار الدوار .. فقط جاءت نهايته .. بسوء صنيع يده .

****

لم تهدأ رعدات السماء ولم ينفطر عنها نحيبها كما لم تتوقف دقات دكتور

محسن التى أخذ يُطلقها على دفعات مُتتاليه مُطرقاً صدر باب الغرفه التى كانت تحتضن بين جدرانها الجنرال العجوز اللواء نصر الديب .. حيث انزوى عمر بظلمتها واحكم غلق بابها خلفه حين أخبره دكتور محسن بوفاه الديب بعد معاناه مريره صارع فيها خصمه اللدود .. مرضه اللعين الذى كان ينهش بلحم رأسه حتى افقده الوعى واغابه تماماً عن الحياه .. جعله راقد الجسد على فراش التيه يتلقف انفاسه جهاز التنفس الصناعى نيابه عنه .. افتى الاطباء وبالاجماع ان حالته ميئوس منها حتى مل ابنائه الثلاثه حُرقه الانتظار فتمنوا له الخلاص .. رجوا رحمه السماء لتحل عليه رأفه بحاله أبيهم الحاضر الغائب وايضاً بحالتهم التى تزداد سُوء يوم بعد يوم حتى استنزفت المستشفى اموالهم واجبرتهم الظروف على كسر ودائع كانوا يسمنوها بالنفيس اتقاءاً لغدر الزمان وليته كفى؟ بل استدانوا من الغريب قبل القريب خطوا بكل طريق ولم يتركوا امراً الا وفعلوه فى سبيل تحقيق امنيتهم بعوده الروح لأبيهم الراقد بلا حول او قوه .. امنيه ايقنوا مع الوقت انها باتت مستحيله .

- افتح يا عمر .. افتح ارجوك .

خضم من الطرقات العنيفه الممزوجه بدفعات مبتوره من كتف محسن .. يريد بكل قوته اخراج المنحصر على نفسه بوحشه الغرفه المظلمه حيث يختبأ عمر خلف الباب يسده بظهره ويغوص بين مدامعه حزنا على حاله وعلى الجنرال الذى رحل إلى الابد .. ضربت الغرفه عاصفه رعديه فأنشقت لها دلفتي الشرفه فأصرعتهما وطارت الستاره فلاحت مُهفهفه امام عمر أنار وميض البرق ما حوله بشرارته الخاطفه تملكته رعشه بارده جمدت عليه أطرافه أخذ ينتفض اهتزازات ولكمات يتلقاها بظهره ينتفض باكياً وبرد حبس عن جسده حراره الدماء حتى خارت قوته هوى إلى حيث يقف حط بالارض وكأن برج عالى قد انهار خلال ثوانى .. رد على الطرقات المتوصله من قبضتي دكتور محسن بخبطات من مؤخره رأسه اطلقها فى استسلام لأمره

ضم الي صدره ركبتيه فأنحبس عنه الهواء ثم احكم عقد ذراعيه حول ساقيه المحصورين اليه .. دفن رأسه بين ثناياه صار يسحب انفاسه من سم خياط رفضه للحياه من بعد رحيل الجنرال ملأ برماده المستقر بقعر رئتيه حجب عنه انفاس الحياه واستبدله بتراب الموت الذى بات يبغيه .. يرجوه بكل ما فى الكلمه من معنى لكى لا يُقابل مصير الجنرال الراحل .

دقائق سكتت فيها الدنيا من حوله واعتلى السكون مسامعه رفع رأسه مبصراً السواد المحيط به فلم يرى منه سوى الصمت .. الصمت فقط .. حتى شعر بمداعبه شيئاً ما اسفل عقب الباب فك عقده ذراعيه ثم مد يُمناه ليتحسس ما تسلل من الشق وحط إلى جواره دون استئذان تلمسه بأطراف انامله ثم قبض عليه فعلم انه شريط الاقراص المهدئه.. مرره إليه دكتور محسن من اسفل عقب الباب لكى يُهدأ من ثورته بالقليل منه .. فقأ إحدى اعينه

واخرج جوهرته المهدئه ذو التأثير السحرى على النفس البشريه خاصه ان ادمنتها وهو لم يصل إلى هذه الدرجه المرضيه لكن نفسه تشتاق إلى جرعات اعتادها دمه مع الاسف وألفتها رأسه السقيم .. فرك القرص المهدىء بين ابهام وسبابه يده ثم اخفاه بقبضه يسراه مرت دقائق قليله استعاد فيها بقايا قوه كان يدخرها لعُسره وها هو فى امس الحاجه للاستناد عليها .. نهض فى تثاقل وأدار مقبض الباب فى هدوء فواجهه محسن الذى لقاه بأبتسامه مُطمئنه .

- عمر .. انت كويس ؟

- انت ايه علاقتك بليلى يا محسن ؟

باغت عمر الطبيب بسؤاله الغير متوقع تماماً فإحتقن حلق محسن وُعقد بطرف لسانه الجواب .

على هدى انوار الشمعدان الملتهبه المتراقصه تأرجح طيف عمر الجالس امام المدفأه على كرسيه الهزاز حمى الدفىء الدماء بعروقه فأعاد اليه الحياه التى لايزال يرفضها بعميق قلبه .. يروح ويجيىء مُسايراً اهتزاز الكرسى حتى اتاه

محسن ودفس بيمناه قدح مشروبه المفضل داعبت انفه شُعيرات الدفء الهاربه من حُرقه قعر القدح إلا انه لم يستسلم لحلاوتها بل ظل مخلص لأمر الرفض الهائج بداخله .. جلس محسن مقابلا له وارخى جسده على اريكه عتيقه تأمل حال عمر للحظات حتى تحرك عنه لسانه فى هدوء .

- سياده اللوا نصر الديب كان بيحبك اوى يا عمر .. كان بيعتبرك زى ابنه عاصم ويمكن أكتر كمان .

صرعته النظره التى أسهمها عمر إلى صدره فأستطرد محسن دون ان يهتم بالشرار المتطاير من عينى عمر .

- أكيد انت كمان كنت بتحبه مش كدا برضو .. اكيد ما هو انت خليفته فى الاداره كان

دايما بيقول عليك كدا .. الله يرحمه .

أحاط الصمت المكان إلى ان عاد محسن بلسانه ليحطمه .

- عارف يا عمر .. نصر بيه الديب هو اللى طلب من العميد محمد العنانى التصديق على طلب اجازتك المفتوحه .. اعذرنى .. كان لازم اكلمه عن حالتك بس اطمئن مفيش حد غيره يعرف انك استعانت بيا عشان ....

أطاح عمر بالقدح فى نوبه ضيق غريبه عنه لم يعهدها عليه محسن من قبل.. ضرب به الارض وطارت قبضته واستحكمت عُقدتها بلياقه ستره محسن .. اقترب منه فى ضيق اعور وحدثه مزمجراً لدرجه تطاير لها اللعاب من فمه .

- انت عارف لو مقولتليش ايه علاقتك بليلى أنا هعمل فيك ايه .. هاااا ؟

أسلم محسن يداه امام غضبه عمر وانصاع دون تفكير لأمره .

- طيب .. طيب هقولك كل حاجه بس انت اهدى .. اهدى عشان نعرف نتكلم .

- انطق .. قالها بصرخه آمره .

- حاضر .

أحل عمر قبضته من على مقتل محسن زجره بنظره ناريه تركه وعاد إلى

مقعده المتأرجح اعتدل محسن فى جلسته محاولاً اعاده هندام هيئته وازدرى لعابه وانسالت الكلمات على لسانه .

- ليلى يا عمر مريضه وبتتعالج عندى .. بتعانى من اكتئاب ثنائى القطب أكيد لاحظت جنونها وحبها المفرط للحياه وأقبالها الغريب على الدنيا .. هى فى الواقع بتخفى جواها عكس كدا تماماً .. لما كنت انت عندى فى المصحه فى بدايه مراحل علاجك .. ليلى كانت بتلاحظك .. كانت دايماً بتسألنى عليك طول الوقت .. تقريباً حفظت حاجات كتير عنك انت نفسك كنت قربت تنساها .. حسيت انها معجبه بيك ويمكن تكون حبتك او تعاطفت مع حالتك .. لما انت مشيت وسيبت المصحه ورجعت بيتك .. ليلى مبطلتش سؤال عنك لدرجه انها طلبت منى عنوانك .. رحتلك اكتر من مره .. بس انت كنت رافض تقابل أى حد غيرى.. ولما انت قولتلى انك هتسافر اسكندريه تأكدت انك هتيجى هنا الشاليه .. فخطرت على بالى فكره عرضتها على ليلى اتحمست ليها اوى .. وهى انها تساعدك فى الخروج من عزلتك .. بصراحه أنا اخفيت عليها ان قصدت انكوا تساعدوا بعض انتوا الاتنين فى العلاج .. كان لازم اخبى عليها لانها لسا مريضه .. أجرت ليها شاليه البيشبيشى وكانت هى عينى اللى بتابع بيها حالتك عن قرب .

فارت الضحكات من عمر حتى ثغر فمه عن اخره ضحكات تعجب لها محسن .

- ايه يا عمر .. مالك ؟

نظر له عمر ولم يستزده الامر سوى ضحك هيستري ُمبهم السبب حتى قطعت دقات الباب وصله الضحك الجنونى فألتفت ببصره تجاه الباب ثم أدار رأسه ناحيه محسن ولم ينبس بحرف .. خطى عمر فى هدوء قاصداً الباب أدار مقبضه حتى أبصرها ماثله امامه وابوالوفا يتمسح بساقيها كعادته بعد ان رشته بقطعه من البسكوت المحشو بالعجوه المحبب إلى لسانه .

- ليلى !!

نطق أسمها وجانب فمه مُنزوي بظل ابتسامه باهته فى استخفاف وزاغ ببصره بينها وبين محسن .

- مظنش انها صدفه ولا ايه يا دكتور ؟!!

أفسح عمر لليلى الطريق فدخلت ماسحه المكان بعيناها حتى أدركت وجود محسن .

- دكتور محسن !!

نطقتها ليلى والاندهاش قد صفع وجهها بقوه .

- لا والله !.. أطلقها عمر هازئاً بأمرهما فنهض محسن مُتصنعاً ابتسامه ترحيب بليلى .

- ازيك يا ليلى عامله ايه ؟

لم تستسغ ليلى سُؤال الحال الذى يُخفى ورائه شيئاً حدثتها به نفسها بمجرد ان طالعت حال عمر المبهرج .

- هو فى ايه ؟ .. ايه اللى بيحصل بالظبط يا دكتور ؟

- اللى بيحصل يا لوله ان دى نهايه المسرحيه الماسخه اللى الدكتور محسن خلانى أنا وانتى نمثلها تحت اشرافه .. مش كدا ولا ايه يا دكتور ؟.

- عمر ما يصحش كدا اللى انت .....

بتر عمر حديث محسن واستطرد فى نبره خشنه .

- الدكتور محسن يا ليلى استعان بيكى عشان تساعدينى فى العلاج .. وده اللى فهمهولك بس اللى اخفاه عليكى بقى..هو انه استغل اعجابك بيا وجابك لحد هنا لعل وعسى اكون أنا كمان السبب فى علاجك .

اعتلت الصدمه الوجه الرقيق .

- ما تتصدميش اوى كدا .. انتى لسا مانتهاش كورس علاجك بالمناسبه .

تسمرت ليلى بمكانها هربت الدماء من وجهها كما هربت من بين جفونها الرقيقه دمعات لم تستطع احكام قيدها فأفلتت منها .. حاول محسن اعاده الامور إلى نصابها فباغته عمر .

- وانت يا دكتور محسن .. كنت فاكرنى ايه؟ .. عيل صغير ممكن تضحك عليه .. أنا

من اول لحظه شوفت فيها ليلى .. عرفت ان وراها سر كشفته مع أول رساله سبتهالى قدام الباب .. ريحه برفانها الساحر كانت مطبوعه عليه .. يا .. يا صاحب الحكمه إن كان هناك مُهلك لصاحب العقل المُتقد حتماً سيكون ذكائه الحاد .. هذا ما تردد برأس محسن الذى فاق من نوبه التفكير مُنتبهاً إلى الشىء الذى دفنه عمر بقبضته .. كان القرص المهدىء الذى رفض ابتلاعه هنا ادرك محسن لما لم تنزل ضلالات عمر عن رأسه حتى ألان؟ .. رفع عينيه فلم يجد سوى الفراغ مُرحبا به .. لفحته عاصفه ثلجيه اتته من الباب الذى تركته ليلى مفتوحاً حين لحقت بعمر .. أسرع محسن إلى الخارج فأبتلعه غضب السماء التى أمطرت العاشقان برداً .. أرتعشت منه ليلى التى قطعت الطريق امام عمر فمثلت امامه متوسله اليه كلما ابعدها عن طريقه لحقت به سدت عليه منافذ الهرب حتى جاء دور محسن فصاح منادياً بنفاذ صبر .

- عمر .. عمر يا زهران .. اسمعنى .

تنبه عمر إلى مناجيه .. دار برأس مُثقل فأبصره والسيل يغتسله رفع محسن سبابته مُحذراً .

- انت فى ايدك اخر فرصه .. لو ضيعتها متلومش حد غيرك بعدها .. ولو أصريت على اللى فى دماغك ورجعت البيت وانت لسا مخفتش مش هتقدر تفلت من وسواسك المرادى بسهوله .. صدقنى هيقضى عليك طول ما انت مصدرله ضعف وسلبيه .

- أنا هرجع يا محسن . هرجع عشان أنا مليت المرار .. مليت الانتظار لشىء ضاع ومش راجع .

- اللى مش هيرجع بجد يا عمر كل اللى ماتوا .. كل اللى نفذ فيهم أمر ربنا وهى دى

الحقيقه اللى انت مش راضى تصدقها .. عيلتك مش هترجع تانى .. خلاص .

- اسكت يا محسن .. اسكت حرام عليك يا اخى .....

- انت اللى حرام عليك اللى بتعمله فى نفسك ياعمر .. انت اللى بتتهرب من مواجهه الواقع وعايز تعيش على كدبه .. عقلك بيملهالك .. بس تأكد انك انت اللى هتندم فى النهايه وهتدفع التمن غالى أوى.

نفر عمر مدامعه بُحرقه فبدا امام ليلى كطفل ضل طريقه لحضن أمه تقلصت ملامحه تماماً صار شخص اخر بات مُحاصر بمُر الحقيقه التى اخذ محسن يقرائها عليه حين اخرج من جيبه مقصوصه لصحيفه تناولت الحادثه التى وقعت بالطريق الصحراوى

المؤدى إلى شاليه الاسكندريه .. شاليه العائله .. حادثه أنهت حياه الوالدين ولم ترفق بحال أسره عمر فأكلت بنيرانها زوجته وولديه .. كانوا ذاهبين جميعاً إلى الاسكندريه لقضاء اجازه الصيف .. كان من المفترض ان يلحق بهم عمر بعد ان ينتهى من عمله وينال اجازته السنويه ليلحق بالاسره الا أن القدر قد سبقه .

بينما يقرأ محسن متن الخبر تداعى على خاطر عمر صوره والده حين نُقل إلى المستشفى بعد الحادث .. كان لايزال بعمره القليل الذى قارب حد الانتهاء .

- سامحنى يا ابنى .

أطلقها نبيل زهران بعد ان رفع من على وجهه قناع التنفس الصناعى . نحب قلبه دماً فربت عمر على يُمناه وعيناه يعتصرها الدم .

- كنت سايق العربيه ومعرفش والله العظيم ايه اللى حصل؟ .. فجأه نور عنيا اطفى ومبقتش شايف حاجه .. الملعونه اصابتنى ...

يقصد غيبوبه السكر المرض الذى استطاع النيل من الهرم .

- عنيا غفلت ومدرتش بحالى الا وانا هنا فى المستشفى .. سامحنى يا عمر.....

حاول عمر التماسك امام والده لكن فاقد الشيء لا يمنحه لغيره مهما حاول تصنعه غطس بوجهه حضن ابيه بكى تعالى صراخه بعدما ادرك نفاذ الامر الالهى بحق ابيه الذى لحق بالاسره التى خطفها الموت .

- بابا .. بابا رد عليا .. باباااااا.....

أعاد هزيم الرعد الوعى إلى عمر فأدرك ما حوله .. انتهى محسن من قراءه الخبر الاسود وتقدم ثلاث خطوات حتى مثل امام عمر .. قبض على منكبيه وهزهه متوسلاً .

- فوق يا عمر .. فوق من اللى انت فيه ارجوك .. عشان تكسب نفسك على الاقل يا حبيبى .

- وانت بقى اللى هتكسبنى نفسى .

- أنا بحاول اساعدك فى الوقت اللى انت فيه رافض حتى تساعد نفسك .

- قولتلك انى مش قادر .

- لأ هتقدر .. هتقدر يا عمر .. انت عارف الفرق الوحيد اللى بينى وبينك ايه ؟

- انك دكتور .

- بالعكس .. اصعب حاجه على الطبيب .. أى طبيب انه يتصاب فى تخصصه .

- كفايه لحد هنا يا محسن .. أنا خلاص قررت ارجع .

- لا يا عمر .. مش هترجع .. وهتكمل فتره علاجك وهتقوم بالسلامه وهتخف.... عمر ... يا عمررر .....

قطع عمر حديث محسن فأزاحه من طريقه وخطى متجهاً إلى سيارته فلحق به ابوالوفا وتبعته ليلى فصاح محسن منادياً عليه حتى اوقفته ليلى.. حاولت منعه بدموع انسالت على وجنتيها فرسم عمر على وجهه ابتسامه باهته هازئه ساخره من كل شىء وهمس اليها .

- قوليله انى بطلت أصدق واحد دواه كله مُر .. بالظبط زى حقيقه الحياه اللى عايزنى اواجها وهو اصلا عايشها ومش قادر يعيش حياه غيرها .

هوى عمر بكامل جسده بين يدى ليلى فانفطر قلبها عليه ولعن محسن القرص المهدأ وقذفه لخضاب الارض داس على مرارته وهرع ليتفقد حال عمر

بعد ٣٢ ساعة

حمى قرص الشمس بجوف السماء وبعث بُرسل الدفء إلى الارض فزارت حزمه ملتهبه جو الغرفه التى حوت بأحد اركانها فراش رقد عليه جسد يعتليه عقل مشوش لرأس ضربها الصداع حتى أفاق النائم من سكرته .. فتح عمر اجفان عينيه حاول تمييز ما حوله فجاءته الرؤيه مشوشه فنهض الراقد إلى جواره وراح يتشممه ويلعق ما تبقى من نعاس على وجهه .. داعب عمر عنق ابوالوفا حاول ان يبعده قليلاً عن وجهه .. لكن الكلب المخلص أبى او ربما ذاب حنيناً إلى صديقه الغائب عنه رغم انه نام أمامه فى سلام نام بعدما اثقله الارهاق وصدحت برأسه ضلالات اغابته عن الوعى وعن نفسه وعن الحياه كلها .. نهض عمر بظهر مقسوم وصدر خُلعت عنه اضلاعه تمطع فدوت طقطقه مفاصله وداعبت اسماع ابوالوفا فرد عليها بنباح ايقظ حواس صاحبه بالكامل .

جلس عمر على طرف السرير أستقبل بوجه منكمش رُسل الدفء اغمض عينيه فى محاوله لأستعاده ذهن صافى يساعده على ادراك ما حدث له .. مسح الغرفه فلم يجد جديد سوى مظروف وقف بقدم مكسور مُستنداً على كوب ملأ الماء نصفه والى جواره شريط اقراص المرار وقد حطوا جميعاً على سطح الكومدينو المُحاذى للسرير .. ألتقط عمر المظروف وتفحصه بعين جاحظه واخرى مُغلقه تماماً وسد به تثاءب طويل ثم فضى ما اخفاه ببطنه .. كانت دعوه تركتها له ليلى ترجوه فيها حضور الحفل الموسيقى الذى ستكون احد العازفين فيه وستقوده بآلتها الوتريه .. الكمنجه .. لتعزف صولو حفل عيد الميلاد .. عيد ميلاد سعيد .. امنيه ليتها تتحقق اسرها عمر بداخله قبل ان تقع عينيه على كلمات خُطت بظهر الدعوه :

((الحياه تستحق مزيد من العناء لننعم بها .. لذا فلا تحط من قدرها ولا تهول من شأنها فقط أرضى بما ُقدر لك حينها سيرضى عنك خالقك وسيستقيم أمرك ولن تعتريك ضلالات الدنيا .. طالما انك تسير بنور الله .. عش ُمنصتاً إلى قلبك ثم حدث من بعده عقلك))

بكل امنيات العالم اتمنى ان تلبى دعوه ليلى

د / محسن

ابتسم عمر وشخص ببصره إلى النور الساطع القادم من شق بالنافذه ضارباً باشاعته صفحه وجهه فأغمض عينيه ليغرق فى استسلام بين تلاطم امواج هاجت بمحيط رأسه .

****

الميلاد الأخير

" فكما بداخل كلاً منا روح الحياه .. ايضاً ترقد فينا ديدان
الهلاك والتى ما ان تستشعر ضعف بنى الانسان حينها
تبدأ رحله حياتها .. تنهش الاحشاء .. تمتص الدماء ..
تحرق اللحم .. وتنخر العظام .. حتى يتملك منا امر الفناء
هكذا يحيا بيننا الارهاب ُمستبيحاً اعراض الاوطان .. فلنعى
وننتبه ونحاذر .. غدره "

بحركه التنقلات الاخيره حل بيا الرحال ليحط هذه المره بحدائق الزيتون – قسم الزيتون. مبنى صغير مُستقل بذاته رغم ان البنايات السكنيه والاداريه تحوطه من كل اتجاه ملاصق له وحده إطفاء .

منذ أول لحظه دببت فيها أرض القسم وهناك إجراءات أمنيه ُمشدده .. سياج حديدى شائك تدعمه ُبلوكات خرسانيه وأعين لا تغفل لحظه ولفيف ُمتيقظ يحرس المأمور ودروع بشريه تلاصق ظهر رئيس المباحث الجديد .. العبد الفقير إلى الله .. وذلك بعدما تم إغتيال الضابط السابق لي .. ُفتحت عليه النار اثناء تأديته إحدى المأموريات ولم تتركه إلا وقد أردته قتيلاً يسبح ببركه صنعتها دمائه .. ولا يزال جاري البحث عن القاتل أو بالاحرى القتله .

الحي هادىء نسبياً خاصه يومي الجمعه والاحد بعد أداء الصلوات بالطبع ..إلا أن عنوان المحيط بمجمله يتخلص بكلمتي الترقب والحذر .. الكل يسير ُمتلفتاً خلفه ويساره ويمينه يتمنى لو كان له مرآه عاكسه تكشف له ما بظهره رغم ان الجميع يعيش فى طوق ُضرب بظاهر جداره السلام وبباطنه المحبه لكن الأعين باتت تتفرس ما حولها سواء كان قريب او كان غريب !!! .

سلمت أمر النقل للمأمور .. رجل توسمت فيه الدهاء كلامه قليل وربما نادراً لا يُكلف احداً بأمر فالكل يعلم مهامه جيداً لكن الخطأ عنده لا يُغتفر ستجد ثوره بركان لا بد وان يُذيقك لسعته ان لم يلتهمك حين تخطأ او لم تتم ما عليك .. هكذا جاءتنى نصائح الاصدقاء بشأن مأمور القسم .. كانت بمُجملها راضيه مُرضيه مُحذره .

مرت أيامى الاولى بالقسم فى هدوء لم اعتاده احرقتها كلها فى مباشره اعمال روتينيه بحته بلاغات تافهه تنتهى بمجرد كلمه ترضيه للطرفين .. شجار أعور بين الشباب على فتاه او شيئاً كهذا .. ختم اوراق لتمرير بعض الاجراءات لعامه المواطنين هكذا وجدت حالى إلى ان جاءتنى الورقه الخضراء المائله للزُرقه .. إشاره كم غابت عنى وكم تمنيت ألا تأتينى مُطلقاً لكن طالما ان هناك بشر فأعلم ان هناك جزء مُظلم بالحياه يحتاج إلى من يُنيره وهذا هو جُل عملى .. بحث لا يكف عن حقيقه غائبه .

لم ابتعد كثيراً عن موطن عملى الجديد فبأحدى بنايات شارع سليم المُشتعل دائماً والمُزدحم بإستمرار والملىء بصخب يُعمه طول الوقت الصياح .. يُشتهر بسوق السمك لكن الحقيقه تُقر بأن هناك اسواق تجاريه تقبع بكل ركن بحاراته وازقته .. وهناك كان محل البلاغ .

بمنزل ذو طوابق خمس يُطل على ميدان الحلميه تمتلكه سيده عجوز تخطت السبعين بسبعه اعوام من عمرها سُلبت منها منحه الرب فحجبت عنها السماء نور العين جعلتها تهيم بظلام لا اخر له تُدعى الحاجه (سعديه) .. تأوى بغرفه متواضعه الحال مبنيه بسطح المنزل شابين احدهما طالب بكليه الهندسه والأخر يدرس بكليه الزراعه جمعتهما وحده الميلاد والأغتراب لأجل تحصيل العلم وطلب الكفاف من رزق فعمل احدهما بمكتب للدعايه .. بينما لف الاخر حزم الازهار بُكشك لبيع الورد .

سكان العقار محدودين للغايه أسره حديثه العهد واخرى اشتد عود ابنائها فهجروا الاباء وسيده المنزل الكفيف وشابي السطح بالاضافه إلى محلات

تجاريه فُتحت بالاسفل لتدر دخلاً يسيراً للسيده العجوز .. ضربت باب الغرفه المُتهالك ومسحت بنظره تفقديه الارجاء اغراض مهلهله وكتب تملأ كل ركن وقتيلان لم تبرد عنهما نيران الموت بعد .

حالفنى الحظ فتولت تلميذه دكتور صادق النجيبه دكتوره ياسمين المهدى الفحص بينما تقصى رجال المعمل الجنائى اثر القتل اخبرتنى بنبره اعادت إلى مسامعى صوت رجل لم ولن انساه ما دُمت حي رجل اهتديت على يده إلى ملكات البحث التى وهبنى الله اياها .. اعلمتنى خليفه دكتور صادق ان القتل تم بمسدس ربط القاتل على فوهته ماسوره اضافيه كاتمه للصوت .. احد الشابين نال رصاصتين اخترقت الاولى ناصيه رأسه ومزقت الثانيه اضلاع صدره بينما الثانى نال نصيبه بثلاث طلقات دفعها القاتل إلى قلبه فهتكته تماماً والمُلاحظ على كليهما اعينهم الجاحظه والفم المعقود لسانه والمنتصب فى حاله تخشب حتماً .. هناك سر قد عاينه الصديقان ولم يرد ثالثهما البوح به إلى غرباء .

كان من المفترض ان يتم المعاون تحقيقه مع سيده المنزل الكفيف الا انه يحمل ببطنه كسل أعور جعلنى اقولها وبكل صراحه .. ولا يوم من ايامك يا درش! .. وهذا ما فسر لي السبب وراء حفظ كثير من القضايا لفاعل مجهول فهذا لا يعنى سوي امران لا ثالث لهما إما أن المُجرم ذكى للغايه او أن ضابط البحث كسول تراخى عن اداء واجبه .

- وصلت لحاجه يا معتز ؟!

سؤال ايقظت به رأس المعاون الجديد .

- للأسف لسا سعاتك .

قالها وكأن الأسف عنده غايه يصبو إليها كلما هاج هرمون التراخى بدمه .. كلمه سهله رخيصه لا تكلفه سوى عناء التلفظ بها .

- طيب فين الحاجه سعديه دلوقتى ؟

- الحاجه سعديه صاحبه البيت ؟!!

لا أعرف إن كان يختبر معلوماتى ام أن حاله التوهان التى تتملكه قد فطم عليها ألان .

- انت شارب حاجه يا ابنى .. مالك .. انت فى حاجه شغلاك ؟

هز رأسه فترجرجت خدوده التى لا يُفارقها الاهتزاز كلما تحدث .

- لا ابداً يا فندم .

- طيب اومال ايه بس .. كمل انت هنا وانا هتمم مع الحاجه سعديه .

- حاضر سعاتك .

صحيح .. إن قضيت عمرك كله تبحث عن الكمال فلن تجده بإنسان فالكمال صفه رب السماوات اما بالارض صفات تناثرت بين المخلوقات .. كنت بالسابق اعانى نشاط المعاون مصطفى سرور كانت تمر عليه ايام لا يذوق فيها للراحه ايه طعم .. يكمل خطواتى بل واحياناً يستبقها اما اليوم فقد تبدل بيا الحال وصار لي معاون كلما طالعته تذكرت صوره موظف الاحوال المدنيه والروتين يتدلى من فمه .. معتز الشربينى لا يجيد فى حياته سوى شيئان الأكل والأسف .. هو بالنسبه لي رجل الاسف الذى لا تقهره الظروف تحترق الدنيا من حوله ولا ُيقابلك سوى بأسف لا ينقطع عن لسانه حتى وإن لم يُخطأ .. شكر يا تز .. هكذا يلقبونه .

طرقت باب سيده المنزل كان مواربا ارحته فى هدوء وولجت إلى بطن شقتها كانت ترقد على كنبه عتيقه تتلفت بأذانها فى كل اتجاه ما ان عاينت صوت غريب رحبت بي سيده اخرى كانت ُتجالسها وُتسقيها عصير ليمون .. اتخذت موضعى مُحاذياً لمجلسها وسلبت عنها كلمات جرت على لسانها فى حسره حين تحدثت سرت بداخلى رعشه لم اعتادها يوما بعملى .. السيده الكفيف نالت ولأول مره من عاطفتى بنحيبها المتهدج حزن صادق يحرق عليها هواء رئتيها .

- معلش يا أمى أنا اسف محتاج اسمع شهادتك .. لكن ان كنتى .....

- أنا كويسه يا ابنى وهحكيلك على كل حاجه .

لفظت كلماتها بصلابه لم تُحكم تصنعها امام رجل انهك طريق البحث ولا يزال قلبه ينبض بحثا وراء كل خفي بحياتنا .. أدارت وجهها ناحيتى واعتدلت بجلستها وراحت تستطرد بعينين زائغه ما بين السقف والارضيه .

- أبو على عدى عليا .. تقصد الشاب (حسن شاهين) طالب كليه الزراعه الذى يلف حزم الورد .. زى كل يوم أصله كان متعود يفطرنى ويدينى دوا الضغط .. ربنا يرحمه بقى .

مسحت بحرقه مدامعها حزناً عليه .

- بعد ما فطرت خدنى من ايدى وطلعنا السطح - بضم السين قالتها فى نبره شرقاويه جميله - فقعدنى قباله الشمس وقالى ياما ثوانى والشاي يكون جاهز .. دخل الاوضه حبيبى إلا وفجأه وسمعت صوت كركبه جايه من قلبها - شهقت قابضه على اسوره صدرها - قلبى انقبض قمت مفظوعه على صرخته كأن تعبان لدغه .. ما أنا معرفش بقى اللى فيها .. اتسندت على الكنبه لحد ما وصلت للباب ولسا هنادى على ابو على قوم فجأه ايه .. لقيت نفسى ماسكه واحد طول بعرض من مقتله وصرخت بعلو حسى كان جرم ليه دقن شوك بعيد عنك .. لكن ايش ياخد الريح من البلاط .. زقنى اتكفيت على وشى أنا قولت فى عقل بالى يمكن يكون حرامى رمه .. ناديت بعلو حسى على ابو على .. مفيش ابوعلى .. اتلميت على نفسى وقمت دخلت الاوضه زحف اه والله يا ابنى .. ألا واتكفيت على حسن اللى كان سايح فى دمه جنب اخوه (ماجد) - تقصد ماجد وجيه صديق حسن المغترب وطالب كليه الهندسه - ومدرتش بنفسى إلا وهستريا صويت مسكت فيا ومسابتنيش الا لما زورى ادبح منى .. قتلهم الغدار قتلهم وحرق قلبى عليهم .. ربنا يرحمهم ويصبر اهلهم .. والله يا ابنى أنا منا عارفه هقولهم ايه .. شور عليا لأحسن أنا خلاص هشت .. ربنا يرحمك يا حسن انت وماجد .. عمرى ما شوفت منهم غير كل خير .. كانوا شابين يسدوا برجولتهم وجدعنتهم عين الشمس .

انتابتها موجه نحيب صادق فملت عليها مُحدثا أذنها .

- طيب يا حاجه سعديه مقدرتيش تسمعى أى كلام او أى صوت لفت انتباهك ؟

- والله يا ابنى مفيش غير صرخه حبيب قلبى شقتنى من جوايا .. لكن ورب الكعبه ان داب وسط الف بعون الله اجيبه مابينهم واميز ريحته .

- هو كان ليه ريحه مميزه ؟

- اه .. ريحه عنبر .. خنقتنى .. تقولش كان مستحمى بيه .. الله يجازيه .. حسب الله ونعمه الوكيل فيه .

ربت على يمناها .

- طيب يا حاجه سعديه أنا هسيبك تستريحى دلوقتى ولو فى أى حاجه افتكرتيها ياريت

تبلغينى بيها على طول .. ربنا يصبرك .. والبقاء لله .

- البقاء لله وحده يا ابنى .. متشكرين .

تركت السيده بعدما انتهيت من مداعبه صغيرتى الورقيه وأودعت قلم البحث بُسرتها ورحلت عن المكان .

ابتلعنى صخب العامه فالمسافه بين محل البلاغ والقسم لا تتعدى محطه لذا فضلت ان اقطعها على قدمي .. حاولت تجنب صياح سليم فأنحنيت إلى سكون طومان باى هدوء ربما يبثه صلوات كنيسه العذراء بالمحيط رغم تدافع المرضى على مستشفى العذراء مريم المواجه للكنيسه .. الجميع يودع العام والكل يشتاق إلى تقبيل رأس السنه ليستقبل سنته الاتيه على مهل مله العامه .. المتاجر تتجمل بزينه الميلاد حيث الشجره السعيده التى تدلت من بين فروعها هدايا لمع بريقها بألوان زاهيه تسر الناظرين سيحل علينا عيد الميلاد بعد ساعات والكل على عجله من أمره .

أغلقت باب المكتب وانفردت بمفكرتى التى خط القلم على صفحتها ما إلتقطته عيناي حين تفحصت اركان الغرفه التى سبح على ارضها جثتى شابين ضربا ارض الله الواسعه طلباً للعلم والعمل فصنعت رصاصات صامته

من دمائهما مسبح هامت فيه الجثتين .. راجعت ما سبق وان دونته من ملاحظات وفضت كيس كان فيه بعض حاجيات الشابين .. كان من بينها لوحه لم تُكتمل بعد لشجره عيد الميلاد وقد نمت بقلبها صوره فتاه اظنها هى من شغلت قلب صاحب الريشه .. كما كان هناك دفتر محاضرات قسمت صفحاته إلى مربعات نصف سنتى وحملت اوراقه الاولى نماذج هندسيه معقده التشكيل لم يكن دفتر التدوين يخص صاحبنا بل حمل بصدره اسم الفتاه التى لابد وانها محبوبته التى لم يكمل رسم صورتها بعد .. جاءنى دبيب الاتصال رتيب ثقيل كعادته من الطرف الاخر حتى أجابت .

- ألو يا ميجو .. انت فين يا ابنى .. مجتش النهارده ليه دكتور حلمى وافق يأجل تسليم المشروع بالعافيه اتحايلت عليه لحد ما لسانى ادلدل منى .. بس تمام أى خدمه ياعم .. كله يهون عشان الزبون .

أمطرتنى صاحبه الصوت الروش بسيل من الكلمات تتحدث بسرعه لا تُحتمل ولا تُمهل حتى محدثها ثانيه واحده تساعده على الانصات والتفكير حتى فاحت منها ضحكه مجلجله ثم هدأت وتساءلت فى ريب .

- ايه يا ابنى انت مابتردش عليا ليه .. اوعى تكون لسا نايم .. الساعه جابت ١٥ الا تلت ميجو .. انت رُحت فين يا ابنى ...

تنحنحت قبل أنا اعلمها بهويتى .

- أنسه رانيا .. أنا مش ماجد وجيه .

صمتت لثوانى ثم .....

- اومال مين حضرتك .. وتليفون ماجد بيعمل معاك ايه ؟

- اولاً أنا اسمى عمر زهران .. ظابط مباحث اما بقى أنا بعمل ايه بتليفون ماجد فدى محتاجه قعده .. أنا محتاج اقابلك ضرورى .

- هو ماجد كويس حضرتك .. ولا جراله حاجه .. طمنى ارجوك ؟

ابتلعت لعابى بصعوبه قبل ان اصفعها بالنبأ المشئوم .

- ماجد وجيه .. اتقتل .

- ايه !!

تأملت اللوحه التى نقشها النصف الاخر لقلبها .. مرت عليها بأناملها .. سقطت منها دمعه فبللت اللوح المنقوش عليه صورتها .. مسحت مدامعها وازدرت ريقها وتصنعت التماسك .. قدمت لها دفتر المحاضرات التى قد اعارته لصديق قلبها .

- البقاء لله انسه رانيا .. أنا اسف كان لازم اتواصل معاكى واقابلك ضرورى .. خاصه بعد ما لقينا دفتر محاضراتك بين اغراض ماجد الله يرحمه .

شنت حزنها بأنف سده رماد الفراق ومسحت عينها بظهر يمناها لامست الدفتر ثم ضمته إلى صدرها .

- أنا مقدر طبعاً الحاله اللى انتى فيها بس اذا كان فعلاً ماجد عزيز عليكى يبقى لازم

تساعدينا .

- حسن شاهين صاحب ماجد عرف باللى حصل ولا لسا ؟

- حسن شاهين اتقتل هو كمان يا رانيا واللى قتلهم شخص واحد واغلب الظن انه كان قريب منهم اوى .. خاصه الفتره الاخيره .

اغمضت عيناها فى صدمه صكت بعدها فمها ثم بعد دقائق من الصمت حاولت فيها استعاده وعيها .. نطقت .

- أنا فى ايدي ايه اقدر اقدمه يا حضره الظابط ؟؟.

- أنا محتاج اتعرف على اصدقاء ماجد .. بس بشرط مش عايز حد منهم يعرف باللى حصل .. اتفقنا ؟ .. هزت رأسها فى استجابه لطلبى .

بعد ثلاث ساعات قضتها الفتاه فى عصف ذهنها لتستجمع صور الاصدقاء وتمليني اسمائهم ومدى ارتباطهم بصديقها وفى النهايه نجحنا للوصول إلى قائمه قصيره لفت نظرى اسم كان من بين الاسماء التى درجت بقائمه الاصدقاء التى حاولنا حصرها .. اسم وشى لي عن رائحه صاحبه .

مع طله كل صباح تحل صينيه قطرها يزيد عن المتر عامره بأطباق تصدح

بروائح قد يسمع ندائها من شد الرحال إلى بلاد الواك واك .. كانت منحه يتكالب عليها الافراد لتتسع الهبه فتمتد إلى الامناء ومع ارتفاع أذان الظهر يأتى المرسال وفى يده لفه سندوتشات حُشر ببطنها ارطال من اللحم او قطع الدجاج يُباركها المعاون بألتهامه لها ليجر الرجل اطباق الصباح التى لعُق الزبد منها .. منذ ان قدمت إلى القسم وانا اتابع الصينيه التى تغدو عامره وتروح فارغه من وراء زجاج باب مكتبى .. زجاج عسلى يسمح لمن بالداخل معاينه ما يدور بالخارج دون ان يعلم احد .

- اتفضل قهوتك يا باشا .. الف هنا .

وضع (حسين الصغير) عامل البوفيه فنجان القهوه بات يحفظ مواقيت عادتى السيئه فنجان اسود بالصباح واخر بعد الظهر واخير عندما يحل علينا المساء .

- ايه دا يا صغير ؟

- دى تحيه كدا يا باشا من مطعم الاخوه .. سندوتشات شاورمه انما ايه .. عجب .

- تحيه من مطعم ايه ؟

- الاخوه سعاتك .. عبدون اصله عمل حسابك يا باشا أول ما عرف ان سعاتك بقالك كام يوم بتسهر على القضيه الجديده .. صحيح يا باشا .. قربتوا توصلوا لأبن الحرام اللى عملها .

طالعت السندوتشات وحادثت حالى لعلها المصلحه ليس اكثر .

- خد السندوتشات دى يا صغير وياريت الكلام ده ما يتكررش تانى .

- ليه كدا بس يا عمر بيه .. ده خير .. ماتكسفش سعاتك الراجل اللى واقف بره ومستنى يعرف السندوتشات عجبت سعاتك ولا لاء؟؟ .

انحرفت عيناي تجاه الباب فوجدت عبدون مرسال مطعم الاخوه يقف بالخارج مُتخذاً وضع الانتباه رافعاً يُمناه فى تحيه عسكريه لي .. التفت الصغير تجاه الباب ثم استدار لي - هو ده عبدون سعاتك وبيمسى عليك اهو يا باشا

. والنبى .. والنبى يا باشا ما تكسفه دا واد غلبان زى حلاق .
المعنى الوحيد لتحيه عبدون هو انه يعلم تماماً سر الزجاج الساتر لمن بالداخل والكاشف
لمن يقف بالخارج .. واضح انه يعلم عن القسم وجنباته اكثر ممن ينبغى .
- اطلع قوله شكرا على السندوتشات وقوله انها عجبتنى وبعد ما يمشى تيجى تاخدها من قدامى .. مفهوم .
- ليه يا باشا .. هو فى ايه بس سعاتك ...
- مفهوم .
- مفهوم .. مفهوم ياعمر بيه .. بعد اذن معاليك يا باشا .
انسحب الصغير مطأطأ الرأس حتى اصطحب مرسال الهبه التى لم اجد لها تفسير منطقى إلى ألان واختفى تماماً عن البصر .
مع اخر رشفه من فنجان المساء قذف المعاون الجديد على سطح مكتبى ملف التحريات الذى كنت قد قاربت نسيان أمرها لتأخره عليٌ .. ايام المعاون النشيط كنت قبل ان انطق بالكلمه اجد امامى ما دار برأسى .. انت فين يا درش ؟ .
- اتفضل يا عمر بيه .. ده ملف التحريات اللى سعاتك طلبته .
- ده كلام يا معتز .. ايه كل ده .. انت كنت بتحلبه من بقره صومالى .
- يا باشا أنا مخلص الشغل ده من بدرى .. المشكله كانت فى ده سعاتك .
قدم لي ملف اخر يفوق حجمه الملف السابق له بمراحل .. حمل الملف الاول تحريات تخص اربعه اصدقاء مقربين لماجد وحسن بينما الصديق الخامس استأسر بملف خاص كنت متوقع صاحبه .
- الناس دى أنا عايزها يا معتز ضرورى .. ها ؟
- حاضر يا عمر بيه .. بعد اذنك .
- خد هنا رايح فين ؟
- هروح ألمهم سعاتك .

- تلم مين .. أنا عايزهم بكره .. خصوصا الواد ده .
- تمام يا باشا .
التهمت ملفي التحريات امعنت التفكير بصاحب الملف الذى نقش بصدره شعار جهاز الامن الوطنى .. هنا بتر عليٌ حلقه عصف الذهن بالمشكوك بأمره نوبه صداع كادت تقضى عليٌ مع سبق الاصرار والترصد .. ارغمتنى على التوقف فرضخت لألحاحها أذبت بحلقى نصف شريط لمعالجه الصداع الفتاك من عينه ابدأ بقرصين .. ولا فائده سوى المرار لملمت اغراضى ومن بينها بالطبع ملفي التحريات وقررت مغادره المكتب لابد وان جفنای صارا بحاجه ماسه لراحه افتقدتها منذ امس .
تخطيت عتبه القسم وانعطفت إلى اليسار حيث كانت سيارتى ترقد .. فوجدت ذراعى المساحات منصوبه كرماح مُحذره من العبث بالسطح اللامع لسيارتى التى منذ ان اتخذت موضعها بين صفوف سيارات اصحاب الرتب العاليه بالقسم .. لم اجدها يوما تعانى الاهمال .. التففت حولها فانتبهت مسامعى التى اهتدت إلى الفك المتوارى بالخلف وقد حط إلى جواره لفه طعامه واخذ ينهش حقول الجرجير ليطحنها تحت ضروس سحقت اقراص الزيت الاسود وصحن فول مدمس وكيس باذنجان تم قليه بدوده الحقل فصاحت منه رائحه التعفن .. مرت الثوانى وعامل النظافه الاربعينى لم يشم لي رائحه حتى ألان .. انشغاله بعمليه الهرس التى يتقنها فمه ألهته عن الدنيا وعن العالم من حوله .
- انت ابو عمر ؟ .
أشاح بوجهه ناحيه الصوت .. مد بصره إلى الاعلى فأدركنى .. شهق كأن حيه لدغته فمسح جانبى فمه بكم سترته الزيتيه التى استحال لونها إلى النيله المائله للقطران ورفع كفه مُحتفياً بي حيث تطايرت بقايا الطعام من فمه .
- عمر بك .. كيف الحال ؟
سبق وان طالعنى حسين الصغير عامل البوفيه على سيره ذاتيه للرجل لكنه

لم يخبرنى انه شامى الاصل .
- انت اللى بتمسح عربيتى كل يوم ؟ .. هز رأسه مُؤمنا على كلامى .
- ايه أنا .. والله اذا بتريد ألعقها بلسانى بتؤمرنى وبتترك الباقى لحالى .
- لا يا راجل عيب ماتقولش كدا .. على العموم أنا متشكر .
قبضت على ورقه ماليه فئه عشرين جنيه ودفستها فى جيبه المجاور لنبضه .
- خد دى حاجه بسيطه عشان تجيب حاجه حلوه لعمر وانت مروح .
أكد عليها براحه يمناه وانتصب شاكراً .
- الله يكرمك يا عمر بك ويخليلك اولادك ويعطيك الف عافيه .. ويبعد عنك كل شر .
- متشكر .. عن اذنك .
- اتفضل يا بك .. مع الف سلامه .
أدرت سيارتى قاصداً المنزل ولم تفارقنى صوره الرجل الذى تخطى عقده الرابع واجبرته حياه بلده القاسيه لطلب الرزق ببلد اخر يُنظف ارضها ويتذلل الخلق لينال فتات عيش يعفيه هوان تكفف الحال .. يُنظف سيارات اصحاب المعالى بُغيه الرضا ودرئاً لسُباب حقير قد يلحق به ان لم يدفع لسان اصحابه عنه بخدمه مجانيه يقضيها لعرباتهم أى حياه هذه يُحيها عامل النظافه المغلوب على امره ؟؟.

مرت الليله التى غفوت ساعتين فقط من سوادها قضيت الساعات الاولى لشروق ما بعد الفجر فى اكمال فحص ملفي التحريات .. ملفات الاصدقاء المقربون لسيدا قضيتى المعقده حسن وماجد .
بتمام الثامنه صباحاً كان يتلوى على الكرسى امامى الصديق الاول صعقته الصدمه حين اخبرته بمقتل صديقيه ثم توافد على كرسى التحقيق الاصدقاء تباعاً حتى جاءنى زائر الليل حل امامى بجسده المتنعم بصحه لا يمتلكها ثلاثه فتيان من بنى سنه يرتدى جلباب ابيض رُفع عن كاحل قدميه يعلوه

جاكت صوفى بُنى قاتم يدوس بحذاء اسود غبره تراب الارض يُغطى رأسه بشال ابيض اخفى اسفله زبيبه صلاه مُنتفخه بناصيه رأسه .. مطلق لحيته التى كان يُؤمن عليها بيمناه فى الثانيه عشرين مره بدا (خليفه سليم الامير) هادىء تماماً حتى بعد ان اخبرته بمقتل زميلاه .

- قولى يا خليفه .. انت كنت من الاصدقاء المقربين لحسن وماجد .. مش كدا ؟

- نعم - القاها بلسان عربى حاد ترى بباديه العرب الاوائل .

- وياترى اتعرفت على مين فيهم الاول ماجد ولا حسن ؟

- نحن ابناء جامعه واحده جمعتنى بالصديق ماجد وجيه دراسه الهندسه اما الاخ حسن شاهين فكان طيب ازهاره لا يُفارقنى ابداً .. كنت اشترى منه ازهار الياسمين التى اعطر بطيبها بيتى .

- ايوه بس اللى اعرفه عنك انك نزيل فندق متواضع فى العتبه .. مظبوط ؟

رفع عينيه وتدلى منه فكه السفلى لثوانى حتى انتبه لحاله حتى رُد اليه وعيه .

- صحيح .. لكنى تركته منذ ايام .. اعيش حاليا بمنزل احد الاصدقاء .

- تمام .. تشرب قهوه ؟

- انى صائم .

- ايوه بس النهارده الجمعه .. يعنى لا الاثنين ولا الخميس !!

- اليوم هو الاخير من العام المشرف على الانقضاء وقد اعتدت صومه .

- ربنا يتقبل منك .. يضايقك لو شربت قهوتى قدامك ؟

- لا عليك .. سمى الله وتوكل .

- بسم الله ....

قبضت على أذن الفنجان الصغير ودنوت منه لأستمتع بقبله استعيد بعدها بعضاً من الانتباه لأتيقظ لأبن الصحراء الداعب للحيته .. قبل ان ارتشف القليل تناهى إلى انفى عطر ثقيل كرف على قهوتى .. عطر عاينته السيده

الكفيف وها أنا ألان يُفسد صاحبه عليٌ قهوتى فمنذ ان خطى خليفه الامير ارض مكتبى ورائحه العنبر المُركزه قد احتلت الاركان ولم يسلم منها فنجان القهوه .. كان اوهن ما بالغرفه التى امتلأت بالعنبر وقاربت انفاسى من بعده حد الاختناق .

بات الحديث مكشوف .. صار صاحب القتل عارياً امامى يمسح لحيته كثيراً لا يضطرب ولا يهتز يتمتع بقدره عاليه على الثبات والتحكم بالذات لعله اكتسب مهارته هذه من كثره التحقيقات التى خاضها على يد رجال الامن الوطنى .. تبادلنا الحديث حتى تعالت من حولنا المجاهر وُرفع أذان ظهر الجمعه .. انتفض الامير ولم يهدأ له بال .

- الجمعه واجبه يا حضره الظابط .

قالها راجيا انهاء التحقيق لم ارد تضيق الخناق عليه وسمحت له بالرحيل على ان يوافينى بلقاء اخر .. اتفقنا ان يكون بعد انتهاء ساعة الافطار حين يحل المساء .. رحل متعجلا تلبيه لنداء الصلاه وترك خلفه قنينه ضئيله الحجم عاينتها فتبين انها منبع عطره العنبرى المُركز .

لم امطتى جوادى الحديدي فضلت وسيله اخرى لن تكلفنى شيئا فقطعت المسافه بين القسم ومنزل السيده العجوز الكفيف الحاجه سعديه مُترجلاً .. امطار خفيفه تداعب الماره كنت اثب من رصيف إلى حجر إلى بقع شبه جافه لم تطلها يد السماء .. الكل يقرأ العد التنازلى للاحتفال بليله رأس السنه بعد دقائق قليله كنت قد انتهيت من الوثبه الاخيره لي امام عتبه المنزل المقصود .. صعدت إلى بابها وطرقته فتحت لي فتاه عشرينيه اطلعتها على هويتى وقبل ان اسأل عن صاحبه الدار أتانى من الداخل صوتها مُرحباً بي افسحت الفتاه لي المجال فخطوت إلى الحاجه سعديه التى ربما لم تفارق كنبتها العتيقه منذ ان تركتها .. قبلت يدها واتخذت مجلسى مُحاذياً لها .. لم تمر ثلاث دقائق وكان الشاي قد صُب بقدح انتصب امامى على طاوله صغيره .. تبادلت حديث الحال مع صاحبه الدار العجوز .. مررت اسم ابن

الباديه خليفه الامير وسط الكلام فأجابتنى السيده بتذكرها للأسم الذى لم يكن غريباً على أذانها .. حكت لي انها قد سمعت صوته من بين اصوات الاصدقاء المقربين لحسن وماجد .. اخبرتنى بالصداقه المتينه التى جمعت بين ثلاثتهم .. كان خليفه دائم التردد على الصديقين يفك ضائقه ماليه لأحدهما إن انحسرت يده .. كان فتى ملتزماً صاحب صوت رخيم متهدج لا يُحرك لسانه الا بذكر الله .. كانت تحسبه الاخ الثالث للصديقين حتى مددت إلى انفها قنينه العنبر المُركز فنفرتها وأشاحت بوجهها بعيدا عن فوهه القنينه .. حتما تذكرت رائحه القاتل الخبيثه وما إن عادت بوجهها الا وقد رُسمت الصدمه على صفحه وجهها الصبوح .. فطنت العجوز الكفيف ما قصدته .. صكت فمها بكفها المعروق المتخشب وتساءلت من بين اصابعها حابسه الدمع بظلام محجريها .

- هو اللى .....

ربت على ظهر يسراها محاولاً بث الطمأنينه إلى نور قلبها الصافى .

- أنا زورتك النهارده يا حاجه عشان اتأكد من ظنى فيه .. ريحته هى اللى فضحته مش

فاضل بس غير سلاح الجريمه اللى هيأكدها عليه .. اطمنى يا امى .. الليله نهايته .

شخصت إلى الفراغ فى صمود عجيب صحيح جفت مدامعها إلا ان قلب الام الحزين بداخلها لايزال يُبك دماً .

بطريق العوده إلى مكتبى احرقت اخر لفافه تبغ كانت تحرس فراغ علبه السم الازرق بعثت إلى صدرى بدفء كاذب وموت مُحقق .. اقر ان خطواتى بطريق البحث الذى ظننت يوما ان بأستطاعتى بلوغ اخره كثرت عاداتى السيئه أدمنت البُن المحروق المُر وتراصت على صدرى طبقات الدخان الثقيل وتقلصت ساعات نومى .. اصبحت شخص اخر لا اعرفه يختلف كلياً عن عمر زهران العائد من العزله التى قضاها بصحبه قرين والده الجنرال الظل اللواء

نصر الديب رحمه الله وأفسح له قبره .

- علبه LM لوسمحت .

رمقنى صاحب الكشك وبعث لي برد مبتور مولياً وجهه عنى كأنه يحاول ابعاد نظره عن حُرمه ستثقل عليه ظهره ان طالعها .

- مفيش يا حضره .

- ولا مولبورو أحمر ؟

- استغفر الله .. ربنا يعافيك ويعفو عنك .

تطلعت بيافطه الكشك التى نقش عليها أسفل بسم الله .. كشك مدني .. صاحب الكشك الممتنع عن بيع الاكسجين المُسرطن هذا اما مخبول او ان عروقه لا يسرى فيها دم اهل هذا البلد .. الحمدلله .. ربنا يجازيك كل خير يا عم مدنى .. اه لو أتى اصحاب الاكشاك بمثل صنيعك حتما سيثور بركان الخرمانين .. امثالى .

سبقت خطواتى إلى القسم اقدام حسين الصغير عامل البوفيه لم يصل بعد من المهمه أوكلتها اليه ليقضيها .. أمرته بتتبع خطوات خليفه الامير ليخبرنى بعنوان مسكن الاصدقاء الذى يقاسمهم فيه المعيشه خامرنى الريب بأمر خليفه الامير فكان ظنى بمحله لم يفى بوعده معي حيث تخطت عقارب الزمن السابعه مساءاً ولم يحل الامير ابن الباديه كذلك لم يعد الصغير بالخبر اليقين .. كلما مر الوقت كلما ازداد لهيب القلق بداخلى حتى مر من امام مكتبى عبدون .. مرسال الهبه التى يتصدقها مطعم الاخوه لافراد القسم فوقف امام الباب قاطب الوجه يُحملق بالزجاج الفاميه .. ابتسم ابتسامه مبتوره وشت لي عن شماته يتطاير شرارها من عينيه ثم رفع يُمناه بعلامه النصر .. لم اصدق ما ابصره داعب المرسال الحقير لحيته مُودعاً مكتبى بابتسامه غادره لم أكن حينها بالمكتب بل كنت اقف بأخر الممر اراقب حركاته البهلوانيه وإشارته المبهمه التى يصنعها امام مكتبى .. لمحته خارجاً من مكتب شيخ الحاره هرعت وضربت باب المكتب فلم اجد سوى المكتب

المهلهل ودفاتره المتراكم عليها غبار السنين فتشت المكتبه الصغير فلم اجد شيئا يُلفت النظر اغلقت الاضاءه وهممت بغلق الباب حتى تناهى إلى مسامعى دقات ذات وقع منتظم وضوء احمر خفيض ينبعث من قلب دولاب الدفاتر اقتربت من منبع الضوء الاحمر وبظهر مسدسى كسرت احدى دلفتى الدولاب وعاينت ما بداخله .. كانت كما توقعت قنبله غدر لصق فتيلها بمقبض الدولاب فأن أتى احداً وهم بفتحه فلن يُدرك منه بعدها سوى قدمات لحم لن تتعدى الواحده منها حجم قبضه اليد ولن يبقى من القسم بأكمله سوى الرماد .

أبلغت احد الامناء ليخبر بدوره المأمور ويحذر الجميع بينما أنا اسرعت بخطواتى مُتعقباً عبدون الذى قادنى إلى عقار يقع بوسط احدى الحارات الضيقه بمنطقه سرايا القبه .. ولج عبدون إلى حوش المنزل الذى لم يعلو سقفه عن الثلاث طوابق واقيم على مساحه تقترب من سبعين متر فأحكم توثيق اغلال البوابه الحديديه للعقار خلفه .

مرت ساعة حتى أنتنى القوه المعاونه تسلل رجالها عبر منافذ الاسطح المُلاصقه للمنزل وتمت محاصره المنزل الضيق بينما كنت أنا بالاسفل انتظر اشاره رجال السطح بالهجوم حتى دق حينها اطلقت رصاصتين من مسدسى كانتا كفيلين لفك السلاسل المقيده للبوابه الحديديه للمنزل فأضطرب من بالداخل لم يكن لديه ادنى فكره عن عددهم او حتى مدى قوه اسلحتهم او كم المواد الخطره التى بحوزتهم .. توكلنا جميعاً على الله فهو حسبنا اولا واخيراً .. اطلقوا طلقات واهنه لم تصب اياً منا حتى تمت محاصرتهم واحكمنا قبضه حديديه على رُسل البلاء .. لم تكن مفاجئه لي أن أرى خليفه الامير بوسطهم وعبدون ومدني المتزمد صاحب الكشك الذى يحمل هويه هى بكل تأكيد لم تكن لأهل هذا البلد المُدخن أهله بشراهه وانا منهم بالطبع .

زرع رجال الامن اركان المنزل بحثاً حتى خرج احد الضباط وهو يحمل بمعاونه بعض الافراد جثه الصغير عامل البوفيه حين طالعت وجهه دام

قلبى .. فبعد ان اكتشف خليفه الامير امره استدرجه حتى قضى عليه الغادر اصابه بقلبه بطلقات الغدر التى سبق وان وغزها بقلبي حسن وماجد من وثقوا فيه وخان هو ثقتهم له .. أرهق الصغير قلبى كثيراً حزناً عليه انطفأت ضحكته سكت عن لسانه توسلاته التى لا تخلو من .. والنبى يا باشا .. والنبى يا عمر بيه .. والنبى .. والنبى .. ليرحمك الله ويشفع فيك نبيه يا اطيب من صافحت .. لم تبرد هول صدمتى بعد ان طالعت جثه الصغير حتى باغتنا احد الضباط المعاونيين بوثائق وخرائط وشت لنا عن ازهار الغدر التى نثرها رُسل البلاء بالارجاء .. كانت الشوارع مُمتلئه بالرواد يُصافح الناس بعضهم بأبتسامات دافئه ضحكات تعالت من قلوب سعيده تهيم فرحاً بكل مكان تعد اخر انفاس العام المنقضى بينما نحن ترأس كل ضابط منا مجموعه من الافراد مُلحقه بخبير من اداره المفرقعات طارت كل مجموعه إلى حيث غرست الازهار .. كان هناك حزمه من الورود المنثوره بحديقه كنيسه العذراء وحزمه اخرى مُمتلئه بالمجمع الطبى المقابل للكنيسه وحزمه اكثر تخمه موزعه بمنطقه التجنيد بالاضافه إلى عقود الياسمين المُهلكه التى فاحت بأركان بعض الحوارى والازقه .. أراده رُسل الهلاك الميلاد الاخير .. لكن الله ابتر سعيهم وفضح امرهم ورد عليهم سوء صنيعهم .

بمطلع الفجر كنا قد انتهينا جميعاً من قطف ازهار الهلاك التى غرسها ابناء الشيطان بمواقع حيويه .. أرادوا ليطفئوا انوار خلق لا ذنب لهم ولم يقترفوا حتى جُرم ليحاسبوا عليه .. احمد الله حمداً كثيراً فليس منا غادر ولا يقف بيننا خبيث .. الغرباء الهانئين بعيشنا هم فقط ديدان الهلاك التى لا تفرق بين هلال وصليب .. هكذا تقر خرائط الشجر الحبيث المغروس بمناطق شتى متفرقه يطوف بأرضها الجميع .. أشعر ألان ونحن بطريق العوده بأن حمل ثقيل قد حط عن كاهلنا فكلما دار برأسى السؤال الحائر ..

ماذا لو لم ..... ؟! .. لا اريد ان اكمله فبالتأكيد ستكن النهايه سوداء ان اكتمل السؤال

أمام بوابه القسم كان بإنتظار عمر زهران مفاجأه عيد الميلاد والتى ما كان ليستحقها فبمجرد ان نزل من سيارته قاصداً مكتبه سقط بكامل جسده قطعه واحده كقالب طوب احمر اختل توازنه فهوي كطائر شُل جناحيه .. تهتك نسيج رأسه المحترق برصاصه غادره اخترقت صفيحه رأسه من الخلف .. كان عامل النظافه أخر أذناب الخليه التى قادها خليفه الامير .. كان حامل هديه الميلاد الاخير لعمر زهران تلقى الامر لانهاء حياه الباحث الذى خُلق لينعم بسر الخلود الذى كان يجمع شتاته مع كشفه لكل غموض .. سر الخلود فى كشف الغموض فأنا احيا طالما ابحث وحين امت سُتخلد سيرتى هكذا هم الخالدون وانا منهم .

هذا ما كان يؤمن به ابن الاداره التى لا تهدأ ولا تنام .. رحل نجم عمر زهران وأختفى من صفحه سماء البحث التى طالما كان يُحلق بها .. انطفأت شمسه بنار خبيثه حجبت عنه نهاره فتجمدت روحه بليل كان ميلاده الاخير .. ليتك ما فرغت من عُزلتك ولا غادرتها يا عزيز قلبى .. حلق بروحك فى سلام بسماء ربك .. تركت لي لوعه أكابد حُرقتها بكل يوم الف مره لكن هو .. وحده .. القدر .. أعظم ما نؤمن به .

******

بعد مرور عام على موت عمر زهران ....
انسدلت ستائر الليل وتلألأت انوار الدار الارستقراطى الابيض .. دارالاوبرا .. وامتلأت المقاعد بُمحتلي قمه المجتمع من اصحاب الذوق المتحضر الرفيع فى الهيئه ..والطباع والحس الفنى فيما عدا مقعد واحد وحيد بقى شاغراً حتى فُتحت الستار .

بدا الاوركسترا مُكتمل النصاب استدار قائده .. المايسترو وانحنى تحيه للحضور تناهى تصفيق مُتناثر ما لبث وأن خفت مع خفوت اضاءه القاعه .. زاغ المايسترو ببصره فمسح اوجه العازفين حتى وقعت عينيه علي ليلى .. كونسيترماستر .. عازفه الكمان الاولى للاوركسترا فوجدها شاخصه البصر بقطيفه المقعد الخالى يعتلى وجهها تجهم مبُهم هى سيده الليله وصاحبه اللحن الذى امتلأت المقاعد بأذان تشتاق لسماع عزفها اللحن الذى قدمته لأول مره منذ عام .. منذ ان كان نصف قلبها يقف خلف الجميع يبتسم لها باعثاً اليها بروحه لتؤازرها بعزفها .. لدقائق غابت فيها ليلى عن وقائع ليلتها .

فى الايام الاخيره من عُزله عمر صاحبته فيها ليلى وشاطرته إياها بكل كبيره وصغيره لم تترك يده ولم تنزل عيناها من عليه ازدادت تعلقاً به وصارت هى كل ما يعنيه بعد ان فقد كامل أسرته التى خطفها القدر وابعدها عنه .

فى مثل هذه الليله وبأجواء لم يتخلف منها شىء لبى عمر دعوتها ارتدى البدله التى اشترتها له على ذوقها فحمل اختيارها على جسده واستند على كتف دكتور محسن الذى اوصله إلى الدار الكلاسيكى وتركه امام عتبته أراده ان يُكمل الطريق بقلبه ليشاطرها أوج فرحتها .

حين أتى دورها وعزفت لحنها الذى نحتته على أوتار آلتها..حيث سهرت ليالى لم يزورها فيها النوم لم تهدأ ولم تتعب فقط عكفت على لحنها تنقشه على صفحه وجهه .. وجه عمر الذى جلس وسط الحضور مُتطلعاً لها تحوطه

هاله باسمه وهى تناجيه بعزفها للحن الذى أسمته (ملكك أنا) .
أشار المايسترو إلى الوترى المُحاذى لها فوغزها بصرير اسلاك آلته فأنتفضت وتملكت منها قشعره كادت خصلاتها تنتصب بعدها كالانفد لولا فضل المُثبت .. تنبهت إلى مقرأ النوته المنتصب امامها .. تململت بجلستها كحال الباقين .. صمت أعور أصاب المكان خرقه سرنكه الالات التى صرخت .. صرصرت حتى ازعجت المسامع وبمجرد ان رفع رب الاوركسترا عصاته السحريه وأطاح بها بالفراغ استوى العازفون وهدأت الالات .. اغمضت ليلى عينها متجنبه الخلاء الاسود القابع بالمقعد الشاغر الذى لم يلبى صاحبه دعوتها ولم يحضر الحفل .

******

نفس الليله ....
بعزلته هو الاخر صار دكتور محسن غير ما كان عليه تماماً بات يحيا بنفس مريضه سكتت بداخله روح أرهقتها ألاعيب القدر هو من كان يمد يد العون للجميع للغريب قبل القريب .. هو من ذاع صيته ولمع نجمه بين زملاء مهنته .. دكتور محسن الذى اعتلى عزله هجر لاجلها نصيبه فى الحياه .
جثى على الارض بروح التهمها الولع .. تغيرت هيئته كثيراً كبر عن سنه الحقيقى بعشره اعوام على الاقل برزت عن صفحه وجهه لحيه خشنه تصدر منها خشخشه مألوفه له كلما مر بأنامله عليها خامشاً احراشها .. شحب وجهه وانطفأ ابتسامته البكر غطى رأسه شعر كثيف تخللته شعيرات استحال لونها إلى الشيب .. وحيداً بمنزله بقى وسط اوراق تعينه على تذكر عائلته .
قصاصات من الصحف ألصقها على جدران المنزل كانت أولها قصاصه الخبر المشئوم وقد تناولت الحادث الذى إلتهم الاسره والى جوارها إلتصقت قصاصه باهته نقش عليها نعي من مستشفى الامراض النفسيه بالعباسيه تشاطره الاحزان .. مر بأنامل مرتعشه على القصاصات الباليه التى انتهت بنعي من نفس المستشفى لكن هذه المره كانت تنعيه على روح أخيه ..

أخيه الذى عان معه المرض وحارب بجانبه ضلالاته حتى تغلب عليها ونال شفاء السماء لكنه لم يستطع منع القدر عنه .. حين اختطفته رصاصه الغدر فأغابت اخيه الاكبر عمر زهران .. فعاش دكتور محسن زهران .. بين مُذكراته التى حملت عنوان

(جاري البحث) .

عوده للحفل .. وسيدته ليلى .....

حين أتى دورها لأعتلاء مقدمه المسرح لتنشد لحنها على مسامع الحضور أبصرت ليلى المقعد فلم تجد صاحب الدعوه عليه لم يُلبى دعوتها بعد .. نهضت وخطت بفستانها الابيض المنقوش بأزهار بنفسيجيه لمع رحيقها بنثار الترتر الزاهى .. توسطت ليلى المسرح مُحتضنه آلاتها كامده بنفسها دمعات حاولت اخفائها بأبتسامه باهته ألتقطت الميكروفون وازدرت ريقها بصعوبه فقد حان موعد الافصاح عن الضيف الجديد الذى إلتصق بلحنها .. سرقت من الاجواء الساكنه نفس عميق ارتفع له صدرها ومن بين رجفات قلبها جرت على لسانها الكلمات .

- مساء الخير عليكوا جميعاً .. من سنه تقريباً وفى ليله زى ليلتنا دى بالظبط .. عزفت

لحن ملكك أنا لأول مره .. مكنتش مُتخيله رد الفعل اللى لقيته بعدها .. قد ايه اتمنيت

لو كان صاحب اللحن الحقيقى موجود معانا .. قد ايه هو كان مُلهم ليا .. قد ايه أنا

افتقدته وافتقدت من بعده كل حاجه حلوه راحت معاه .

هربت من بين جفونها دمعات لمعت على خدها سرعان ما حاولت اخفائها بمنديلها .. حاولت الاستناد إلى ما تبقى لها من عزم وهن معظمه .. تلقفت الانفاس مُحدقه بعينها

الحضور تمنت لو ان وقعت عيناها عليه .. على حتى ظله .. حتى دكتور

محسن ابن أم حبيبها غاب هو الاخر عن قمرها ولم يلبى دعوتها .. استعادت القليل من القوه وثغرت باسمه إلى الوجوه التى تحدقها وقرأت عليهم مفاجأتها .

- الليله أنا مش هعزف بس .. لأ .. الليله كمان هنغنى .. من فضلكم رحبوا معايا بمطربه الدار الاولى اللى وافقت تغنى كلمات اللحن اللى انتهيت منها من يومين بس ومن وقتها واحنا بندرب على اللحن عشان نسعد حضراتكم على قد ما نقدر ونقدملكم حاجه جديده مع اللحن اللى بقيت اعيش بيه على ذكرى انسان .. للأسف غاب عنى .

أحاط المكان بعد اخر حرف من كلمات ليلى سُكون تام .. صمت أرهب ما بداخلها عشق الجمهور لحنها وهو صامت .. ماذا ستكون رده فعله ان تحدث ؟! .. أه لو كان بيننا .. اه لو امتد عمره لأعيد عليه لحنى الذى ألهمنى اياه .. كم تمنت ليلى لو كان عمر بين الحضور لتقرأ عليه صوت معزوفتها .. ملكك أنا .

تهادرت تسابيح الاوتار مُناجيه بلحنها الاسماع حتى تحرك لسان مطربه الدار بالكلمات التى صاح بها لحنها .. لمن غاب تاركاً ذكرى عميقه بقلب صاحبته .....

من أول سطر فى قصتنا
وانا شايفه حكايه وبرسمها
إنسان بالفطره أنا حبيته
وبقلبى عشقته وضميته
إنسان بالفطره أنا حبيته
وبقلبى عشقته وضميته
حبه القدر .. وهبه ملاك
زى القمر
حبه القدر .. وهبه ملاك

من البشر

حدثت ليلى نفسها مناجيه روح عمر الذى غاب عن ليلتها على انغام معزوفتها ملكك أنا

- احببتك منذ ان التقطت عينى صورتك .. احببتك لأنى أبصرت فيك صورتى .

أدتله حياتها ووصيته على حب ما بينا
خلاص اتولد
أدتله حياتها ووصيته على حب ما بينا
خلاص اتولد

حبه القدر .. وهبه ملاك
زى القمر
حبه القدر .. وهبه ملاك
من البشر

عادت ليلى لتناجى روح من غاب عنها .

- أرجوك أعد لي الذكريات .. أرجوك ُعد لي بالحياه .. أرجوك لا تفارقنى حتى وان صمتت على لسانى .. الكلمات .

بقرار من روحها أنا حسيته
غنت قدام العالم .. بتقوله
بقرار من روحها أنا حسيته
غنت قدام العالم .. بتقوله
ملكك أنا .. ملكك أنا
ملكك أنا

ودعت ليلى اللحن بوعد قطعته على نفسها إخلاصاً لروحه وحده .. عمر زهران .

- ان كان بعمرى لحظه او ألف سنه تأكد اني سأحياها بظلك حتى وان لم تكن معي يكفينى تذكر .. ضحكتك .. ملكك أنا .

نهض الجميع ووثب على قدميه مُشاطراً صوت اللحن مُتنغنياً بالكلمات التى نالت من قلب الجميع مُرددين فى صخب مُنظم يقوده النغم .

حبه القدر .. وهبه ملاك
زى القمر
بقرار من روحها أنا حسيته
غنت قدام العالم .. بتقوله
ملكك أنا .. ملكك أنا
ملكك أنا

تعالى التصفيق حتى قارب مُلامسه قطيفه السماء زرفت ليلى الدمع فرحه واحتضنتها مطربه الدار بينما جلجلت أصوات الحضور مُطالبين بتكرار الاغنيه مره اخرى .. مره ثانيه .. مره صدقت فيها المشاعر فأبدعت وبكل إخلاص .

****

بعد الحفل مباشره :

سحبت ليلى طرف فستانها الملائكى بعدما أودعت آلتها الوتريه بالحقيبه المُجسمه الخاصه بها .. حقيبه الكمنجه .. حملتها اقدامها ورقدت قاصده بوابه الخروج .. تلقت التهانى المتطايره من حولها ودعت رواد الدار الكلاسيكى بأبتسامه شكر أراد البعض إلتقاط صور تذكاريه معها .. الا ان عقلها لا يمليها

سوى بأسم واحد تعده بجمله معجبيها .. دكتور محسن .. حين وصلت اخر الممر المؤدى إلى الساحه الخارجيه المقابله للدار كادت تلهيها هرولتها عن صديقها المخلص الموثق إلى جوار كشك الامن .. نبحها ابوالوفا فصكت ناصيتها وأسرعت بأتجاهه وفكت عنه القيد .. لم تتبين حينها إلى ما كان يرمى بنباحه لا تعرف ان كان يمتدحها على وصله العزف الذى باتت أذناه تحفظه كأسمه الغريب الغير ُمتماشى تماماً مع هيئته او أصله ام انه كان ُيعاتبها ؟!.. لم ُتفكر كثيراً .. شكرت عم عبد الرؤوف الحارس وهرعت وابوالوفا يلهث بذيلها .

بليله الميلاد السماء تسعد كحال أهل الارض ُتمطرنا بالخير فتعيد إلى التراب الصامت المتحجر الحياه كانت الامطار فى بادىء الامر خفيفه لطيفه ناعمه حتى ارتعدت السماء ولمع برقها فثارت ثورتها وتحول مطرها إلى سيل يُغطى بماءه فجوات الارض .. لوهله تبخرت الماره من الوجود وشحت السيارات وقفت ليلى مرتعشه الاطراف إلتصق الفستان بجسدها كاد يشف عن مفاتنها والى جوارها ابوالوفا العائم وسط امواج السيل الذى اخذ يقسوا عليهما بات يمطرهما بلا رحمه .

- ليلى .. يا ليلى .

جاءت صراخات مُتطايره نثر الريح حروف أسمها إلا أن أذناها الموسيقيه اظهرت مدى براعتها حين استطاعت تمييز نبره الصوت المنادى عليها .. كانت نهله .. عازفه الفلوت

وصديقتها المقربه .

أتتها مهروله قبل ان تنطق ليلى بحرف ألقت عليها نهله معطف ثقيل متوج بفراء كثيف غطست بداخله ليلى شاكره مغمغمه .

- ميرسى يا نيلو .

- على ايه .

صرخت نهله بوجه ليلى حين لفحتهما عاصفه مفاجئه .

- انتى مروحه .
- لأ .. ورايا مشوار مهم لازم اقضيه ومش هينفع اتأخر اكتر من كدا .
- دكتور محسن .. مش كدا ؟؟
- بالظبط .. عن اذنك بقى .. تاكس ....
قذفت ليلى وداع مؤقت ودعت فيه نهله وسحبت ابو الوفا من سلسلته ودفعت به ثم بنفسها إلى داخل سياره الاجره .
- مصر الجديده من فضلك .
أدار السائق محركه مُنطلقاً إلى حيث امرته وألتفتت ليلى إلى الوراء رافعه راحه يُمناها بالسلام لعازفه الفلوت الرقيقه التى ردت عليها بسلام صاحبه ابتسامه ارتعش لها فكها السفلى فأنكمشت على حالها حين قرصها البرد .
بالطريق اخرجت ليلى هاتفها بحثت عن رقم دكتور محسن طلبته وانتظرت الرد فلم يأتيها سوى صوت آلي كئيب .. هذا الرقم غير موجود بالخدمه.....
لم تكمل ليلى الاستماع اغلقت هاتفها ونقرت بحافته على فخذها .. قلقها على دكتور محسن ازداد وبشده .

*****

منزل دكتور محسن ...
تك .. تيك .. تك .. تيك ....
حرر محسن رباط عنقه .. الكرافته .. حط على كرسيه وقد ابتلعه الظلام فيماعدا طيف ضي يأتيه من بعيد شمعه اضاءها ليتمكن من رؤيه ما حوله .. ظل يضغط على قداحته مرات ومرات .. لعُبه اراد الاحتماء فيها من وحشه سجنه .. السجن الذى قرر وبكامل ارادته ان يحبس حاله بين قضبانه .. ارادها عزله .. كان وقع خبر مقتل أخيه عمر زهران زلزال أحدث جُرح غائر بنفسه لمده عام كامل وهو لم يتحرك سنتى للامام او حتى للخلف هو لم يبرح مقعده من الاساس .. كان فقط سجين منزله .
تك .. تيك .. تك .. تيك .....

أراد تلبيه دعوه ليلى له يعلم كم تعزه وتوقره كان مُعينها على الشفاء كما كان السبب الذى سخره الله لها لتتقرب من عمر وتتعرف عليه عن قرب .. هو من جمعهما بطريق الأمل فى الشفاء فى الحياه .. الأمل الذى هجر حياته بعد ان رحل أخيه مُهاجراً بروحه إلى حيث تنتظره العائله بدار الحق .

تك .. تيك .. تك .. تيك ...

مرر أصابعه مُتصفحاً مذكرات أخيه المذكرات التى حوت قصص القضايا التى نجح عمر فى فك طلاسمها قضايا غريبه أرهقته كثيراً فكان حقاً جديراً بالتميز هكذا تقول مذكراته التى حملت عنوان .. جاري البحث .. عنوان ينم عن طبيعه الشخصيه المُدونه لما حوته دفتي المذكرات التى خطها عمر بيده .

شهد له الجميع بالتفوق الكل كان يحبه مجرد ذكر اسم المقدم عمر زهران كأن ميزان العدل قد حضر لم يعد نفسه ضابط له مقامه وهيئته .. كان إنسان .. إنسان أحب الكل وأخلص لربه واحترم ضميره امام ذاته اولاً ثم امام الباقيين .. اللواء نبيل زهران الوالد كان يعده خليفته كما كان يعتبره اللواء نصر الديب .. الرجل الذى كان أسم عمر زهران أخر ما نطق به قبل ان تبتلعه الغيبوبه التى فاق منها ليجد روحه مرفرفه بالعالم الاخر ..

عمر الذى عشقه طوب الارض .. أخيه الذى استمات لتحريره من نير ضلالاته وهلاوسه رحل عنه عمر بهذه السهوله .. هو من علمنى الصمود لكن هجرنى دون سابق انذار تركنى وحدى رحل ولربما رحل معه ما علمنى اياه .. طاقه ثباتى بدأت تعد بالسالب إلى ما دون الصفر .. اين انت يا عزيزى ؟؟.. اين انت من طريق البحث ؟؟.

تك .. تيك .. تك ....

لم تهدأ بعد سماء ليله الميلاد كادت تُغرق بنحيبها الارض أحتمى البشر كلاً بمسكنه لا احد سوى المطر .. المطر وحسب .

- هنا حضرتك .

- بالظبط .. اتفضل الاجره .

قفزت ليلى وفى يدها طرف سلسله ابوالوفا .. صعدت متوثبه الدرجات الاولى المؤديه لمدخل العماره التى يسكنها دكتور محسن .. لمحها البواب العجوز حين وقفت ليلى امام المصعد وضغطت على زر استدعائه فتبينها البواب من على كنبته الحجريه من بين جنابات الشال الذى يغطى به رأسه .

- أستاذه ليلى .. ازي حضرتك ؟

- ازيك ياعم اسماعيل .. كل سنه وانت طيب .

- وانتى طيبه يا ست الكل .

- خليك زى ما انت .. ماتتعبش نفسك أنا طالعه لدكتور محسن .

- ايوه بس يا استاذه ده .....

- ده ايه .. فى ايه ياعم اسماعيل .. قلقتنى ؟!

- أصل الاسانسير عطلان .

تنهدت ليلى بعمق حسبت ان هناك مكروه قد نال من دكتور محسن وحدثت نفسها .. منك لله ياعم اسماعيل .

- خلاص ولايهمك ياعم اسماعيل .. عن اذنك .. يللا يا ابوالوفا .

عض عم اسماعيل ضراضيره التى هجرتها الاسنان فانكمش وجهه كقطعه اسفنج اتخذت شكل قبضه اليد وضرب كف بكف مُستنكراً حاله اللامبالاه التى يُصدرها سكان العماره فقد احرجوه مع ليلى الفتاه الرقيقه التى لم تبخل عليه يوماً تجود عليه بما فى يدها ولا تعز عنه شيئا ولا درهماً .

وقف محسن امام مرآته يتأمل الحاله التى وصل إليها بعد عام من العزله تفقد لحيته التى طالت عنه لأول مره فى حياته لم يعتاد خشونه ملمسها هكذا .. مر بأنامله على رأسه طال شعره ايضا ولأول مره .. اقترب اكثر من المرآه فأبصر انعكاس رجل اخر غيره .. رجل برزت عظام وجهه وعبثت اساريره والتهبت عيناه وتقلصت جبهته وانطفأت لمعتها حفرت بصفحتها ثلاث خطوط متوازيه مسه الشيب وهو لم يبلغ نهايه العقد الثالث من عمره .. أطال التحديق بقسمات وجهه التى تغيرت كثيراً عما كانت عليه . دمعت

عيناه فتلألأت الرؤيه فى عينه وانسدلت منه دمعه تبعتها دمعات ودمعات كم اغترب عن نفسه كم اهمل حاله كم مل الحياه كم وغزته الرغبه فى الانتحار فقد تملكه اليأس واستحال امامه الأمل بالشفاء .

ضربت ليلى بقدم مهزوز ونفس لاهث وجسد أرهقه البرد درجات السلم حتى وصلت الطابق الذى يسكنه دكتور محسن كان يلهث جانبها ابوالوفا هو الاخر يُعانى ولا يشعر بمعانته أحد .. كلما ظهر له صاحب لا يُدوم عليهما القدر الملازمه .. هجره عم سباعى حارس الشاطىء بعد ان تركته له مدام (سامنثا) الهولنديه وأمنته رعايه (بريجر) الاسم الحقيقى لأبوالوفا قبل ان تتوفى مدام سامنثا ويبيع ورثتها الفيلا الشاطئيه التى هدمت وارتفع محلها برج لم يستطع احداً عد طوابقه .. ثم جاءه عمر وعاد معه إلى القاهره ملأ ابوالوفا عليه الدنيا صخب لم يعتد عمر طيله حياته الضجيج لكن ضوضاء ابوالوفا كانت احب اليه من موسيقى فيردى التى شب عليها .. ليموت عمر ولتتسلم ليلى لجام طوقه .. ابوالوفا بعد ان تواتر عليه الاصدقاء بات مشوش قلق لا يعلم ماذا تخبأ له الدنيا ان ...؟

أطلقت ليلى طرقات ثلاث مُتتاليه ضربت بها باب الشقه التى يحبس محسن حاله بين جدرانها وانتظرت فلم يأتيها رد .. ثم دقات اخرى طرقت بها الباب وانتظرت فلم يرد عليها جواب .. هزت ساقها اليمنى بنفاذ صبر مُبصره ابوالوفا ثم دفعت بدقات اخرى لم تنتظر بل ألحقتها بدقات ثم دقات ثم.. اقتربت بأذنها إلى صدر الباب ولم تخطأ اسماعها انفاس دكتور محسن المتوارى بالخلف .

- دكتور محسن .. دكتور محسن ارجوك افتح .. دكتور محسن أنا عارفه انك جوه دكتور محسن .

كتم محسن براحه يمناه انفاسه بينما يبصر ليلى من عدسه الباب هزته طرقاتها التى دفعتها بوجهه وبقوه مقصوده أرادت ان توقظه من العزله التى ستقضى عليه .

- دكتور محسن .. أنا ليلى وانا عارفه ومتأكده انك سامعنى كويس .. انت ليه مش راضى تفتح .. أنا عملتلك ايه ؟.. سنه كامله وانت حابس نفسك .. ليه كل ده يا دكتور لعلمك بقى ان كنت فاكر نفسك انك انت الوحيد اللى حزين على عمر .. فدا مش صح على فكره .. أنا كمان مُوت لما غدروا بيه وقتلوه .. بس أنا بقى اقوى منك .. عمر علمنى اكون قويه ماتهزنيش الدنيا.. انما انت مش قادر حتى تتحمل فراقه .

مالت على الباب والدمع يعتصرها .

- على فكره يا دكتور أنا النهارده شُوفت عمر .. ايوه شُوفته أكيد انت مش مصدقنى اصلا صورته مفارقتنيش لحظه من بعد ما توفى .. شُوفته النهارده كان قاعد على الكرسى اللى المفروض كنت انت تملاه .. بس للاسف انت مجتش .. لكن عمر مرضيش يكسر بخاطرى وجالى وقولتله كل اللى كان نفسى اقولهوله .

نقرت بأناملها على الباب فى لحن مُنتظم يُدركه محسن جيداً لحن ملكك أنا .. واخذت تُغنى والدمع يعتصرهما معاً .

- من اول سطر فى قصتنا .. وانا شايفه حكايه وبرسمها .. انسان بالفطره أنا حبيته وبقلبى عشقته وضميته .. من اول ...

انحصر محسن وراء الباب على نفسه والحزن يلتهمه يبكى بحرقه وفى يده صوره للعائله يتوسطها شقيقه عمر .. حاول كتمان ثورته كمد حزنه بينما تهادر إلى مسامعه صوت ليلى التى أخذت تغنى بالخارج لأخيه الذى احبته ربما اكثر من حبها لنفسها .. ليلى هى اخلص منه لعمر .. ليلى عبرت عن حبها لعمر بكل ما تملكه .. رثته بكلمات ولحن صنع معاً انشوده بات قلبها يتغنى بها اما هو .. هو من دار بنفس الدائره التى سبق وان تاه فيها اخيه عمر منذ اكثر من عام حين فقد عائلته بحادث الصحراوى قابل محسن وقتها الصدمه بشىء من الحكمه التى افتقدها تماماً حين سمع خبر وفاه أخيه عمر زهران .

فجأه .. سكن المحيط من حوله اخذ صوت ليلى فى الخفوت حتى اختفى

تماماً عن أذنه تفقد محسن حاله .. نهض بعزم وبإراده حازمه أتته لحظتها ففاق محسن من كبوته وصهل جواده من جديد ازاح المتاريس التى حانت منها زمجره عاندها محسن وادار مقبض الباب تطلع مُتفقداً المكان فلم يجدها.. تركت عطرها ورحلت بعد ان ملت الانتظار لمع اسفل قدميه ورقه ربما تركتها له ليلى .. ألتقطتها محسن وفردها وقرأ ما خططته يدها على صفحتها فأبصر كلماته التى كان يُمليها على أخيه بعزلته .

((الحياه تستحق مزيداً من العناء لننعم بها)) كان هذا اول سطر من اخر رساله منه لعمر تلفت محسن حوله وأطل برأسه إلى الاسفل فوجدها تدق الدرجات .

- ليلى .. يا ليلى .....

نادها بكل قوته لحقها مُهرولاً مُبتعداً عن منزله الذى حوله بيده إلى سجن مُوحش .. اخيراً تحرر من قيد عُزلته .. هو ألان بات يُدرك أن الحياه لم ولن تقف على مخلوق .. اياً ما كان .. الحياه فقط تحتاج لمزيد من العناء لننعم بها .

تمت بحمد الله ...

للتواصل مع الكاتب على الفيس بوك

https://www.facebook.com/mahmoud.ebrahim17

لـم أكـن أعلـم يومـا أن حياتـى سـتنقلب إلـى هـذا الحـد المخيـف فأصبرغريـق بمحيـط أمواجـه العاتيـة..لا ترحـم ليحط جسدى بالقاع فتحبس أنفاس الحياة عنى مقهورا وليس عن تراضى منى..فأنا الأن بداخلى تائهٌ يبحث عن ملاذ آمن..فالملاح التائه بداخلى صار وحيدا فقد بوصلته فى الحياة أصبح العالم من حوله غريب ..مسخ .. يتجمل بالأسرار فيجذبنا الفضول إلى أحضانه فتكوينا حقيقته المرة ليست عادة بالطبع هكذا .. لكنى الأن كلما أردت التقرب منه أردت بعدا عنه ولهذا أكد بكل جهدى باحثا عن ملاذى الآمن آملا وممنيا نفسى الضائعة أن أجده عند ملازمتى لقرين والدى .. لعلى أصل إلى فسحة الحياة.. فلا أغرق !